العددان ٥ و ٦
السنة العاشرة

حضارة الاسلام

مجلة فكرية جامعة

رجب وشعبان ١٣٨٩
يلول وتشرين الاول ١٩٦٩



هـذا العـدد

نقدم هذا العدد المزدوج لقرائنا الكرام بعد أن تأخر صدوره لأسباب خارجة عن إرادتنا آملين أن نلتقي معهم في العدد السابع قريباً إن شاء الله . ولنا من وعي الإخوة ومعاونتهم ما يساعد على قبول العذر وتحقيق الغاية والله المستعان .

المحتوى

حسين اللحويشي

ترى ادارة المجلة نفسها مضطرة لتذكر مَن للمجلة في ذمتهم حقوق من الاخوة المندوبين والمشتركين أن يبادروا الى تسديد هذه الحقوق وفي ذلك ما فيه من مرضاة الله عز وجل ، ودفع المجلة الى المتابعة والاستمرار، واداء التزامات الطباعة والنشر والله معنا ماكنا على طريق التعاون المثمر والله المحمود على كل حال .

عيسى يوسف اللحويشي

حضارة الإسلام
مجلة فكرية جامعة

سنتها عشرة أعداد

مؤسسها

الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله

رئيس التحرير

الدكتور محمد أديب صالح

المدير المسؤول

أحمد فرحات

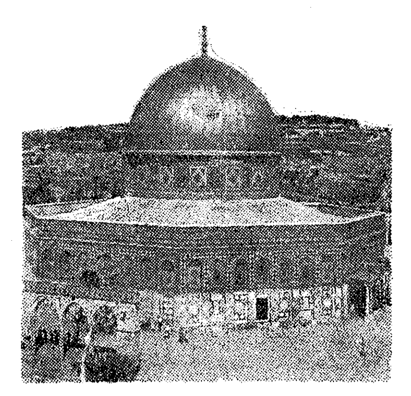
الإدارة : دمشق - حلبوني - جادة الربيعي

الهاتف : ١٤٥٩٥

صندوق البريد : ٨٠٨

كافة المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف



قبة الصخرة
في القدس

الاشتراك السنوي

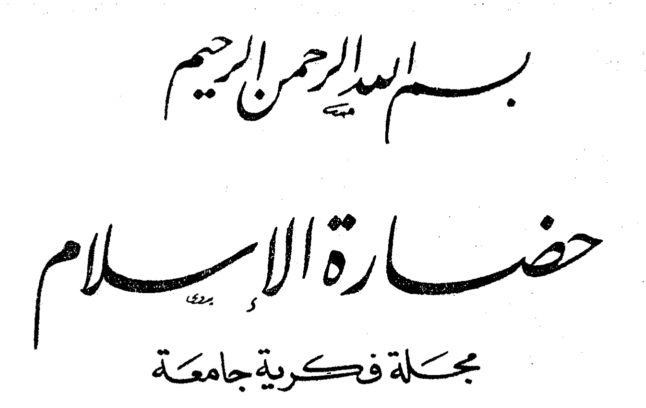
في سورية ولبنان .... ١٢ ليرة
في الدوائر والمؤسسات .... ٢٥ ليرة
في مصر والسودان .... ١٧٥ قرشاً
في العراق والأردن .... ١٥٠٠ فلساً
في المملكة السعودية .... ٢٥ ريالاً
في الكويت .... ٢٫٥ ديناراً
في امارات الخليج .... ٢٫٥ ديناراً
في انحاء العالم .... ٥ جنيه استرليني
في الدوائر والمؤسسات الأجنبية ٦ جنيه استرليني

ISLAM'S CIVILIZATION

All - embracing Cultural Monthly Review

B. O. BOX 808

DAMASCUS SYRIA



العـــددان

رجب ـ شعبان	الخامس ـ السادس	ايلول ـ تشرين أول
١٣٨٩	السنة العاشرة	١٩٦٩

نصيحة لابدّ منها ...

يغالبني على القول كـلام ما أحسبه تاركي حتى يأخـذ من كبدي ما يشاء ذلكم هو حديث تلك الحال من الضياع الذي تعانيه أمتنا صورة عن هول المطارق التي تدق بهولها العقول والقلوب صباح مساء .

وليس من مكرور القول أن نذكّر بأن من الأغراض التي يرمي اليهـا أعـداء الأمة بكثير من المنهجية والتدبير ، أن تظل هـذه الامة في دوامـة مـن النصَب والتعب لاتنتهي كيما يخرج بها ذلك عن دائرة البناء في ظل الرسالة التي اكرمها الله بنظامها فكانت به خير أمة أخرجت للناس .

ولو انك تجاوزت ما تعانيه الأمة اليوم مع ((يهود)) وما ترى العين وتسمع الأذن من آثار شاهدة على الأذى والاصرار على العدوان والسلب والاغتصاب بمعاونة الطوافين حول الارض والصاعدين الى القمر... لو انك تجاوزت ذلك الى أي بقعة من وطننا الكبير لوجدت على كل أرض من تلك البقعة ما يراد به الضياع ، وما يراد منه أن تكون الأمة على حال من الحيرة بين ((عود على بدء وبدء على عود)) ، وخذ لذلك من المترادفات ما شاء لك الفكر ووسعتك الحقيقة بله الخيال ...

* * *

هذه حقيقة ماثلة لاينكرها الا مكابر و لا يتجاهلها الا من كان بينه وبين النعامة نسب متصل أوثق الاتصال ... ولسنا نبغي من وراء ذلك ان يكون الكلام معوانا على التشاؤم أو اليأس ، فاليأس من روح الله لايلتقي مع الايمان بنصره وتأييده اذا نحن سلكنا للغاية سبيلها ، وللنصر طريقه التي رسمها الاسلام .

ولكن الذي نبغيه أن أي امة من الامم اذا ضاعت عليها المعالم وتعثرت في طريقها أو تعثر بها الطريق، إن من العجب العجاب ان تحيط بنا نحن الغفلة وتنطلي علينا الحيلة، ونقع في شرك الاستجداء ، فنحن أمة ــ ولله الحمد والمنه ــ أكرمها الله بالاسلام فكانت مبادئنا قرآنا يتلى في المحاريب، ودروسا تلقى على منابر العلم، وحركة حضارية تضع الانسان بطاقاته وأهليته وتكوينه في مكانه الطبيعي من البناء فانى تلفت اهتدى بمعالم هذا الاسلام فلا يضل الطريق ولا يشقى على مدى الايام .

* * *

واذا كنا ننتظر من أعدائنا ان يسقطونا من حسابهم ، ويدعونا وشأننا ، نستمتع بالحياة ، ونسير في طريق البناء ، فهذه أحلام لا طائل تحتها

هي أشبه بوساوس الذي يريـــد أن يجني من الشوك العنب . إنك لو سميت الثعلب بألف اسمواسم، وزخرفت ولوّنت، فلن يكـون في تعامـله ومخططاته إلا الثعلب ، إذ ان كل الذي صنعته من الزخرف لن يغير من حقيقتهشيئا.

واذن فالذي يجب أن يـأخذ مكانه الطبيعي من اهتمامنا ــ مـع القضايا الراهنــة التي تفرض نفسها على الأمة ــ انما هـو التفتيش عن ذاتنا وكياننــا ، وهويتنــا بين أمم الارض ، على اساس مـن المنهجيــة المثمرة التي تضــع في حسابها كل عنصر من مقومات هذه الأمة ومنابع حياتها وامجادها في تاريــخ بني الانسان . ولن يكون ذلك الا في ظل الاسلام كما جاءت به منابعه الاولىفي كتاب الله وبيان رسول الله وفهوم أئمــة الهدى من علمائنا الاولين .

وهذا الذي يمكن ان ندعوه تحديد الموقف الذاتي كان من أوليات المسائل التي جاءت بها دعوتنــا الطاهرة المجيدة ، ومن الكليات الاولى التي على هداها قــام البناء ، وثبتأصل الشجرة ، التي فــاء الى ظلها التاريخ ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

* * *

فمن أول الطريق في العهد المكي حيث ابتلاء المؤمنين يذر قرنه هنا وهناك وسدنة الوثنيـــة يحاولون بشراسة أن يحولوا دون بزوغ الفجر الجــديد ، والمساومات تلقي بثقلها على أرض الموحّدين .. من أول الطريق يومــذاك نزل قوله تعــالى : ((قل يا أيهــا الكافرون لا أعبد ما تعبدون ...))

وبعد فتح مكة حيث فرح المؤمنون بنصر الله، وأزيح من حول الكعبة ظلام الاوثــان وعبدة الاوثــان .. بعد فتح مكة ينقض المشركون عهدا كان بينهموبين المسلمين فينزل قول الله تعالى :

((براءة من الله ورسوله الى الذين عاهــدتم من المشركين فسيحوا فــي

الارض أربعــة أشهر واعلموا انكم غيرمعجزي الله ...)) .

فكانت البراءة خاصة بأولئك الذين عاهدوا ونقضوا العهد ، ولكنك لاتكاد تنتهي من قراءة الآية الاولى حتى تطالعك الآية الثانية بحكم عام يقول فيه الواحد القهار : ((وأذان من الله ورســوله الى الناس يوم الحـج الأكبر أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله)) .

ولعلك لاتجد نصباً في أن تعمل فكرك للربط بين نزول سورة ((الكافرون)) أيــام الخطوة الاولى في العهد المكي حيث الشدة والبلاء وتهديد القلة المؤمنــة بالفناء ، وبين نزول فواتح سورة التوبة بعد أن ارتفعت راية التوحيد على ربى مكة وعلا هدير الكلمة المسلمة في تلك الربوع والاصقاع .

ومن هنا كنت ترى أن الخطاب القرآني للجماعة المسلمة لايهادن ولايتهاون في شيء من حرارة التذكير بالقاعدة التي لايجوز المساومة عليهــا أو التغاضي عن ساحتها ومدلولها ، لان بها حفظ كيان الأمة ، وسلامة طريقها الى الغاية، والحيلولة بينها وبين أن يصيب الأعداء منهــا مقتلا ، أو يوقعوهــا في شــرك الغفلة ، ومصائد شياطين الإنس والجن . ((يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قــال قد انعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيماً . فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيــا بالآخرة ومن يقاتل في سبيــل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . ومالكم لاتقاتــلون في سبيــل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنــا أخرجنا مــن هذهالقرية الظالم أهلهــا واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا. الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيــل الطاغوت فقاتلوا أوليــاء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)) .

ما أحسب ان عاقلا يرى هذا الوضوح في الخطـاب ، وحرارة الالقـاء في روح المؤمنين وقلوبهم ، وربط كل جزئية بالكلية العامة التي هي المحور الأولي ، ثم يخالجه شك في ان طريق الامة الى الخروج من ظلام دوامتها في وطنناالكبير انما يكون بالعودة الصادقة الى المنطلق الذاتي لها والذي يرتد الى قاعدة البناء التي جاء بها هذا الخطاب القرآني .

والكشفُ عـن نقـاط الضعف فـي الصفوف يهتـك أستـار المنافقين ولا كرامـة ، لان الطريـق في أشواكهـا وبعد مراحلهـا ، وعزة غايتهـا لا تحتمل مهـادنة ولا مهـاودة . ((ألم تر الى الذين قيل لهـم كفوا أيديـكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيـا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينمـا تكونوا يدركم الموت ولو كنتـم في بروج مشيدة وان تصبهـم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وانتصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فما لهـؤلاء القـوم . لايكادون يفقهون حديثا)) .

ان الوقائعبحرارتها وعنفوانها ، ولؤم الايديالتي تحركها جديرة أن تلفتنا عن طريق الضياع ، لنبصر معالم طريقنا التي دعانا محمد بن عبدالله صلى الله وسلم عليـه أن ننتهي اليها ، والليالي حبالى بالحوادث ، وفي كل صباحيطلع عليك نبـأ جديد .

* * *

واذا انتهينـا الى تلك المعالم ووقفنا حيث ينبغي ان تقف الامة التي تدرك اصالتها وذاتها ، كان من أبسط النتائج اعطاء الحكم الصحيح في كل جزئيـة تعرض ، وذلك بردها إلى أصلها الذي خرجت منه ، وعند البحث ترتد اليه .

لاننــا ننظر بمنظارنا نحن ، لابمنظار يوضع على أعيننا ويراد منــا أن نبصــر من خــلاله . فموقفنا من يهود وموقفهم منا ، لايحتاج الى ايضاح أو تبيين. ان حريق المسجد الاقصى ـ على سبيل المثال ـ تلك الجريمة التي لايــدرك هولهــا الا من كانوا من بني الانسان بالمعنى الصحيح ، هــذا الحريق نتيجــة طبيعية لوجود الاقصى تحت سلطانهم وفي ظل أنظمتهم وقوانينهم ، فماالذي أنت ناظره من هؤلاء حين يكون الاقصى تحت سلطانهم ؟؟ خصوصا اذا تذكرت انهم الآن يحاولون من خلال عقدة أصبحت مرضا موروثا علىالاجيال إثبات انمن واجبهم اعادة بناء هيكلسليمان الذي يزعمونوجوده تحت المسجد الاقصى ، وان المسلمينغاصبون للارض التي عليهاالهيكل ، انهم يريــدون ان ينتقموا من الايام الطويلة خلال عشراتالقرون ـ ومن التاريخ الاسلامي بخاصة ـ فيكيان أصحاب الارض التي يحتلونها والمسجدالذي كاناليه مسرىسيد العالمين محمد صــلوات الله عليــه .

* * *

لقد يكون مفيدا أن نثير العالم ونفتح الاعين المغلقة على هذه الجريمــة ، ولكن احتلال المسجد في الاصل أشنع منها وابشع ، ويمــارس اليهود تحت سقف هذا المسجد الذي هو ثالث الحرم ، والذي تعدل الصلاة فيه خمسمائة صلاة في غيره .. يمارس اليهود أشنع انواع الاذى والخلاعة والميوعة وما هو من أخلاق الخنازير ، واصبح ذلك أمرا مشهورا ومعروفا . ان حريق جدران المسجد ليس الحريق الوحيــد ولكنه واحد من ألوان الحــريق التي تصيب مسجدنا وأرضنا كل يوم .

ومن جهة ثانية فان جــلاء الحقيقة المرة والكشف عن جوانبها لايهــابه الا ضعفــاء النفوس . فأي تقدير حقيقي كنا نمنحه لهذا المسجد من قبل ، وكم كان عدد المصلين الــذين يؤمونه في الصلوات الخمس ؟؟ ما أحسب ان الجــواب

مُرضٍ عن هذا التساؤل. بل قد يدخل بعض من لا خلاق لهم على غير وضوء لحاجة تتعلق بمصالحهم الخاصة لا بمرضاة الله عز وجل .

وكأين من مسلم في أقطار العالم الاسلامي لا يدري ما هو السبب في قداسة هذا المسجد ، وأنه ثالث الحرم ، وان الحديث الصحيح قد اثبت ان الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة ، وان الاهمية البالغة وراء هذا كونه المسجد الذي اختاره الله لرحلة الاسراء من المسجد الحرام اليه فالقضية لاترتد الى التاريخ فحسب ولكنها مرتبطة بالعقيدة قبل كل شيء .

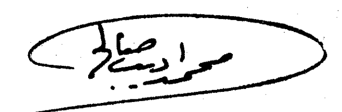
ان القيمة الدعائية لموضوع ما في ميادين أخرى غير ميادينا انما تؤتي أكلها اذا نحن حرصنا على أن نكون على ارض المعرفة والايمان والادراك للقضية التي نتحدث عنها بالايجاب أو السلب . وان النصيحة لله ولرسوله وللأمة تقتضينا ، والحرمات تستباح ، والمقدسات تنتهك ، والاصرار على العدوان والتشريد والاغتصاب قائم من العدو وممن هم وراء العدو أقول : إن النصيحة تقتضينا ان لا نغفل الجانب الاساسي من جوانب قضية من قضايانا فنمارس ما يشبه إحراق القيم ، وهذا كما قلت من أبسط النتائج التي تثمرها النظرة الذاتية الاصيلة ، والتحول عن طريق الضياع .

ان للإسلام كلمة قالها قبل اربعة عشر قرنا في ((يهود)) ولقد سجل القرآن ذلك بآيات تتلى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وبينت جوانبه واوضحت معالمه السيرة النبوية بما لايدع زيادة لمستزيد . والاسلام يدعونا لأن نفتح قلوبنا وأعيننا على ذلك ، وأن نغذ السير الى حيث المرتقى الصعب والغاية البعيدة غير عابئين بما يوجب ذلك من تضحيات وبذل ، فالله لايضيع عمل عامل ، ولا يَنسى عنده مثقال ذرة ، والا نكون ألقينا بيدنا الى التهلكة وقد نهانا سبحانه عن ذلك بقوله : ((وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)) .

ان الاسلام المنقذ القادر على تحويل العواطف الى أعمال يطالبنا اليوم بالوفاء .

فالمسلمون اليوم : فريق يعرض عن الاسلام ، وفريق يحمله للدعاية والاستغلال ، وتحارب الفئة الثالثة .

والحق أن عودة صادقة ذاتية الى الاسلام على أساس منهجي سليم بعيد عن الاغراض القريبة التي قد تعقد لها المؤتمرات الرسمية وتجمع لها الجموع هي الكفيلة بأن تسلك بنا سبيل الاعداد الصادق بكل مجالاته ومفهوماته ، لا لننتصر على يهود وغيرهم فحسب ، بل لنأخذ دورنا الحضاري البناء من جديد . ذاكرين دائما قول الله تعالى : ((ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)) ((فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)) .



تخرصات سخفاء المبشرين

في صفة النبي صلى الله عليه وسلم

ورسالته في العهد المكي

للأستاذ محمد عزة دروزة

لسخفاء المبشرين تخرصات فيها كثير من الصفاقة والغثاثة والتهافت في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته في العهد المكي .

وفي كتب أصدرها الخوري يوسف الحداد الذي يسمي نفسه (الاستاذ الحداد) طائفة من ذلك رأينا من الواجب ان نرد عليها ونبين وجه الحق فيها ★ .

فأولا : رأى الخوري في القرآن المكي كثرة الآيات التي تصف النبي صلى الله عليه وسلم بالتبشير والتنذير والمبشر والمنذر . أو تأمر بتبشير الناس وانذارهم . أو بأن يقول إنه أرسل الى الناس بشيراً ونذيراً . أو انه بشير ونذير ومبشر ومنذر فحلا له أن يزعم أن محمدا حرص على أن يقدم نفسه للناس بشيرا ونذيرا ومبشرا ومنذرا دون أن يكثر من وصف نفسه بالرسول والنبي .

وقد أراد الخوري ابراز هذا الامر كما هو المتبادر من كلامه ظاهرا أو باطنا ليوهم ضعف ثقة النبي صلى الله عليه وسلم برسالته ونبوته أو بصفته رسولا ونبيا أو تردده في الجهر بهما . وبكلمة أخرى أراد أن ينبه ويركز على وهن موقفه وصفته في العهد المكي .

ولقد تغافل الخوري عن مافي القرآن المكي من آيات كثيرة تثبت تهافت كلامه ووهنه فكشف بذلك غثاثة نفسه وصغارها وسوء أدبه معا .

ويجدر بنا أن ننبه على ان فحوى الآيات التي فيها كلمات مبشر ومنذر وبشير ونذير يفيد ان هذه الكلمات انما عنت مهمة رسل الله وأنبيائه أكثر منها صفة لهم وحسب . وقد جاء ذلك بصراحة في آيات عديدة جمعت هذه الكلمات مع كلمتي الرسول والنبي مما فيه دليل على ما نقول كما هو في الآيات التالية :

★ من كتاب للمؤلف يصدر قريبا ان شاء الله حول هذا الموضوع .

١ ـ (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنـــذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ..)

البقرة ٢١٣

٢ ـ (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرســل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ونـــذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ..)

المائدة ١٩

والقرآن المكي لايصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحــده بصفة نذير ومنذر وبشير ومبشر بل يصف بــذلك رسل الله وأنبيــائه السابقين في آيات كثيرة . منهــا ما جاء مترافقاً مع كلمته (نبي ورسول) ومنهــا ما جاء عاما كمــا ترى في الآيات التــالية :

١ ـ (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .)

الانعام ٤٨

٢ ـ (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين .)

هود ٢٥

٣ ـ (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجــادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ..)

الكهف ٥٦

٤ ـ (ولو شئنا لبعثنا في كـــل قرية نذيرا ..)

الفرقان ٥١

٥ ـ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون .

الشعراء ٢٠٨

٦ ـ (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولــوا ربنــا لولا أرسلت الينــا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ..)

القصص ٤٦و٤٧

٧ ـ (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ..)

سبأ ٣٣

٨ ـ (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلال فيها نذير .)

فاطر ٢٤

٦ ــ (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين . ولقد أرسلنا فيهم منذرين) .
الصافات ٧١و٧٢(١)

ومع ذلك فان القرآن المكي وصف النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسول والنبي في آيات كثيرة منها ما هو صريح ومنها ما هو ظاهر من الفحوى . ومنها ما هو في سور مبكرة جدا في النزول . ومنها ما هو في أدوار التنزيل المكي المختلفة كما ترى فيما يلي .

١ ــ (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين ..)
الانعام ٣٤(٢)

٢ ــ (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) .
الانعام ١١٢(٣)

٣ ــ (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي الا باذن الله لكل أجل كتاب ..)
الرعد ٣٨(٤)

٤ ــ (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) .
الرعد ٤٥(٥)

٥ ــ (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ..)
ابراهيم ٤(٦)

٦ ــ (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون ..)
الحجر ١٠و١١

٧ ــ (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون . ولقد

---

(١) هناك آيات عديدة أخرى من باب هذه الآيات فاكتفينا بما تقدم .
(٢) واضح أن النبي قدم نفسه رسولا وقال الله تعالى في الآية أن الرسل قبله كذبوا وأوذوا وصبروا كما عرفت من أخبارهم ولك الاسوة بهم .
(٣) الخطاب قبل الآية وبعدها للنبي فيكون نعت النبي في الآية عائدا اليه أيضا .
(٤) ينطوي في الآية تقرير كون النبي محمد رسولا مثل المرسلين من قبله .
(٥) ينطوي في الآية بيان كون النبي قدم نفسه رسولا .
(٦) في الآية الاولى من السورة وجه الخطاب للنبي بأن الله أنزل عليه الكتاب ليخرج الناس من الظلمات الى النور فيكون وصف الرسول في هذه الآية عائدا اليه .

جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ..) .

النحل ١١١و١١٢[٧]

٨ ـ (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ..)

الانبياء ٥[٨]

٩ ـ (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ..)

الانبياء ٢٥[٩]

١٠ ـ (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا .)

الفرقان ٧[١٠]

١١ ـ (وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) ..

الفرقان ٣٠و٣١[١١]

١٢ ـ (يس والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين ..)

يس ١ ـ ٣

١٣ ـ (بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين . ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ..)

الزخرف ٢٩و٣١

١٤ ـ (وأسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ..)

الزخرف ٤٥

١٥ ـ (فلا أقسم بما تبصرون ومالاتبصرون . انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين ..)

الحاقه ٤٠ ـ ٤٣

١٦ ـ (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا ..)

المزمل ١٥

---

(٧) (المثل مطروق) لأهل مكة والرسول هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٨و٩و١٠) واضح من الآيات ان النبي قدم نفسه رسولا .

(١١) في الآيتين وصف للنبي بالرسول والنبي معا .

ولا يملك المرء ازاء كثرة الآيات التي تغافل عنها الخوري عمدا بدون ريب الا أن يعجب من صفاقته ووقاحته وغثاثته في دعواه وزعمه .

وثانياً : ومما يحلو للخوري الحداد التركيز عليه في صدد صفة النبي صلى عليه وسلم (**بشريته**) وما ورد في القرآن من هدايته بعد الضلال . ومعاتبته على بعض امور ومواقف صدرت في بعض الظروف . وتكرار أمره بالاستغفار من ذنبه . والاشارة الى ما وضعه الله عنه من وزر انقض ظهره . وتحذير من الشك في ما أنزل عليه والافتراء فيه . والافتتان عنه رغبة في الاستجابة لبعض مطالب المشركين . وعدم الاستجابة لفقراء المسلمين والاهتمام بأغنياء المشركين ووجهائهم وضيق صدره من بعض ما أنزل عليه الخ .. كما جاء في الآيات التالية ..

١ ـ (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم . ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ..)

النساء ١٠٥ ـ ١٠٧

٢ ـ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ..) الانعام ٥٢

٣ ـ (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ..)

الانعام ٦٨

٤ ـ (كتاب أنزلناه اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ..)

الاعراف ٢

٥ ـ (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون

عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ..)

الانفال ٦٧ — ٦٩

٦ — (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين .)

التوبة ٤٣

٧ — (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ..)

التوبة ١١٣

٨ — (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين . ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ..)

يونس ٩٤ — ٩٥

٩ — (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ..)

هود ١٢

١٠ — وان كادوا ليفتنونك من الذين أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا. اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ..

الاسراء ٧٣ — ٧٥

١١ — (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا ..)

الكهف ٢٣ — ٢٤

١٢ — (واذ تقول الذي أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك مالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ..)

الاحزاب ٣٧

١٣ — (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ..)

غافر ٥٥

١٤ — (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ..)

محمد ١٩

١٥ — (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا ..)

الفتح ١ — ٣

١٦ — (عبس وتولى . أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكّى . واما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ..)

عبس ١ — ١٣

١٧ — (ووجدك ضالا فهدى ..)

الضحى ٧

١٨ — (ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ..)

الشرح ١ — ٤

ولقد أهتم الخوري لابراز هذه النقاط خاصة في سياق المقارنة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حيث قال : (أن القرآن لم يذكر للمسيح اثما ولا علاقة باثم . ووصفه بالزكي في أية سورة مريم هذه (لأهب لك غلاما زكيا) بمعنى طاهر . وجعله مباركا أين ما كان كما جاء في آية سورة مريم هذه (وجعلني مباركا أين ما كنت) وان الله وقاه من الشيطان حين استجاب لدعاء أم مريم في آية سورة آل عمران هذه (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٣٦) وانه لم يكن للشر عليه سلطان على الاطلاق . وأورد حديثين عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء في أحدهما (ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد

فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها واقرأوا إذا شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) . وجاء في ثانيهما (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم . ذهب ليطعن فيه فطعن في الحجاب) بسبيل توثيق قوله .

ومقتضى كلام الخوري عن عيسى عليه السلام أنه مصروف عن أي ذنب وإثم وشر فلا يستطيعه بحيث يمكن أن يقال من باب المساجلة انه ليس في الحالة هذه مزية ما .

وليس في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم بدع يصح أن يساق كنقطة ضعف فيه . وقد قال الخوري تعليقا على آية يونس (٩٤) انها أعظم آية في القرآن تدل على بشرية النبي وضعفه البشري . ولقد أمر الله النبي بأن يعلن بشريته في أكثر من آية كما جاء في آية سورة الكهف هذه (قل إنما أنا بشر يوحى الي انما الهكم اله واحد ..) وآية سورة فصلت هذه (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ..) . ولقد أمره أن يعلن أنه لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يعلم الغيب وانه ليس بملك كما جاء في الآيات التالية :

١ ــ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي ..)

الانعام ٥٠

٢ ــ (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ان انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .)

الاعراف ١٨٨

٣ ــ (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ..)

يونس ٤٩

ولقد أشار القرآن الى بشريته في آيات عديدة أخرى في سياق بيان كونها ليست بدعا وكون ذلك سنة الله في انبيائه ورسله كما ترى في هذه الآيات :

١ ــ (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ..)

الرعد ٣٨

٢ ـ (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ..)

النحل ٤٣

٣ ـ (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أن يكون لك جنة من نخيل وأعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ..)

الاسراء ٩١ ـ ٩٤

٤ ـ (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لاتعلمون . وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين ..)

الانبياء ٧و٨

٥ ـ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون .

الانبياء ٢٤

٦ ـ وما أرسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ..

الفرقان ٢٠

وظاهر من نصوص الآيات التي فيها معاتبات وتحذيرات وتنبيهات (أي آيات النساء ١٠٥ ـ ١٠٧ والأنعام ٥٢ و ٦٨ والاعراف ٢ والانفال ٦٧ ـ ٦٩ والتوبة ٤٣ و ١١٣ و ١١٧ ويونس ٩٤ و ٩٥ وهود ١٢ والاسراء ٧٣ ـ ٧٥ والكهف ٢٣ و ٢٤ والاحزاب ٣٧ وعبس ١ ـ ١٣) انها بصدد مواقف وبوادر كانت تصدر من النبي صلى الله عليه وسلم اجتهاداً ولا يكون فيها وحي ويرى فيها خيرا وفائدة ومصلحة للدعوة والمسلمين أو تفاديا من حرج إزاء الكفار والمشركين أو جلبا لزعمائهم . وكانت خلاف الاولى في علم الله المغيب عليه فكانت حكمة التنزيل تقتضي تنزيل تلك الآيات ليكون منها تنبيه وتعليم وتشريع . مع التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور ومواقف تكون صواباً في علم الله وحكمته فينزل في ذلك قرآن مؤيد .

وكل هذه الاجتهادات من مقتضى بشرية النبي صلى الله عليه وسلم . وليس هو فيها بدعا ، وفي أسفار العهد القديم والحديث التي يقدمها الخوري ويصفها بأنها الكتاب المقدس والتوراة والانجيل صور كثيرة من مثل ذلك معزوة الى أنبياء الله ورسله والى الله تعالى بسبيل التحذير والتنبيه .

والخوري يعرف ذلك طبعا ولكنه يقف منه بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم موقف التجريح والتشكيك . وقد يكون تكرار أمر الله تعالى للنبي بالاستغفار متصلا بتلك الاجتهادات التي تكون خلاف الاولى في علم الله المغيب عنه أو بسبب ما يمكن أن يبدر منه من لمامات وهفوات ونسيان مما هو مقتضى بشريته . وكل هذا من النوع الذي يدخل في عفو الله بصورة عامة بالنسبة لسائر الناس على ما تفيده آيات سورة النجم هذه « ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ٣٢و٣٣ » غير انها تكون بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم من قبيل (حسنات الابرار سيئات المقربين) فيأمره الله بالاستغفار منها ويكون في ذلك تعليم للمسلمين بذكر الله واستغفاره لما يصدر عنهم من لمامات وهفوات ..

وفي القرآن آيات تذكر أن ذلك شأن المتقين وواجبهم . وانهم كانوا يفعلونه ، منها هذه الآيات (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وقد أثرت أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيد أنه كان يستغفر الله كثيرا وكان يحث المسلمين على الاستغفار لله ويعلمهم صيغا له مما هو متصل بذلك ومتسق معه . من ذلك حديث رواه مسلم وابوداود عن الأغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (انه ليُغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة) ومن ذلك حديث رواه ابو داود والنسائي بسند صحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا . ومن كل هم فرجا . ورزقه من حيث لايحتسب) .

والمفسرون مجمعون على أن آيتي سورة يونس ٩٤ و ٩٥ من قبل التثبيت وليست بسبيل واقع قد ندد به . والضلال الذي ذكر في آية الضحى ليس في معنى ارتكاس النبي صلى الله عليه وسلم في عقائد قومه قبل البعثة وانما هو في مقام التنبيه على ما كان من موقفه الحائر بعد أن أنف

منذ وعيه من السير على عقائد وتقاليد الجاهلية واتجه نحو ربه وحده فهداه الله إلى ملة إبراهيم حنيفا وأمره بالاعلان عن ذلك في آيات سورة الانعام هذه « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ١٦١ – ١٦٣ » .

ولقد تغافل الخوري عن ما في الآيات التي تذكر بشرية النبي وتأمره باعلان ذلك وتسجل معاتبات وتحذيرات الله تعالى على ما بدر منه من اجتهادات ومواقف خلاف الاولى في علم الله المغيب عنه من تعبير عميق عن اليقين بأنها وحي الله الذي يجب أن يثبت في القرآن ويعلمه الناس مع انها شخصية . كما تغافل عن الثناء العظيم الذي انطوى في آية سورة القلم « وانك لعلى خلق عظيم » التي هي من أولى الآيات نزولا والتي تعبر عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مواهب وأخلاق عظيمة قبل البعثة ارتقى بها الى ذروة الكمال الانساني وأهلته لاصطفاء الله اياه لرسالته العظمى الخالدة والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ولقد تغافل الخوري الى هذا عما كان من شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه حتى ليكاد يبخع نفسه كما جاء في هذه الآيات .

١ – لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . .
الكهف ٦

٢ – لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . .

الشعراء ٣

٣ – فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات . .

وكون ذلك هو الذي كان يجعله يجتهد بعض تلك الاجتهادات التي كان يراها الله تعالى خلاف الاولى المغيب عنه .

هذا ديدن الخوري في كل ما يسوق ويتمحل حيث يغفل عن ما في القرآن من حقائق تضع الامور في نصابها الحق وحيث يصح عليه قول الله « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » .



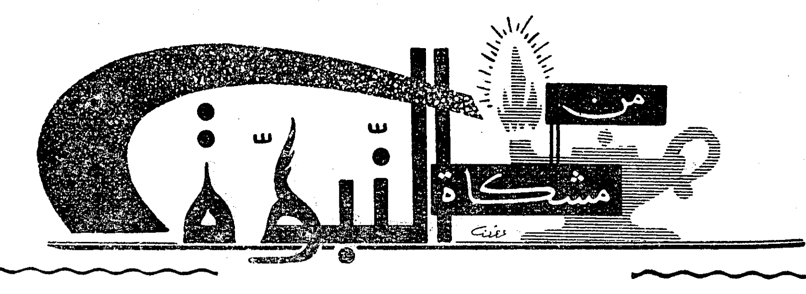
مِنْ مَعَالِمِ التَّنزِيلْ

قال تعالى :

« أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثَمُودَ وقَوْمِ إِبْراهِيمَ وأَصْحابِ مَدْيَنَ والْمُؤْتَفِكاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَمَا كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ

الْمُنافِقُونَ والْمُنافِقَاتُ بعضُهم مِن بَعضٍ يأْمرُونَ بالمنكَرِ وينهَوْنَ عن المعروفِ وَيَقْبِضُونَ أَيدِيَهم نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهم إِنَّ المنافقينَ هم الْفاسقون ★ وَعَدَ اللهُ المنافقينَ والمنافِقاتِ والْكفَّارَ نارَ جهنَّمَ خالدِينَ فيها هيَ حَسْبُهُم ولَعنَهُمُ اللهُ ولهم عَذابٌ مُقِيمٌ ★ كالَّذينَ مِن قَبْلِكُم كانوا أَشَدَّ منكم قوَّةً وأَكْثَرَ أَموالاً وأَولاداً فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِم فاستَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُم كما استمتع الذين مِن قبلكُم بِخَلاقِهِم وَخُضْتُم كالذي خَاضُوا أُولئك حَبِطَتْ أَعمالُهُم في الدُّنيا والآخِرَةِ وأُولئك هم الخاسِرُونَ »

(٦٧ — ٧٠ سورة التوبة)



مع بلال بن رباح

عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ :
[يا بلالُ حدِّثني بأَرجَى عملٍ عملتَهُ في الإِسلامِ منفعةً عندك فإِنِّي سمعتُ الليلةَ خشْفَ نعليكَ بين يديَّ في الجنَّةِ . فقال : ما عملتُ في الإِسلامِ عملاً أَرْجَى عِندي منْفعةً من أَنِّي لا أَتطهَّرُ طُهوراً تاماً في ساعةٍ من ليْلٍ أَو نهارٍ إِلاَّ صلَّيْتُ بذلك الطُّهورِ ما كُتبَ لي أَن أُصلِّيَ .]

أخرجه الشيخان

وروى البخاريُّ عن جابر قال : [كان عمر رضي الله عنهما يقول : أَبو بكْرٍ سيِّدُنا وأَعتقَ سيِّدَنا ، يعني بلالاً رضي الله عنهما] .

مع ثابت بن قيس

وأخرج الشيخان عن أَنس بن مالك رضي الله عنه قال : [افتقدَ رسولُ الله ﷺ ثابتَ بنَ قيْسٍ . فقالَ رجلٌ : يا رسولَ الله : أَنا أَعلَم لك علمَهُ . فأَتاه فوجَدَه جالساً في بيتِهِ مُنكِّساً رأْسَهُ يبكي . فقال : ما شأْنُك ؟ قالَ : شَرٌّ ، كانَ يرفَعُ صوتَه فوق صوتِ النبيِّ ﷺ ، فقدْ حبطَ عملُه وهو من أَهلِ النار . فأَتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأَخبَرهُ ، فقالَ : اذهبْ فقُل له إِنَّك لستَ من أَهل النَّار ولكنَّك من أَهل الجنَّةِ] .

فضل العلم والعلماء *

للشيخ محمد الحامد رحمه الله

الحمد لله : والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله • وعلى آله وصحبه وتابعيهم باحسان ، وبعد فالسلام عليكم أيها الاخوان ورحمة الله وبركاته •

نحتفي هنا بسيد كريم من اعلام العلماء وفاضل عظيم من أنبل النبلاء ، له في الفضل قدم راسخة ، وفي العلياء كعب عال ، وهو في النفع للخلق فياض تعليما وتسديدا ، وحنانا على الضعفاء ، وقضاء لمصالحهم بيد مبسوطة ، وكف ندية ، وعطاء في سخاء ، وتواضع شريف في حسن لقاء ، وبشاشة عذبة تمشي الى الروح فتجعلها أسيرة هذا اللطف النادر ، يمتزج بجليسه متخليا عن الأبهة والمنصب ورفعة القدر وعن أن يشعره أنه فوقه علما ومعرفة ، فيكون اختلاط روحاني تطيب به المجالسة وتحلو المؤانسة : ان شيخنا الجليل له في علو الشأن اطراف يأتي المتكلمون عليها في هذا الحفل • وحسبنا جماعة العلماء أن نمسك بطرف منها ، وأن نسير متحدثين عن ناحية من نواحيه ، ومن الحق أن نعترف بأنه تقدمنا فيها حتى أعجزنا سبقا :

حديثنا عن سماحة المحتفى به من حيث علمه ، وهو الخصوصية التي تقع المشاركة فيها بينه وبين العلماء• والعلم هو العلم ، ولولا العلماء ما كان هدى وما كان رشاد ، وما كانت تقوى لله قوية الاسس ، سليمة الاتجاه ، صحيحة النتائج •

العلم هو النور الذي اشرقت به قلوب العارفين فساروا في سلام ، وبلغوا المنزل في أمان ، ولم يرتطموا بالعقبات المعترضة والموانع النابتة ، ولم تزل بهم القدم فأفضوا الى ما يحبون موفقين مرضيين •

جاء الاسلام يحترم العلم ويجل

---

(١) كلمة القاها ــ أجزل الله مثوبته ــ في الحفل الذي أقيم لتكريم فضيلة مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعساني رحمه الله بمناسبة قضائه سبعين عاما ونيفا في تخريج ناشئات متلاحقة تتحلى بالاخلاق والفضيلة في مدينة حماة .

العلماء ويطلب أن يعرف لهم فضلهم اجلالا وتكريما وسمعاً وطاعة ، وهل أدل على التكريم البالغ من قول الله سبحانه :

(شهد الله أنه لا إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) فأضاف شهادتهم الى شهادته وشهادة ملائكته ، وتلك منقبة لم يسم اليها غيرهم ، وعلياء لم يرقها سواهم . انه سبحانه عليم يحب كل عليم وقد شاء أن لاتكون مساواة بين عالم وجاهل وانزل في هذا قوله الكريم :

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر اولو الالباب) .

ومن حبه سبحانه لمن أخلص له في علمه ونصح للناس أن يلهم الكائنات استغفارا له ودعاء ، تنويها بشأنه ورفعا الى رتب علية لايبلغها الا المؤثرون لديه بالفضل والكرامة : فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان احدهما عابد والآخر عالم فقال عليه الصلاة والسلام : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) . رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح : ومعاذ الله أن يعذب الله العالم العامل وقد أراد وجه ربه بعلمه ودأب على بثه ونشره ناصحا حتى مات على خير ، الله عز اسمه أكرم من هذا وأجل ، فقد روى الطبراني في جامعه الكبير عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء ، اني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم : اذهبوا فقد غفرت لكم) . ولايقف التكريم الالهي للعالم المخلص عند هذا دون أن يوقفه موقف الشافع المقبول الذي يسأل فيجاب ويشفع فيشفع بما قدم من تربية صالحة ، وأسلف من توجيه سديد ، روى البيهقي وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يبعث العالم والعابد فيقال للعابد : ادخل الجنة، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم) .

وقد بلغ الاسلام في اجلاله لحملة العلم أن هدد على اضاعتهم بما هو

بعيد الاثر في النفس يصل الى اغوارها فيرهبها من هذه الاضاءة المتوعد عليها بالتبرؤ من ذويها وان تبرؤ النبي صلى الله عليه وسلم يؤذن بالنقمة المنصبة والمقت والطرد ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) • رواه الامام احمد بسند حسن والطبراني والحاكم الا أنه رواه بلفظ (ليس منا) •

بل قد جعل الاسلام الاستخفاف بالعالم أمارة على أن في القلب نفاقا مستكنا واعوجاجا واضحا بهذا الأثر الدال عليه• روى الطبراني في جامعه الكبير عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (ثلاثة لايستخف بهم إلا منافق ، ذو الشيبة في الاسلام، وذو العلم ، وامام مقسط) •

وبعد : فان استاذنا أطال الله أيامه في عافية ، جدير به الاكرام ، ولائق به الاحترام اذ هو في علمه الجم الغزير ليس مجرد جامع لشتات المسائل ومستقص لها وملم بها فحسب في غير ملكة استبصارا ومتانة تحقيق وعقلية علية لاتكون في أخص الخاصة من أهل العلم دون عامتهم ، كلا : انه آخذ من هذا كله بحظ وافر ونصيب كبير ، العقلية العلمية هي الاصل في النضوج العلمي وهي نتيجة عاملين بل ثلاثة عوامل : اولها : التكوين الالهي • والله تعالى رفع بعض الناس فوق بعض درجات، مالا وجمالا وقوة في الاجسام وفي العقول • ثانيها : الايغال في العلم والجد في تحصيله دأبا متواصلا ، وعملا دائما ، وسعيا حثيثا متلاحقا كي تجتمع الثروة العلمية وتكون الملكة التحقيقية التي بها يقع التمييز بين المسائل قبولا وردا ، ومقاربة ومباعدة وموافقة ومفارقة، وتركيزا للاصول، وتمييزا بين الفروع ، والحاقا لها باصولها التي تفرعت عنها ، ونظما لكل في سلك أشباهه ونظائره • ليس من الفضل الكبير أن يكون المرء وعاء علم غزير المعرفة ولكنه الى جانب هذا ضيق الافق مغلق الفكر تختلط الامور في ذهنه الذي ليس له من الحصافة ما يقوى به على تنظيمها •
وثالث العوامل : تقوى الله التي تورث القلب نورا هو الفرقان الذي تحدث عنه القرآن الكريم بقول الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) • ويرحم الله الامام مالك بن أنس حيث يقول :

ليس العلم بكثرة المسائل ، العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده . وسماحة شيخنا المحتفى به قد اجتمعت فيه هذه العوامل الثلاثة فهو ذو ذكاء نادر منحدر اليه من آبائه العلماء ذوي المحتد الكريم ، والمعدن الطيب العليم .

وهو جاد في العلم منذ بدايته الى نهايته وقد أخبرني وأنا في مبدأ طلبي للعلم حاثا ومرغبا أنه شغف في بدايته بالعلم فكان يدأب على المطالعة ليلا فيفرط في السهر الى أن تقوم أمه أو جدته الى المصباح فتطفئه اشفاقا عليه لينام فينال الراحة اجبارا . وأما تقواه لله ربه فأمر مشهود يبرهن عليه صيامه وقيامه وتلاوته وأذكاره وقد تلقى الشأن عن أهله وسلك طريق المجاهدة والتصفية فهو روحاني عميق وعالم دقيق ، ذاق لذة التحقيق ، وعرف نشوة أهل الطريق ، وما لم يكن العالم كذلك فهو في جفاف وصلف ، تفوح منه ريح الكبرياء والتعظم على الخلق ويكون النفع به جد ضئيل: وقد جاءت الاحاديث النبوية الشريفة تنهانا أن نكون من جبابرة العلماء .

وسماحة أستاذنا على ما فيه من ملكة علمية ، متواضع لطيف وقد قال لي من زمن بعيد : أنا لا أترك مذاكرة أهل حرفتي من الفقهاء فيما أسأل عنه تحرياً للصواب في الافتاء وليقل الناس فيَّ ما شاؤوا ، ويعني بالناس من لا بصر له بالمسائل الفقهية العويصة المتشابهة والمتفارقة ، ولاسيما فقه السادة الحنفية المستبحر ، والذي شأن فقهائه أن يتشاوروا بينهم فيما يعرض من واقعات ويجد من نوازل ، ومهما كان العالم عاقلا وتقيا شاور زملاءه العلماء ومتى استكبر وأبى ، أبى الصواب أن يكون حليفه وارتطم في الخطأ مرة بعد أخرى غير معذور وغير موثوق بعلمه ولا بعقله ، وكان جزاه الله تعالى عن الاسلام خيرا يحرص على أن ينمي فيَّ ملكة التحقيق ويقول لي :

لا ينال لقب المحقق والمدقق مطلق محصل للعلم .

وكان أيضا يحب لي من عهد بعيد أن أشاركه في البحث عن أجوبة الاسئلة التي تتجه اليه كمفت للديار الحموية ، وأين مقامي من مقامه؟؟ وشتان ما بين القليل والكثير ، والصغير والكبير ، لكنه الاخلاص وقد أملى عليه أن يمرنني على أن أكون في العلم عمليا لا نظريا فحسب: ومن شغفه بالتحقيق أن يختار لدرسه الخاص من الكتب ما فيه مجال للبحث الذي تنال به العقول العلمية

نهمتها وحظها ولذتهـا ، انه مثـلا
يدرس تفسير الامام البيضاوي الذي
لايقوى على توضيحه بحقوا لا أقوياء
العلماء المشاركون في عدة فنون ،
والذين يسبرون غور العبارات العلمية
فحصا عن مخبآت معانيها غير قانعين
بالسطحيات وما استتر وراء الالفاظ
استتارا قريبا ، لكنه أدام الله توفيقه
لايعتدي في بحثه الدقيق حدود الله
علما منه أن للعقل البشري مـداه
المحدود ، فهو فيما يقتضي التسليم
والتفويض من النصوص الدينيـة
كالمتشابهات مفوض حقائق معانيها
الى الله تعالى ، منزه جنـاب الرب
الكريم عن أن يشبه شيئا أو يشبهه
شيء ، ويعجبه جدا ما ذهب اليـه
سلف الأمة من صحـابة وتابعـين
وتابعيهم اذ لم يقتحموا لجج التأويل
مطلقا ، وكان يوجهني من مبدأ طلبي
للعلم الى هذا المذهب ويقول لي :
انمـا يسلك التأويل من يتلاعب به
الشيطان ويخاف عليه سوء العقيدة ،
وقد عرفت أن هذا الذي قاله هو
المعتبر عند العلماء أسلم وأحـكم
وأعلم ، وشيخنا في هذا متأس بأمثال
الامام احمد بن حنبل رحمـه الله
تعالى ورضي عنه وقد قال فيه ابن
الجوزي البغـدادي الحنبلي مـن
أعيـان المائة السادسة الهجرية :
ومـذهبـه أ ن لا يشبـه ربـه
ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
وقد أنشدنا شيخنا المحتفى به
غير مرة قول القائل ينزه الله تعالى
عن أن تـدركه العقول وينعي على
الفلاسفة تعمقهم فيما اتلفوا به أنفسهم:

تـاه الأنـام بسكرهـم
فلذاك صاح القوم عربد
تا الله لاموسى الكليـم
ولا المسيـح ولا محمـد
كلا ولا النفس البسيطة
لا ولا العقـل المجـرد
علمـوا ولا جبريـل وهو
الى مكان القدس يصعد
من كنـه ذاتك غير أنك
أوحـدي الذات سـرمد
فليخسـأ الحكمـاء عـن
حـرم له الامـلاك سجـد
من أنت يارسطـو ومن
افـلاط قبلـك يا مبـلد
ومـن ابن سينـا حـين
هذب ما اتيت بـه وشيـد
ما انتمـوا الا الفـراش
رأى السـراج وقـد توقد
فدنـا فأحـرق نفسه
ولو اهتدى رشـدا لأبعد

وبعد فان أبرز صفة في سماحة
استاذنا الجليل حبه للتعليم الذي
شغله عن التأليف وله فيه لذة خاصة
وقد أنشأ مدارس عدة قبل أن تكون
للدولة مدارسها الكثيرة انه يعنى

بالاطفال عملا كما يعنى بهم علما ، فتجديد العقيدة وتسليمها من الدخل، وتحسين السلوك، والتمرين على العبادة ، والاهتمام بالنظافة ، كل هذا مع العلم الصحيح موجود في مدارسه تمدها جمعية اعمال البر الاسلامية التي أنشأها منذ أكثر من اربعين عاما على أساس محكم وحساب دقيق لاتستطيع التهم أن تنفذ سوره الاملس المتين ، يعاونه في ذلك رجال أمناء لهم في عمل البر رأي جميل •

ومن بعد نظر سماحته ومعرفته بزمانه أن سلك بها مسلك البعد عن السياسة فسلمت رغم ما تعاقب من دول وتوالى من حكم وما تزال حتى الآن حية مثمرة دارة بالنفع فائضة بالخير عاملة بالبر •

ومن حبه للتعليم انه رغم تقدمه في العمر لايفتأ يجلس كل ليلة بعد الغروب في جامع نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى وتبارك يعلم الناس القرآن الكريم تجويدا وحسن أداء ، حتى أنه في السفر الشرعي الذي تتغير به بعض الأحكام من عزيمة الى رخصة كقصر الصلاة الرباعية والافطار في رمضان • إنه فيه دائب على التعليم ما وجد اليه سبيلا •

واليكم هذا المثال الطريف من حوادثه حفظه الله : كنت في دمشق من نحو عامين فدخلت جامع السنجقدار للصلاة وانصرفت الى المتوضأ وانصرف ولدي محمود الى المصلى الداخلي وكان شيخنا هناك ـ فقال للطفل ـ ولا يعلم أنه ولدي ـ هات مصحفا واقرأ علي وأنا اسمع فجئت اليهما والمصحف الشريف في حجر الطفل يقرأ منه والشيخ يستمع ويصحح له قراءته، فكان منظرا سارا بحق ، وزاد من فرح سماحته علمه بعد أن الجالس اليه ولدي • وفي الحديث الشريف: (ان لله ملائكة يسوقون الاهل الى الأهل)

واستاذنا وفي ودود ومن وفائه انه لايزال يذكر بالخير والثناء خدمة خدمها أبي إياه رحمه الله تعالى في حجة حجاها منذ أكثر من خمسين عاما •

وهو ذو تقشف في العيش وله ولع خاص بجمع الطلبة والفقراء في حجرته بالمسجد وتقديم الطعام لهم من صنع يده يطبخ ويغسل الآنية ويأكل معهم ، وأشهد أني رأيته مرة بعد أن صلى العشاء الآخرة وخلا المسجد من الناس غيره وغيري فدفع فقير صدقة مستمنح كان ثالثنا في المسجد ، ثم اضطجع الشيخ يقول بلهجة الخاشع الباكي الى ربه (لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت

من الظالمين)• ويرددها في تضرع وابتهال كان هذا من نحـو ثلاثين سنة • هذا التقشف في العيش أصل أصيل يعتمده الطلبة الشـرعيون في مبادىء حياتهم العلمية كما يعتمده أهل السلوك في ارادتهـم أوائل سلوكهم ، وشيخنا حفظه الله تعالى يأخذ الطالب بما يأخذ به الشيوخ مريديهم فيريده متقشفاً في عيشه وكان يقول لنا : متى كان الطالب منصرفا الى الرفاه في عيشه لا يجيء منـه شيء •

ويحرص سماحته على أن يلحق الطالب الشـرعي خصوصا بنافـلة الصالحين أهل السير الى الله تعالى وكم مرة قال لي : لاتزول رعونات النفس الا بالسلوك على يد مرشد مهذب : لكنه حفظه الله تعالى وبارك عليه من السعة بحيث يتحمل نزق الطالب في بدايته قبل أن تأخذ الامور مراكزها الصحيحة من ذهنه • رآني مرة وقد اعترتني حـيرة في بعض ما يختلف فيه الناظرون الشرعيون ولكل وجهته ومشربه ، بحسب مايرى رآني أطلب الحق في غير هـوى ولا تحيز ، لكن موانع علمية قامت تصدني عن السير مع أهل السلوك بحسب تصوراتي الضيقـة وقتئذ، فالتفت الاستاذ الى شيخ قديم كان الى جانبه قائلا له ان هـذا سيصل الى الحق ان شاء الله تعالى لانـه مخلص في تعرفه وطلبه ، فكان هذا القول تبشيرا من سماحته وصدق فراسته بما أوقفني الله عليه بعد من الحقائق على يد أهل الذوق والمعرفة بالله سبحانه فله جل وعلا شكري بما من به ومنح ، ولاستاذي أيضا ثنائي الجميل بما نظر وبشر •

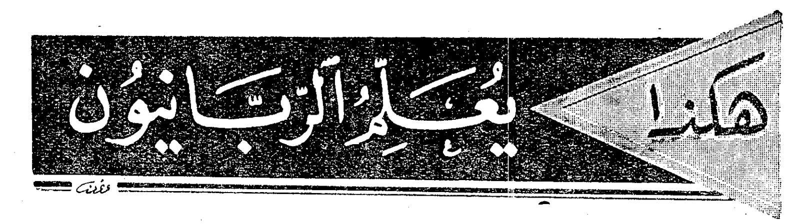
ومن شأن شيخنا رعاه الله أنه يريد من طالب العلم أن يكون عليّ الهمة ، وثابا الى المعالي ، واحد الاتجاه ، يريـد الله بطلبه غير مائل في خبيئة نفسه الى الدنيا وزخرفها • اذكر انه دخل علينا حجرة الدرس بالمدرسة الشرعية منذ ثلاث وثلاثين سنة ونحن طلبة صغار فسأل طالبا منا عم يقصد من العلم ؟ فقال : الوظيفة والمعيشة• فلم يرضه هذا الجواب وفنده أتم تفنيد ، ثم كانت منه بيانات دينيـة رفيعة ترفع الهمة ، وتوحد القصد، وتعرف صحيح النية لئلا يكون تلفت فيها ولا تفرق قلب ، بل امتلاء بحب الاسلام والحرص عليه •

ومن صفاته النادرة انه عامـل للخير العام وذو أمل واسـع في تحصيله ، لا يقعده عن العمل لـه قلة مادة ولا كبر سن ، وقد تحقق على يده من هذا ما كان يظنه بعض الناس خيالا من الأخيلة • ما زال

يلهج بايواء العجزة في دار ينعمون بها ويهنؤون ويخلصون من شدائد الحياة التي تلح عليهم في بؤسهم — أقول مازال يلهج بها ويعمل لها حتى كانت كما نعلم كاملة مريحة وله فيها اليد الاولى .

وما فتىء يتحدث ببناء دار للافتاء تتفق وكرامة هذا المنصب في هذا العصر الذي تعقل فيه المظاهر وتحترم حتى بنيت ، وعما قريب تكمل وتتم ان شاء الله تعالى . وقد قال لي من قريب : انكم ستبقون بها من بعدي : واننا معشر الشرعيين نسأل الله طول البقاء في عافية وخير واصلاح . فلسماحته على كثير من طلبة العلم يد بيضاء مشكورة ، ونحن ممتنون من لطفه واحسانه ومعروفه الكبير الذي لاينكره الا المحجوبون بالمعاصرة عن شهود مناقب معاصريهم ونعوذ بالله سبحانه أن نكون منهم ، وان الأعتراف بالجميل جميل ، والله تعالى يتولى حسن جزائه عنا .

هذا ولا يفوتني قبل أن أغادر هذا المكان أن أشكر للقائمين على هذا الحفل احتفاءهم بسماحة استاذنا الكبير في علمه وسنه وعمله الصالح . والذي هو دعوة جده العلامة البر التقي الشيخ نعسان الوردي فقد أخبرني استاذي انه دعا له بأن يجعله الله ممن طال عمره وحسن عمله . أيها المحتفون بشيخنا : لقد كرمتم العلم بتكريمه ، ورفعتم من قدر الاسلام المتمثل في علمائه ، ان هذا التكريم عام في خصوصيته ، أصاب حظا منه أصحاب العلاقة الدينية الاسلامية وما أكثرهم في الوجود ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



من مآثر عمر رضي الله عنه

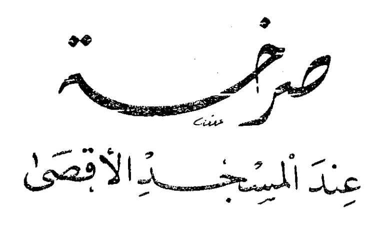
كنتم أذلّ الناس

● روي أنه لما قدم عمر رضي الله عنه الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فامسكهما ، وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال أبو عبيدة : لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فصكّ في صدره وقال : أوّه لو غيرُك يقول هذا يا أبا عبيدة !! إنكم كنتم أذلّ الناس فأعزكم الله برسوله ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

● وجاء في رواية أخرى : أنه لما قدم رضي الله عنه الشام ، استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً فقد تلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر : لا أراكم ههنا ، إنما الأمر ههنا ـ وأشار بيده الى السماء ـ خلّوا سبيل جملي .

أسعد الرعاة

● وكتب الى عامله أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، أما بعد : فان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السمن ، وإنما حتفها في سمنها والسلام عليك .



صرخة عند المسجد الأقصى

مسرحية ذات فصل واحد

للدكتور عماد الدين خليل

المنظر : مسجد الصخرة وقد سقطت بعض جوانبه .. الدخان لا يزال يتصاعد . السور الخارجي والفسحة الامامية تبدوان بوضوح في الجهة القريبة من المسرح . أما صحن المسجد : فلا يبدو منه سوى جزء صغير في الجهة البعيدة من المسرح . حارسان اسرائيليان مسلحان يذرعان السور جيئة وذهابا .. يتحدثان وعيونهما تراقب بحذر وتوجس جوانب المكان .

الحارس الاول : اذا استطعنا أن نصمد لعاصفة السخط التي سيثيرها الحريق في انحاء العالم ، كما صمدنا من قبل ، فان مستقبلا عظيما ينتظرنا ..

الحارس الثاني : هيكل سليمان يعود ؟! غفرانك يا يهوذا .. يارب اسرائيل .

الاول : يقام من جديد .. بعد انتظار الفين وخمسمائة من السنين !! أمل لم يكن أجدادنا ولا حتى آباؤنا يتوقعون أن يشهده التاريخ .. وها نحن نقف على مشارف العصر الذي انتظرناه طويلا .. البناء وهو يقام !! ان سليمان سيباركنا في السماء ..

الاول : ولكنه لن يغفر لناالشتائم القاسية التي ألحقناها به وبآبائه عبر العصور ، والتي تعج بها كتبنا المقدسة !!

الثاني : سوف يغفر .. سوف يغفر . انه بمجرد أن يرى الهيكل يقام على قواعد من الذهب الخالص، فسوف يسكر منتشيا ، وسينسى كل شيء . أي نبي في الارض يرى هذا الذهب ثم تتبقى في نفسه اثارة من غضب ، لا لشيء الا لأن سبابا قاسيا لحقه في يوم من الايام ؟ اي أعمى لاينساب بريق الذهب الى ضميره ووجدانه فيغسل ما علق بهما من أوهام وخرافات ؟!

الاول : (مشيرا الى قبة المسجد) ولكن هذه .. هذه ..

الثاني : (ضاحكا) بالامس أحرقنا جانبا كبيرا من المسجد، وأحلناه الى ركام ودخان. وغدا.. عندما تسكن عاصفة الغضب والاحتجاج ، سوف نخطو الخطوة التالية ، فنهدم هذه القبة من الجذور .

الاول : لن أصدق هذا .. لن أصدق هذا ..

الثاني : بلى ، سوف تراه بأم عينيك .. ستفتحهما يوما لترى المسجد الاقصى وقد غدا أرضا جرداء .. مساحة رائعة تمتد الى جهاتها الاربع بلا عائق .. وآنذاك ستبدأ معاول صهيون بحفر القواعد التي سيقوم عليها الهيكل الكبير..

الاول : يا اله اسرائيل ..ولكن

الثاني : ولكن ماذا ؟

الاول : لو يتمكن شعبنا من الصمود ازاء العاصفة ، لو يقدر قادتنا على تفتيت وحدة الحس الاسلامي في غمار مأساته التي نكبته بأعز ما يملك ، وأعادت الى وجدان كل مسلم ما كان يشعر به يوما من تواصل عميق مع سائر المسلمين في شتى أقطار الارض .

الثاني : لاتخف هذا التواصل.. ان تجارب التاريخ المعاصر ، على ثقلها وعنائها ، لم تستطع ان تعيده الى ضمائر المسلمين وقلوبهم .. فهل بامكان حريق بسيط كهذا ان

يعيده ؟! ان القطيعة التي تتآكل مسلمي اليوم، الجدران التي تعزلهم واحدا عن الآخر ، والسدود التي اقامها اصدقاؤنا بين حكامهم وشعوبهم جميعا ، سوف تتيح لنا ان نمضي الى هدفنا دونما رهبة أو تردد أو خوف .

الاول : ولكني ألمح اليوم نذير عاصفة مخيفة توحي الي ان الوحدة القديمة بين المسلمين ، وحدة الضمائر والقلوب .. ستعود .. يجمعها الحزن الذي أثاره الحريق ، ويشدها الغضب الهائل الذي أحال كل قلب الى قطعة من جمر تقذف نارا ، تبدو وكأنها ستستحيل يوما الى جحيم لن تصمد اسرائيل على الوقوف ازاءها ..

الثاني : يبدو انك متشائم أكثر مما يجب . وانني أذكر جيداً يوم انتصرنا على العرب في حرب الايام الستة . كيف ملك الخوف عليك أقطار نفسك ، ورحت تؤكد لي انهم سينتقمون .. وان انتقاما مريعا ستشهده اسرائيل ، انتقاما لايبقي على شيء في صهيون ولا يذر .

الاول : ولكن خوفي اليوم ينبثق من معين أكثر رعبا .. واني لألمح بأم عيني ما سيجره علينا تدمير المسجد الاقصى .. ان القضية اليوم تتعلق بمصير الوجود الاسلامي كله .. سبعمائة مليون مسلم لايمكن أن يقفوا ساكنين تجاه رمز وحدتهم الاخير وهو يتداعى ، تأكله النار ، ويتصاعد الدخان من أركانه وبقاياه .. لايمكن لهم ان يدعوا الحزن يتآكلهم من الداخل ، وهم يقفون واجمين ، لايحركون ساكنا ، ولا يطلقون صرخة ..

الثاني : ان قادتنا أذكى من ان يسعوا ، بارادتهم ، الى مجابهة خطيرة كهذه . انهم — أولا — سيدمرون على المسلمين مسجدهم على مدى طويل ... موجات متعاقبة .. يباعد بينها الزمن ، ويلف النسيان آثارها واحزانها . وهم — ثانيا — يعلمون كيف يفتتون هذا

الحس الواحد، هذا الحزن المشترك وهذا الغضب المدوّي . ان قادتنا سيهيئون الارض لمولد احداث مضادة جديدة تمتص هذا الحزن وذلك الغضب وتفتته .. احداثا تبدو في ظاهرها عملا خطيرا ضد اسرائيل ، ولكنها في حقيقتها ليست سوى ستراتيجية اسرائيلية صميمة .. واني لأرى بوضوح بوادر هذا الامتصاص وذلك التفتيت !!

الاول : (يركع مصليا) يايهوذا .. يا رب اسرائيل .. اعط الفرصة لشعبك المختار كي يحقق ما حلم به منذ عشرات القرون .. ان يقام الهيكل ، وتصعد من اركانه الاربعة صلوات يهود .. تمجد الاله الذي ساق شعبه الى مصيره العظيم ..

(يمرق فدائيان فينقض احدهما على الحارس الاول ويطعنه بسكين ، بينما يقوم الفدائي الآخر بخنق الحارس الثاني بهدوء . يتنحّى الفدائيان جانبا بترقب وحذر، بينما يجتاز المكان ثلاثة فدائيين آخرين وهم يحملون مدفعا كبيرا لاطلاق الصواريخ .. يختفي الثلاثة ويبقى الفدائيان الاولان ..)

الفدائي الاول : اذا استطاعوا أن يصلوا بالمدفع الى المكان المحدد تماما، فسوف تستيقظ اسرائيل ، بعد ساعات ، على سماء القدس وهي تمطر نارا ..

الفدائي الثاني : بشرط أن تتمكن الوحدات الخمس الاخرى من نصب مدافعها في الاماكن المرسومة ..

الاول : لن يخالجني شك في ان الله سبحانه سيحجب عن عيون الاسرائيليين حركة اخواننا في قلب القدس .. ولن أشك في أنه ـ سبحانه ـ سيتيح لجنده عما قليل أن يصبوا حقدهم المقدس في قلب المدينة التي نفذت فيها المؤامرة الدنيئة !!

الثاني : لكم أتمنى ان أغدو قذيفة يصبها مدفع كبير على رأس من الرؤوس التي اسهمت في هذه المأساة (ينظر بأسى وغضب الى الدخان المتصاعد) .

الاول : ان الغضب يثور في اعماقي ، ولن يدعني أقر الى قرار، أو أعرف طعم النوم قبل ان ترغم حركتنا بني صهيون على الاعتقاد بأن مؤامرة كهذه ، وحدثا خطيرا كهذا ، لايمكن ان يمرا بسلام. اننا من جهتنا نؤدي دورنا في مدى قدرتنا .. ولو

أتيح لكل مسلم أن يتحرك ليؤدي دوره في مدى قدرته .. لو أعطيت الحرية لكل شعب مسلم ان يعبر عن غضبته وحزنه بحركة ما ، بتنفيذ فكرة ، بتحويل هذا الغضب وهذا الحزن الى أفعال وخطوات .. لو تم هذا وذاك .. لكان حريق المسجد الاقصى كفاءا لما فجر في قلوب المسلمين من غضب ، وما أحرق به أفئدتهم من سخط ورغبة عاتية في الانتقام .

الثاني : ترى هل تتحقق امنيتك هذه ، فيجد المسلمون أنفسهم وهم يتحركون بحرية تامة صوب حماية مسجدهم المقدس الذي نافح آباؤهم عنه قرونا طوالا . وهاهم اليوم يستيقظون على رؤى النار .. والدخان وهو يتصاعد من اطرافه .. وسيستيقظون غدا على أصوات المعاول والفؤوس وهي تزيح الركام لتبدأ عملها في اعلاء هيكل سليمان . ما الذي أتاح للمسلمين ، في الماضي ، ان يخلصوا مسجدهم من أخطار كهذه ؟؟

الاول : ليست سوى حرية الحركة .. حرية تحويل الكلمات الى خطوات ، والافكار الى اعمال ، والمشاعر الحبيسة الى نار حقيقية تتفجر في وجوه الذين سعوا الى دمار هذا المسجد .. الحرية التي أعطت لكل مسلم ، في الماضي ، فرصته الكاملة في ان يرفع سلاحه، في الوقت المناسب ، وان يتقدم ، دونما عائق ، لحماية مقدساته والانضواء تحت القيادة التي يراها جديرة باداء هذا الدور الخطير ..

الثاني : اما نحن فاننا نبرىء ذمتنا أمام الله .. وملعونون هم اولئك الذين خانوا العهد وأقاموا الاسوار أمام حرية المسلمين .. ملعونون هم أولئك الذين خنقوا الصرخة في نفوسهم ، والكلمات في حناجرهم ، والمشاعر الحبيسة الى دمار يسحقهم من الداخل ، ملعونون هم اولئك الذين سدوا الطريق امام الفكرة أن تغدو عملا ، ودمعة الأسى الحزينة ان تغدو انذارا ورعبا ينصب على رؤوس قتلة الانبياء ..

الاول : ترى ما الذي سيقوله المسلمون غدا لصلاح الدين وهو يسألهم ، دامع العينين ، عن ضياع المسجد الذي قاتل دونه طوال سني مسؤوليته ؟!

الثاني : اما نحن فان لدينا ما نقوله . ولكن ماذا لو رأى النار بنفسه تتصاعد من قلب المسجد ، والدخان ينبعث من بين الركام .. ماذا لو رآها بنفسه ؟!

(يتلاشى صوته .. يتلو ذلك اختفاء الفدائيين وصوت مجموعة من الخيول قادمة من بعيد .. مقدمة المسرح خالية لحظات .. وسرعان ما يظهر (المنادي) بملابس المسلمين في عصر الحروب الصليبية .. يقف عند أسفل الجدار

ويلمـــح الدخـــان المتصاعد بأسى عميق .. ثم ما يلبث ان يشير الى الجهة التي تنبعث منها اصــــوات الخيول .. وينادي :)

المنادي : السلطان صـــلاح الدين بن يوسف قادم عما قليــــل لاداء الصلاة .. يصحبه ابناؤه وحاشيته وقادته .. السلطان يلمح الدخـان من بعيد فتغمر الدهشة والقلق ملامح وجهه .. ها هو يقترب من مصدر الدخان .. يترجل على الارض ويتبعه أبناؤه وحاشيته وقادته .. يعـاين بقايـا النـار التي تنخر في أسس المسجد .. السلطان ينتفض غضبا ويصرخ .

صلاح الدين : (دون أن يرى هو أو أحد من اتباعه على المسرح) مـــن الذي أشعل هذه النار ؟ أي ملعــون أوقد هذا الحريق؟ المسجد الاقصى المسجد الاقصى يحترق؟! اين ذهبت اذن تلـك الجهـود المضنيـة التي بذلناها طوال سنين صعبة من أجل هذه البقعة المباركة .. أيمكن لانهار الدماء التي فجرهـا المجاهـــدون بقلوبهم واشلائهم ان تضيع ؟ (يرتفع صراخه) انني أسألكم من الذي أشعل هذه النار ؟؟

(أصوات استنكار ، وهمهمات تنبعث من الجموع التي تحيط به .. ومن سائر المسلمين الـذين قدموا لاداء الصلاة ..) .

المنادي : أي غضب مريع هــذا الذي يسيطر على ملامح السلطان .. هذه اللحظة ؟! أي أسى عميق هـذا الذي يتفطر به قلبه ؟

أحد ابناء صلاح الدين : (يـأتي صوته من بعيد) هوّن عليك يا ابتاه .. إن ما أكلته النار .. تستطيع أنت أن تعيده كما كان .

الابن الآخر : تستطيع يا أبتـاه أن تبعث رسلك الى أقطـار الارض تستقدم البنائين ، وفي مدى أيـام فحسب سيعود المسجد كما كان .. شامخا . منيعا . يتحدى الزمن .

صـــلاح الدين : ولكني أحس انه ليس بامكاني أن أستعيد البناء ، ان ثمة جدارا شاهقا يقف بيني وبين ما أريد .. لن أستطيع أن اكتب الى البنـــائين في مشـــارق الارض ومغاربها .. ستجد الخيول المنطلقة اليهم أقدامها تغوص في الوحــــل وقوائمها تلتصق بالطين . انني واثق من انها ستتهاوى ، بما عليها مـــن رسل ، في أعماق الوحل والطين ..

الابن الاول : ولكن .. أتــذكر يا أبتـــاه كيف استطعت ان تعيــد تحصين المدينة بأجمعها ، وتقيــم سورها المنيع في أيام معـدودات ، قبل ان تداهمها جيوش الاعداء ؟

الابن الثاني : ان امراء المسلمين جميعا ، جند لك ، قل ما تشاء فانهم سامعون مطيعون ..

صلاح الدين : (بأسى) كـــان ذلك زمن ، يا ولـــدي ، زمن غير هذا ؟! لم يمض على ذلك اكثر مـــن شهور يا أبتاه !!

صلاح الدين : شهور ؟ أبـدا ..

أبدا .. ان الذي يفصل بيننا وبين ذلك الزمن قرون طويلة .. طويلة .. ملأها التاريخ احداثا مرة كالعلقم .. وسدّ طرق المسلمين عبرهـا بالشوك .. وأدمى قلوبهم بالجراح .. شهور ؟ ابدا .. أبدا ..

الابن الاول : وهل ثمة تاريخ أكثر مرارة وشوكا وجراحا من تاريخك أنت يا ابتي ، وتاريخ شعبك المسلم ؟

صلاح الدين : (يصرخ فجأة) كلا .. لقد كنا نملك نحن من الايمان والارادة .. ، ونستشعر من الحرية .. ما أتاح لنا ان نستمرىء العلقم في سبيل الاهداف الحلوة .. وندوس على الشوك صوب المستقبل السعيد ، ونتقبل الجراح والنزيف من أجل ان لا ترى هذه البقعة المباركة دما .. وجراحا .. ونزيفا .. انكم ترون الآن .. انظروا .. أليست هذه النار التي تلفظها جدران المسجد نزيفا يمتص الدماء من قلبه الكبير .. أليس هذا الدخان .. هذا السخام المتصاعد الى السماوات .. حزنا عميقا يعبر به المسجد الاقصى عن ألمه وجراحاته ، ويشكو الى الله عزلته .. ووحدته .. وعذابه ؟! أي زمن هذا ؟ كلا .. لقد كنا آنذاك نملك الايمان والارادة والحرية ..

الابن الآخر : أرى انك تتكلم بلهجة الماضي يا أبتاه !!

صلاح الدين : (بحزن) وهل أنا الآن .. هذه اللحظات .. الا ماض سحيق عفى عليه الزمن ، وغمر وجوده الحاضر ركام الاحداث ، وذكريات السنين ؟ انني ماض يا ولدي .. انني ماض (يتلاشى صوته ..)

المنادي : (تخنقه العبرة) السلطان يبكي .. عيناه تذرفان دمعا سخيا .. دموعه تنساب على لحيته .. ان حريق المسجد الاقصى فتت فؤاده المرهق الحزين .. السلطان يبكي ..

اصوات الحاشية والقادة والمصلين : دعنا أيها السلطان نطفىء الحريق بأيدينا وأجسادنا .. مرنا .. نفتدي المسجد المبارك بقلوبنا وأرواحنا .

صلاح الدين : لن تستطيعوا .. ان زمنا طويلا يفصلكم عن القدرة على افتداء هذا المكان .. ان ثمانية قرون تعزلكم عن الواقع المر الذي تتنزل فؤوسه على بنيان المسجد فتحيله الى بقايا وانقاض .. انكم تحيون في ماضيكم بعيدين .. بعيدين .. عن أن تفتدوا مسرى نبيكم بالقلوب والارواح ..

المنادي : الابناء والقادة والرفقاء، يتحركون وكأنهم يستيقظون من حلم عميق .. ان كلمات السلطان فتحت وعيهم على حقيقة ما هم فيه .. ولكن انظروا : ان السلطان يعود فيركب فرسه ، بينما تغمر الدهشة والحيرة جميع من معه .. يلتفت

السلطان ويقول لهم :

صلاح الدين (من بعيد) انني لست غاضبا لان المسجد الذي ضحينا من أجله طيلة سني مسؤوليتنا ، قد ضاع .. ولكن خجلا عاتيا يغمرني، يترع وجداني بالحيرة والالم . كيف سأنقل الخبر الى رسول الله ؟!

الحاشية : (بتأثر عميق) والخطبة يا صلاح الدين ؟

صلاح الدين : سوف لن تروني أخطب بعد اليوم .. ان الخطب يجب أن تستحيل عملا وانجازا .. وكيف أخطب والدخان يتصاعد من مسرى رسول الله ؟ كيف يتأتى للكلمات أن تجتاز شفتي وأنا أرى النار والرماد تلطخان الساحة التي صلى فيها الرسول العظيم باخوانه الانبياء .. ثم غادر الارض ، في رحلته العظيمة صوب السماوات حيث لقي خالقه ؟! لن تروني أخطب بعد اليوم .. فيما مضى كنت أخطب فيكم اثر كل فتح أو نصر ، وبعد كل عمل أو انجاز .. أما اليوم فلم يُبق عصر الانهزام والسلب هذا مجالاً للكلمات .. وأحرى بالمسلمين بعد اليوم أن لا يسألوا كلمات وخطبا .. ولكن ان يفتحوا أسماعهم جيدا لاصوات ...

(تسمع أصوات انفجارات قوية متتالية تنبعث من أماكن شتى .. يتلاشى المنادي ، تختفي أصوات صلاح الدين وحاشيته .. تغيير في الانارة المسرحية نرى بعدها الفدائيين اللذين سمعنا حوارهما من قبل) .

الفدائي الاول : (كمن يستيقظ من حلم عميق) اتسمع .. رباه .. لقد نجحت الخطة .

الفدائي الثاني : (وكأنه يستيقظ هو الآخر من الحلم العميق) انهم يمطرون القدس الجديدة لأول مرة بالصواريخ ..

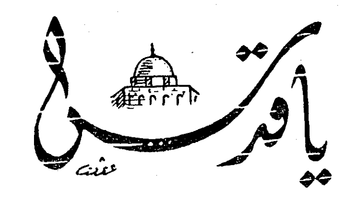
الفدائي الاول : ليعلم قادة يهود .. وشذاذ الآفاق .. ان أحفاد صلاح الدين لن يسكتوا ازاء تدمير قبلتهم الاولى ومسرى نبيهم العظيم (في ذهول) وانهم يستجيبون اليه بعد لحظات من دعوته اياهم ان يستبدلوا الرؤى بالحركة، والكلمات بالافعال. وبدلا من أن يسمعوا أعداء الله واعداء الرسول اصواتا رتيبة هادئة عليهم منذ الآن أن يسمعوهم صراخا، وان يمطروهم نارا ..

الفدائي الثاني : (بدهشة وتعجب) أنت أيضا ؟!

الفدائي الاول : ماذا ؟

الفدائي الثاني : نفس النداء ، انبعث الي من صلاح الدين ، وبعد لحظات فحسب ، بدأت صواريخ اخواننا تتفجر غضبا ونارا على رؤوس الملعونين ..

(يتعانقان .. وتكون النهاية)



للأستاذ يوسف العظم

يا قُدسُ يا مِحرابُ يا مِنبَرُ
يا نورُ يا إيمانُ يا عَنْبَرُ
أَقدامُ مَنْ داسَتْ رِحابَ الهُدى
ووجْهُ مَنْ في ساحِها أَغبَرُ ؟
وكَفُّ مَنْ تزرَعُ أَرضي وقَدْ
حَنا عَليها ساعِدي الأَسْمَرُ ؟
مَنْ لَوَّثَ الصَّخْرَةَ تِلكَ الَّتي
كانَتْ بِمَسْرَى أَحمَدَ تفْخُرُ ؟
وأَمطَرَ القُدسَ بأَحقادِهِ
فاحتَرَقَ اليابِسُ والأَخضَرُ ؟
ودَنَّسَ المَهْدَ على طُهرِهِ
إلاَّ عدوٌّ جاحدٌ أَكفَرُ !

يا سورةَ الأَنفالِ مَنْ لي بِها
قُدسيَّةُ الآياتِ تستنفرُ
جُنْداً يذوقُ الموتَ عذبَ المُنى
كالصبح عن إيمانه يُسفِرُ
ومَنْ يبِعْ للهِ أَزكى دمٍ
يَمُتْ شهيدَ الحقِّ أَو يُنصَرُ
والْبغيُ مهما طالَ عُدوانُهُ
فاللهُ مِنْ عُدوانِه أَكبَرُ

* * *

يا قُدسُ يا مِحْرابُ يا مَسجدُ
يا درَّة الأَكوان يا فَرْقَدُ !
سفوحُكِ الخُضْرُ رُبُوعُ المُنَى
وتُرُبك الْياقوتُ والْعَسْجَدُ
كم رُتِّلتْ في أُفقِها آيةٌ...
وكمْ دَعانا للهُدى مُرشِدُ !
أَقدامُ عيسَى باركتْ أَرضَها
وفي سماها قد سَرى أَحمَدُ

أَبَعْدَ وجـــهٍ مشرقٍ بالتُّقى . . .

يُطلُّ وجـــهٌ كالحٌ أَسوَدُ ؟

وبَعْـدَ ليثٍ في عَرين الشَّرى

يحُلُّ كلبٌ راح يَستأْسِدُ ؟

وبَعْـــدَ شَعْبٍ دينُهُ رَحْمَــةٌ

يحُلُّ مَنْ وُجدانُه يَحقِـــدُ ؟

يا أَفرُعَ الزيتونِ في قُدسِنـا

كم طابَ في أَفيائِها الموعِـدُ !

إِن مَزَّق الغاصِبُ أَرحامَنـا

وقومُنا في الأَرضِ قـــد شُرِّدُوا

فما لنـــا غيرُ هُتاف العليِّ :

إِنَّا لغـــيرِ اللهِ لا نَسْجُدُ !

* * *

ٱلقدسُ في أُفقِ ٱلعُلا كوكَبُ

تشِـعُّ بالنورِ فـــلا تعجَبُوا

أَيامُهـــــا بالحقِّ وضاءةٌ

كانت بأَطرافِ ٱلقَنـا تُكتَبُ

إن أطربَ ٱلقيثارُ أسماعَنا
فاللحنُ في أُفق الهُدى أعذبُ

أو حلّت الأمجادُ سلعَ ٱلعُلا
فالمسجدُ الأقصى لها أرحبُ

والمجدُ مذْ أشرقَ في قُدسِنا
ما بالُه في قُدسِنا يَغْربُ ؟

يا روضةً كانت لنا مرتعاً
وكوثراً من فيضِهِ نشرَبُ

وجنةً فيها ربيعُ المُنى
في ظلِّها أكبادُنا تلعَبُ

مُذ حلَّ في أفيائِها غاصِبٌ
ما عادَ فيها بلبُلٌ يُطربُ

مَن لي بسيفٍ لا يهابُ الرَّدى
في كفِّ من يَزْهو به الموكبُ

أَو رايةٌ في جَحْفلٍ ظـــافرٍ

يقودُه ٱلْفـــاروقُ أَو مُصعَبُ

* * *

الوحيُ والتنزيـــلُ والأَحرُفُ

والآيُ والإِنجيـــلُ والمُصحَفُ

وسورةُ الإِسراءِ مـــا رُتِّلتْ

إلاَّ وأَسماعُ الدُّنـــا تُرهَفُ

تُبارِكُ ٱلْقدسَ ومـــا حولَها

وصخرةُ ٱلْقـــدسِ بنا تهتِفُ

في كلِّ صدرٍ من دمي دفقـــةٌ

وكلِّ عـــينٍ دمعـــة تذرفُ

إِنْ ضَمَّدَ الأسى جِراحَ الوَرَى

فالجُرح مـــــني راعِفٌ ينزفُ

يا درةً في جيـــد تاريخِنـــا

رُباكَ مِنْ كلِّ الرُّبا أَلطفُ

كَمْ قـــد مَشَتْ أَكبادُنا فوقَهـــا

مِنْ كلِّ روضٍ زهرةً تقطفُ

وكَمْ سَقينا تُربَها أَنْفساً
أَصْفى من اليــاقوتِ بل أَشرفُ
يا قدسُ مهما باعَدوا بيننَا
فَفي غدٍ جيشُ الهدى يزحفُ
كتائبُ الإيمانِ قد بايَعَتْ
لا فاسقٌ فيها ولا مُترَفُ

* * *

يا قدسُ يا أُنشودةً في فَمي
ويا مناراً في ذُرا الأنجُمِ
في كل أُفقٍ منكِ تسبيحةٌ
وكلِّ شبرٍ دفقةٌ من دمِ
وكلِّ روضٍ نفحةٌ من شذىً
ومــاؤكِ ارقراقُ من زمزمِ
وكلِّ صدر زفرةٌ حرةٌ
وكل خِدر عَفَّةُ المبسَمِ
تحنو بقلبٍ خافقٍ بالمنى
على بريءٍ رفَّ كالبُرعمِ

قد أَغمضَ الأَجفـــانَ في هَدْأَةٍ

وثغرُهُ في الثَّـــدي لم يفطمِ

من مزَّقَ الطفلَ بلا رحمـــةٍ ؟

فماتَ بينَ الصــــــدرِ والمِعصَمِ

شظيَّـــةٌ عميـــاءُ من حاقـدٍ

ورَميةٌ من ساعـــــدٍ مُجرمِ

قـــد أُطلقت هوجـــاءَ في غفلةٍ

وحلكةٍ من ليلنـــا المظلمِ

ما كانَ لِلهاماتِ أَنْ تَنحَني

لو كانَ فينـــــا عِزَّةُ المُسلمِ

★ ★ ★

القـــدسُ واللطرونُ والمُنتَدى

وبلبُلٌ في روضــــــهِ غرَّدا

وغـــابةُ الزيتونِ يا حُسنَها

تضوَّعَتْ زهراً وطـابت نَدَى

في ظلِّهـــا يحنو على نايِه
فتىً كريمُ الكفِّ عذبُ الصَّدى
من حطَّم النـــايَ على ثَغرِهِ
وشرَّدَ الســـامعَ والمُنشِدا
والمسجـــدُ الأقصى ومِحرابُه
يحنو علينا رُكَّعاً سُجَّدا
قِبابُـــه كانتْ تُناجي العُلا
وأرضُه كانت مَنـــارَ الهُدى
تحدِّثُ الأكوانَ عن زحفِنا
وقـــد بَسَطْنا المعالي يَدا
وهامةُ الفـــاروقِ مرفوعةٌ
أكْرِمْ بهـــا في قُدسِنا مَشْهَدا
يُعْـــلي لواءَ العدلِ تكبيرهُ
ويصنعُ الأمجـــادَ والسُّؤدُدَا
يا قدسُ إنْ طالت بنـــا فُرقَة
فسيفُنا يا قـــدسُ لن يُغمَدَا

رُدُودٌ ..... و مُناقشاتٌ ...

مسألة الحــول في تزكية المال المستفــاد

الاستاذ محمد فخر الدين القسام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى كل من عرف الحق ولزم حده .

وبعد ، فان عرض الاحكام الشرعية مصحوبة بأدلتها ، كما حررها أئمــة الاجتهاد ، رضوان الله عليهم ، يمــلأ قلوب المؤمنين ثقــة بدينهم ، ويبرئهــم بحسب الإمكان من التقليد الصرف ، وينقلهم الى ساحة الاتباع الواعي المتبصر .

ويزيد الأمر جلالة ، ويتضاعف الاهتمام ، اذا كان البحث يتناول مسألة عملية من واقع علائق الاسلام العظيم بالحياة العامة ، لأن في معالجتها برهاناً على أن شريعة الله سبحانه كافلة سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة بما ضمنت من تأمين ضروريات الحياة وحاجياتها وكمالياتها على أكمل الوجوه .

وإني لأحسب أن الأخ الاستاذ يوسف القرضاوي وفقني الله وإياه ، إنمــا جرى قلمه في مسألة المال المستفاد في فقه الزكاة بمداد من هذه الــروح ، وسعياً الى هذه الغاية ، فــأحببت أن أشارك ــ وقد فتِحَ البابُ ــ في إلقاء ما يسره الله من أضواء عــلى هذه المسألة الحيوية .

لقد جعل الاستاذ كلامــــه على أقسام :

فأما في القسم الأول ، وهو البحث في أسانيد أحاديث الحول عمومــا وخصوصا ، فقد انتهى الى النتيجــة التالية قائلا :

« وبهذا البيان يتضح لنا أنـــه ليس في اشتراط الحول حديث ثابت مرفوع الى النبي صلى الله عليـــه وسلم ولا سيما في المال المستفاد . ولو صح في هذا شيء من قول النبي صلى الله عليه وسلم لكان محمــولا على غير المستفاد توفيقا بين الأدلة . ومما يد على ضعف الاحاديث المروية في الحول اختلاف الصحابــة في المال المستفــاد ، ولو صحت لاحتكمــوا إليها » .

وأما في القسم الثاني ، وقــد خصصه لبيان وجهة نظره واجتهاده في ترجيح تفقهه في المسألة ، فقــد انتهى الى أن المال المستفاد ــ مــن غير النتاج والربح ــ تجب تزكيتــه رأساً بدون اشتراط الحول ، وعرض عشرة أمور لتكون بمثابة أدلة لقولــه

في هذا الموضوع الخطير كما سماه .

ولما كان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ناسب في إطار المحاولة والمعاونة عرض المسألة من الجهة المقابلة جهة الأئمة الأربعةرضوان الله عليهم تمكيناً من الموازنة بين الأدلة وبلاغاً لقوم عابدين .

في المسألة الاولى : الاستدلال بالأحاديث ومؤيداتها على اشتراط الحول : ـ

كانت نظرة الأستاذ القرضاوي في الأحاديث نظرة واقفة عند الأسانيد مباشرة عازلاً كل إسناد عن أخيه وعن القرائن ، وليس هذا شأن العلماء الذين نظروا في ضعفها ثم أتبعوا نظرة التفصيل والتفكيك بنظرة جامعة مجمعة : ـ

١ ـ فمثلاً قال صاحب سبل السلام ٢/١٧٣/١٧١ : أن المطلق مقيد بحديث الحول وما عضده من الشواهد ، وقال عن حديث المال المستفاد : إنه موقوف له حكم الرفع ، إذ لا مسرح للاجتهاد فيه ، وتؤيده آثار صحيحة عن الخلفاء الأربعة وغيرهم .

٢ ـ وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٤/١٣٩ : ان ضعف الحديث منجبر ...

٣ ـ وقال الكمال بن الهمام في فتح القدير ١/٤٨٢ في الكلام على حديث الجول : والحارث وان كان مضعفاً ، لكن عاصم ثقة ، وقد روى الثقة أنه رفعه معه فوجب قبول رفعه ورد تصحيح وقفه ، وروى هذا المعنى من حديث ابن عمر ومن حديث أنس وعائشة .

٤ ـ وفي التعليق المجد للكنوي / ١٧٠ / ... لكن الاجماع عليه أغنى عن اسناده .

٥ ـ وفي تخريج أحاديث الرافعي لابن حجر، كما نقلهاللكنوي /١٧٠/ قلت : حديث علي الذي أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقي لا بأس بإسناده والآثار تعضده ، فيصلح للحجية .

٦ ـ وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار المطبوع مع إحياء علوم الدين للغزالي ١/٢٠٩ ... أخرجه أبو داود من حديث علي بإسناد جيد .وابن ماجه من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

٧ ـ وقال في تحفة الأحوذي ٢/٩ بعد استعراض أقوال الأئمة من حديث المال المستفاد ، قلت : لاشك في أن حديث الباب المرفوع ضعيف، والراجح أنه موقوف وهو في حكم المرفوع ، قال صاحب سبل السلام له حكم الرفع لأنه لا مسرح للاجتهاد فيه ا هـ .

٨ ـ وقال الزيلعي في نصب الراية ٢/٣٢٨ بعد الكلام عن رجال الحديث، فالحديث حسن .

٩ ـ قال النووي رحمه الله في الخلاصة وهو حديث صحيح أو حسن ا هـ ذكره الزيلعي .

١٠ ــ هذا ولم يذكر الاستاذ القرضاوي أي دليل كاف على مسألة عدول ابن حجر بسبب علة ابن المواق عن تحسين الحديث ، ولا يعدم المرء موقفا كموقف صاحب سبل السلام الذي ذكر الاشارة الى هذه العلة ٢/١٧١ ومع ذلك استدرك بقوله ، لكن اخرج الدارقطني الجملة الاخرى من حديث ابن عمر ... وعن عائشة ، وأشار الى طريق أخرى عنها وقال ٢/١٧٣ : وأجيب ــ على الاستدلال بالإطلاق في النصوص ــ بأنه مقيد بهذا الحديث وما عضده من الشواهد .

فأنت ترى أنه لم ينفض يده من الحديث بمجرد هذه العلة كما فعل الاستاذ القرضاوي وشتان بين النظرتين المجزئة والمجمعة .

١١ ــ وعن كذب الحارث نقل صاحب « بغية الألمعي في تخريج الزيلعي » عن الحافظ بن عبد البر في كتاب العلم ٢/١٥٤ : لم يبن في الحارث كذب إنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله على غيره . ا هـ

والاعتراض القائل : « هذا حديث رواه ابن وهب عن جرير بن حازم عن أبي إسحاق عن عاصم والحارث عن علي ، فقرن أبو إسحاق فيه بين عاصم والحارث ، والحارث كذاب (أقول سبق الكلام عليه) وكثير من الشيوخ يجوز عليه مثل هذا ، وهو أن الحارث أسنده وعاصم لم يسنده (يعني الى النبي صلى الله عليه وسلم) فجمعهما جرير وأدخل حديث أحدهما في الآخر وقد رواه شعبة وسفيان ومعمر عن أبي إسحاق عن عاصم عن علي موقوفاً عليه ، وكذا كل ثقة رواه ، إنما وقفه على علي فلو أن جريراً أسنده عن عاصم وبين ذلك أخذنا به » ، هذا الاعتراض الذي ذكره الاستاذ القرضاوي ١/١٥ من مجلة الحضارة قد أتبعه الزيلعي بقوله :

« وقال غيره لايلزم هذا لأن جريراً ثقة وقد أسند عنهما » انتهى وقد سبق قول الكمال والحارث وان كان مضعفا لكن عاصم ثقة ، وقد روى الثقة أنه رفعه معه ، فوجب قبول رفعه ورد تصحيح وقفه » . أقول فالاعتراض مع النقد لا يهبط به عن درجة الحسن .

١٢ ــ ما ذكره الاستاذ من أن عاصماً لم يسلم من جرح ــ وذكر اختلاف الأئمة فيه ــ يناسب معه الإشارة الى ما جاء في إنهاء السكن / ٢٠ / : « اذا كان الحديث مختلفاً فيه صححه أو حسنه بعضهم وضعفه آخرون فهو حسن ، وكذا اذا كان الراوي مختلفا فيه وثقه بعضهم وضعفه بعضهم فهو حسن الحديث . » وذكر من الأمثلة والنقول عليه ما يقارب الصفحتين ، فليراجع . قال في آخرها : ولولا مخافة التطويل لأتيت لك بأزيد من ذلك بالتفصيل ، ومن طالع كتب الرجال والعلل

والتعقبات على موضوعات لا يشك في هذا الأصل قط .

١٣ – ينضاف الى الأحاديث من المؤيدات المؤكدة لاشتراط الحول ، ما جاء في بداية المجتهد ١/٢٤٦ من قوله « لثبوت ذلك عن الخلفاء الأربعة ولانتشاره في الصحابة رضي الله عنهم ولانتشار العمل به ولاعتقادهم أن مثل هذا الانتشار من غير خلاف لا يجوز أن يكون إلا عن توقيف ، وقد روي مرفوعا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول . وهذا مجمع عليه عند فقهاء الأمصار ، وليس فيه في الصدر الأول خلاف إلا ما روى عن ابن عباس ومعاوية .

١٤ – وقال الشعراني في أول الجزء الثاني من الميزان : وأجمعوا على أن الحول شرط في وجوب الزكاة ، الا ما حكي عن ابن مسعود وابن عباس من قولهما بوجوبها من حين الملك ، ثم إذا حال الحول وجبت ، وكان ابن مسعود إذا أخذ عطاءه زكاه في الحال .

١٥ – وذكر العثماني في رحمة الأمة ١/٨٢ مثله .

١٦ – وما قدمنا عر التعليق المجد / ١٧٠ / ولكن الإجماع عليه أغنى عن إسناده .

١٧ – وقول أبي عبيد في كتاب الأموال / ٤١٣ / عند تعليقه على المنسوب الى ابن عباس رضي الله عنهما : « وكان عندي أفقه من أن يقول هذا لأنه قول خارج من قول الأمة » .

١٨ – كون الزكاة عملاً يتعلق بالحاكم جباية وصرفاً ، والمال المستفاد من وقائع الحياة اليومية ، وقد تعاقب على القيام بشؤونها الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عنه زكاته عامين – وهي ثابتة راشدين مهديين ، فما صح عنهم من اشتراط الحول في المال المستفاد قرينة داعمة للحديث .

١٩ – قصة تعجيل العباس رضي الله عنه زكاته عامين – وهي ثابتة بمجموع طرقها كما قال الحافظ في الفتح – تدل على ارتباط الزكاة بالحول . حتى على تأويل بعضهم بعض الألفاظ المتعلقة بها على التأجيل .

٢٠ – آثار منقولة عن الصحابة المنسوب إليهم فورية التزكية ، تشترط الحول مما يزيد الميل الى اعتقاد الوفاق وعدم الخلاف .

فأنت ترى في نهاية المطاف ، أن الحديث منجبر ضعفه بالشواهد ، فيرقى الى مرتبة الحسن أو الجيد فهو حجة ، وان حديث الحول للمال المستفاد موقوف له حكم المرفوع لانه لا مسرح للاجتهاد فيه ، وأن احاديث الحول فضلا عن الحجية ودعماً لها مؤيدة بانتشار فكرة الحول في الصدر الأول بلا خلاف ، إلا ما روي بصيغة التمريض عن ابن مسعود ومعاوية ، وهي مسألة سنناقشها

قريباً ، ولذلك صرح اللكنوي والشعراني والعثماني أن اشتراط الحول إجماع هذا مع القرائن الأخرى، يفرض القول بأنه لا مندوحة للباحث من التسليم بكون الحول شرطاً في الزكاة ـ بما فيها المال المستفاد ـ إلا ما قام به دليل معتبر على استثنائه ، كما في الخارج من الأرض قال تعالى : **وآتوا حقه يوم حصاده** .

المسألة الثانية : حكم المال المستفاد

وهنا لابد من تمهيد موضح : ـ

أ ـ المال المستفاد مال حصل عليه المالك قد يسمى المال السابق عليه بالأصل .

ب ـ قد يكون المال المستفاد بالنسبة الى الأصل نسلاً كنتاج المواشي (١) وقد يكون ربحاً كما في أموال التجارة (٢) وقد يكون فائدة ـ غير نسل ولا ربح ـ جاءت بالإرث أو الهبة أو الوصية وما شابه (٣)

جـ ـ وأما الأصل فقد يكون حين ورود المستفاد عليه ، نصاباً (١) وقد يكون أقل من نصاب ، ومع ذلك لا يكتمل بالمستفاد نصاباً (٢) وقد يكون أقل من نصاب ، ومع ذلك نصاباً (٣) .

وعلى كل حال فالمستفاد ما دام من أنواع أموال الزكاة ، هو وعاء للزكاة ولا نحتاج الى عناء البحث في إثبات كونه مالاً زكوياً ، بل إنما يجري البحث في اشتراط الحول له أصالة أو تبعاً كما قال الأئمة الأربعة ، أو عدم اشتراط الحول أبداً ، فيزكى فور امتلاكه واستفادته كما قال به المخالفون . والآن نتناول بالايضاح والتعليق هذين القولين :ـ

القول الأول : اشتراط الحول أصالة أو تبعاً : ويمكن تلخيص مواقف الأئمة رضي الله عنهم بما يلي من النقاط :

أولاً : لا يبحث أحد في أمر الحول اذا لم يوجد النصاب ، وهو خمس من الإبل ، وثلاثون من البقر ، وأربعون من الشاة ، وعشرون مثقالا من الذهب ، ومئتا درهم من الفضة ، ومقدار أحدهما من أموال التجارة الخ .

ثانياً : انفرد الإمام مالك رضي الله عنه فيما لو كان لدى المالك مال دون النصاب واستفاد من النسل أو ربح التجارة مالاً جديداً ، فاكتمل النصاب بالماشية السابقة ونسلها أو بمال التجارة وربحه انفرد بجعل الحول بادئاً من تاريخ الملك الأول ، مع أنه كان دون النصاب حينئذ ، فضم المالين المستفاد وما سبقه واعتبر النصاب كأنه موجود منذ البدء ، وفيه قال ابو عبيد لم يوافقه عليه أحد من الأئمة غير أصحابه ، فعلى هذا لو كان لديه ثلاثة من الابل في شهر المحرم ثم نتجت اثنين في رجب أو لو كان لديه في المحرم من أموال التجارة ما قيمته عشرة مثاقيل من الذهب ثم ربح أثناء الحول عشرة أخرى ، زكى الماشية ونتاجها

المجمعين نصابا ومال التجارة وربحه المجمعين نصابا في المحرم التالي

ثالثا : اذاوجد النصاب ثم استفاد شيئا من نتاج حيوان، أو ربح تجارة، أو مستفاد آخر كالهبة والارث والوصية وما شابه، فهنا ترد المسألة المناقشة التي كتب فيها المقال : ـ

١ ـ فمذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ضم كل مستفاد مجانس الى النصاب وتزكية الجميع بحول الاصل .

(١/١٠١ الاختيار لتعليل المختار)

٢ ـ ومذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه : ضم نتاج الحيوان وربح التجارة الى النصاب وتزكيتهما مع الاصل بحوله . وأما المستفاد غير النسل والربح، فيفرد له حولا مستقلا

(٢/٢٣) مطالب اولي النهى)

٣ ـ ومذهب الامام محمد بن ادريس رضي الله عنه : ضم نتاج الحيوان وربح التجارة في توحيد الحول اذا لم تنض بما تقوّم به بأن لاتنض أصلا ، أو بأن تنضّ بما لم تقوم به . واما اذا نضت من جنس ما قومت به فله حول مستقل عن حول الاصل ، وكذلك المستفاد غير النسل والربح يفرد له حول مستقل

(٢٢٥و١/٢٣٨ شربيني)

٤ ـ ومذهب الامام مالك رضي الله عنه : ضم النتاج والربح وفائدة المواشي وتزكيتها بحول الاصل . وافراد الفائدة الاخرى بحول مستقل

ـ فائدة النقدين ـ

(١٢٢ النور المبين)

(١٩٨ تهذيب الفروق)

رابعا : لم يقل أحد بضم المستفاد غير المجانس ، بل يعتبر للمستفاد حول مستقل . فالإبل جنس ، والبقر ويتناول الجواميس جنس ، والغنم ، ويشمل الضأن والمعز جنس ، وهكذا ...

وكل هذه الاقوال تنتهي الى خط عريض وأصل واحد هو القول باشتراط الحول لتزكية المال المستفاد، اما بالاصالة واما بالتبعية، ولقد كان الاصل العام ـ بمقتضى ما ذكر في المسألة الاولى ـ اشتراط الحول لكل مال أصالة واستقلالا لولا ماورد عن عمر وعلي رضي الله عنهما من الاعتداد بصغار الماشية ، واعتبار حول النتاج بحول الاصل ، وهي مسألة لاخلاف فيها ، والحول في هذه الاجماعية مشترط في تزكية المنسل المستفاد ولكن تبعا اذا حوله حول الاصل .

ففي ميدان المسألة : حديث الحول العام في أموال الزكاة ، والخاص بالمستفاد عموماً ، والاجماع على اشتراط الحول بشكل عام ، والإجماع على كون الحول في نتاج الماشية على وصف التبعية للأصل ، والعلة التي جزم بها المجتهد والتي اقتضت الضم

وتوحيد الحول في مسألة النتاج ، وقاعدة رفع الحرج ومنه ما قد يترتب على اشتراط الحول أصالة لكل مستفاد ومبدأ التسوية بين الفوائد أو عدم التسوية في المعاملة .

فالملاءمة بين هذه الأمور ، والتقاء زوايا النظر او تباعدها قليلا أو كثيرا شعّب مواقف الأئمة العظام رضي الله عنهم في تطبيق الأصل الواحد ، وهو اشتراط الحول ، فاجتمعوا في بعض صور التطبيق ، واختلفوا في بعض آخر ، وإن لم يخرجوا عن هذا الأصل الواحد . فالجميع يشترطون حولا مستقلا للمستفاد غير المتجانس، والكل قائلون بضم النتاج الى الأصل والربح – إجمالا – الى الأصل التجاري ، في حولهما للاتفاق على قوة الارتباط بين المضموم والأصل – في النسل والربح – ودفعاً للحرج الناشىء عن القول بإلزام المالك ضبط مواقيت إنتاج الحيوان وربح التجارة .

وافترقوا ، فقال أحمد والشافعي باشتراط الحول أصالة للمستفاد غير النسل والربح تسوية بين الفوائد ، ولعدم قيام العلة – في نظرهما – التي اقتضت الضم وتوحيد الحول في الإجماعية – النسل – وما بني عليها – الربح – لعدم قيام العلة في غيرهما .

فألحقها بنتاج الماشية ، كما ألحق الربح في توحيد الحول ، وبين وفرق مالك بين فائدة الماشية ، فائدة النقدين ، فاشترط لها حولا مستقلا .

وسوى أبو حنيفة بين النتاج والربح والفوائد في الضم وتوحيد الحول ، لاتساعه في علة ذلك وهو مطلق المالية المتجانسة ، في حين راعى غيره التفرع عن الأصل أو ما يقارب ذلك .

وعلى كل حال فالأئمة الأربعة رضي الله عنهم مجمعون على مقتضى ما قدمنا من الأدلة في المسألة الأولى وهو اشتراط الحول أصالة أو تبعاً في المال المستفاد ، وهم لذلك يرفضون القول بتزكيته فوراً ، لأنه نقيض ما أجمعوا عليه ولأنه خلاف الأدلة الملزمة من نصوص متعاضدة في مرتبة الحجية مؤيدة بالقرائن القوية ، مدعومة بالإجماع على الحول بشكل عام وعلى الحول بشكل تبعي في مسألة نتاج الماشية من مسائل المال المستفاد .

القول الثاني : إلغاء الحول في المال المستفاد وتزكيته فورا .

وهنا ننتقل الى القول الآخر الذي تبناه ورجحه الاستاذ القرضاوي مذكرين بأنه أوهنه وأدخل عليه الحرج منذ البدء عندما سلم اشتراط الحول تبعا في مسألتي النسل والربح جاء في ١/١٤ حضارة الإسلام قوله :

« فأما ما كان فيه المال المستفاد نماء لمال مزكى من قبل كربح مال التجارة ونتاج الماشية السائمة ، فهذا يضم الى أصله ويعتبر حوله بحوله

وذلك لتمام الصلة بين النماء والأصل ، وعلى هذا فالذي يملك نصاباً من السائمة أو من أموال التجارة ، يزكي آخر الحول الأصل وفوائده جميعاً وهذا لا كلام لنا فيه » . فقد مشى نصف الطريق في مسألة الحول ــ أصالة وتبعية ــ الى جهة الذين عابهم في مقاله تصريحا أو تلميحا، مع أن في تضاعيف ما وافق عليه بذور فكرتهم وأصولها.

أقول بعد هذه التذكرة ، لنا في المنسوب الى بعض الصحابة الكرام ، رضي الله عنهم أجمعين ، من القول بتزكية المستفاد فوراً بلا اشتراط حول أبداً ، المواقف التالية : ــ

أولاً : موقف التشكيك في ثبوت ذلك عنهم للقرائن التي نذكر : ــ

١ ــ كونه معارضاً للنص الحجة في اشتراط الحول الوارد مرفوعاً وموقوفاً له حكم الرفع .

٢ معارضته المعلوم من السنة إجمالاً أن لا فورية إلا في الخارج من الأرض : قاله أبو عبيد .

٢ ــ كونه معارضاً للإجماع على الحول في أموال الزكاة عموماً وفي مسألة نتاج الماشية خصوصاً على وجه التبعية ، مع العلم أن لا فارق في الما المستفاد يوجب إلغاء الحول بالمرة .

٤ ــ وجود روايات معارضة له عنهم ، كما ذكر أبو عبيد في الأموال / ٤١٢ / عن ابن مسعود أنه قال : من استفاد مالاً فلا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول .

ويشبهه في لفت النظر ما يتعلق بابن عباس فقد نقل اللكنوي في التعليق المجد / ١٧٠ / عن العيني أن مذهب الحنفية في هذا الباب هو قول عثمان ، وابن عباس ، والحسن البصري ، والثوري ، والحسن بن صالح ، وهو قول مالك في السائمة .

أقول فأنت ترى التعارض في المنسوب الى هذين الصحابيين الكريمين ، مما يبعث على الشك .

٥ ــ وروده بصيغة ضعيفة ــ حكي ــ كما لاحظت في ميزان الشعراني ، ورحمة الأمة للعثماني ، وبداية المجتهد لابن رشد ، في مقابلة الإجماع المنقول .

٦ ــ غموض المروي عنهم ، بحيث لا يفي بدلالته على مراد المستدلين به من إلغاء الحول بالمرة .

ثانيا : موقف التأويل على تقدير ثبوته .

والحامل لنا على التأويل ، الإبقاء ــ ما أمكن ــ على ما يليق بالصحابة الكرام من الانسجام مع الأدلة الملزمة والإجماع ، كما فعل أبو عبيد في كتاب الأموال /٤١٣/ عند تعليقه على المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة، قال ابو عبيد :ــ

« فقد تأول الناس أو من تأول منهم أن ابن عباس أراد الذهب والفضة ، ولا أحسبه أنا أراد ذلك ، وكان عندي أفقه من أن يقول هذا ، لأنه خارج من قول الأمة » أقول : ولك أن تقف

عندهذا التعبيرالجليلالمشعر بمتانة موقف اشتراط الحول أصالة أو تبعاً ، وبالمقابل بوهن الموقف الفوري الملغي للحول ، مما حمل أبا عبيد على التأويل .

« ولكني أراه أراد زكاة ما تخرج الأرض ، فان أهل المدينة يسمون الأرضين أموالا ، ولا نعلم في السنة مالاً تجب فيه الصدقة حين يملكه ربه سوى ما تخرج الارض » اقول : فالقول بالتزكية فوراً نعته أبو عبيد هنا بنعتين : كونه خارجاً من قول الأمة ، وكونه خارجاً على المعلوم من السنة ، ولذلك اضطر الى التأويل ، لأنه ليس من السهولة إبقاء مثل هذا الحرج على أحد فضلاً عن حبر الأمة وترجمان القرآن . ثم تابع أبو عبيد قائلا « فان لم يكن ابن عباس رحمه الله أراد هذا ، فلا أدري ما وجه حديثه »

أقول : ولك أن تراجع في كتاب الأموال كيف استطرد يؤول ما نقل من أمر تزكية العطاء ، وأنا أقصد من الاستشهاد بأبي عبيد هنا أصل فكرة التأويل ، بغض النظر عن نوعية التأويل .

ثالثا : موقف المناقشة والترجيح

وهنا أقول إن خلاصة ما استعرضه الأستاذ القرضاوي من الأدلة على فورية التزكية في المال المستفاد – غير النتاج والربح –

١ – الأخذ باطلاق النصوص

٢ – قياس على الخارج من الأرض

لم يذكر علته الجامعة

٣ – استصلاح قائم على روح الشريعة الداعية الى أسمى مكارم الاخلاق الاجتماعية ، وفي طليعتها التكافل الاجتماعي بين المؤمنين الإخوة .

وإنما سوغ ذلك لديه اعتقاده عدم ثبوت النص في مسألة الحول ، وتصوره ان الموقف مجرد اختلاف الصحابة يحسم بالرجوع الى القواعد العامة ، ولا بدّ أنه سوّى بين أقوال المختلفين ، بل تبين أنه يرى ترجيح المنسوبين إلى التفرد عن الأمة في هذه المسألة ، مع أن النسبة ليست من القوة ، بحيث لا يرقى اليها الشك .

ولذلك نقول بشكل مجمل : لقد رأيت تصريحات الأئمة بارتقاء حديث الحول العام الى مرتبة الحجية وأن النص الخاص بالمستفاد وإن كان موقوفاً ، فله حكم المرفوع ، إذ لا مسرح للاجتهاد فيه ، فلذلك لا يسوغ الوقوف مع إطلاق النصوص مع وجود المقيّد الحجة بذاته كيف وقد تأيد بمؤيدات وقرائن زادته متانة وإلزاما .

ولذلك قال الشوكاني وصاحب سبل السلام ردّاً على التمسك بالإطلاق انه مقيد بحديث الحول وما عضده من الشواهد ، فاعتبار الحول لا بد منه . ثم يأتي من بعد ذلك الإجماع كما أشار إليه ابن رشد ، والشعراني ، واللكنوي ، والعثماني ، فينهار مرتكز الاستدلال للمخالفين بالإطلاق .

وأما قيـاس الاستاذ القرضاوي واستصلاحه ، فأول شرط فيهما عدم وجود النص لعدم جدوى القياس إن وافق النص فينزه العاقل عن تحصيل الحاصل ولالغاء القياس ان خالف النص وإن حديث الحول الحجة معارض لقياس يلغي الحول بالمرة ، فيبطل القياس ، ولأن طبيعة الاستصلاح قائمة على الطلاقة والإرسال والانفلات من نص يثبت المصلحة أو ينفيها ، وقد رأيت توفر النص المشترط للحول يتعاطف مع الاجماع .

فليس الغاء الحول مصلحة معتبرة ، نظرا لمعارضتهما . وهكذا يبدو جلياً لكل ذي عينين متانة موقف الأئمة رضي الله عنهم حين قالوا باشتراط الحول في المال المستفاد بالأصالة أو بالتبعية ، وكيف لا يكون متينا وقد أملاه النص النبوي وإجماع الأمة ؟

ونعود إلى المناقشة في نقاط المقال العشر تفصيلاً :

١ ــ قال الأستاذ : ان اشتراط الحول في كل مال حتى المستفاد منه ليس فيه نص في مرتبة الصحيح أو الحسن الذي يؤخذ منه حكم شرعي للأمة ، وتقيد به النصوص المطلقة .

ونقول : قد تبين وجود الحديث المرتقي إلى مرتبة الحسن والجيد والصحيح كما قدمنا ، ومن ثم ثبتت له حجية التشريع ، ومنه تقييد النصوص المطلقة .

٢ ــ قال الأستاذ : إن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اختلفوا في المال المستفاد ، فمنهم من اشترط له الحول ، ومنهم من لم يشترط ، واوجب إخراج الزكاة منه حين يستفيده المسلم ، واذا اختلفوا ... الخ

ونقول : لقد رأينا أنه لا يثبت قول الفورية عن الصحابة ، وان ثبت فانه يؤول وعلى كل حال فليس الموقف اختلافا بينهم يفصل فيه بالرد الى المطلقات والقواعد العامة ، بعد أن علمنا أنه النص النبوي واجماع الأمة .

٣ ــ ذكر الأستاذ هنا زعم ابن حزم بأن اقوال الأئمة العظام ، وقد رأيت أدلتهم القوية الملزمة ؛ « كلها دعاو مجردة وتقاسيم فاسدة متناقضة ، ولا دليل على صحة شيء منها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من رواية سليمة ولا من إجماع ولا من قياس ولا من رأي له وجه » ونقول في هذا الصدد: لا ينتهي العجب من استعراض قول ابن حزم النابي في الأئمة ، فالأئمة رضي الله عنهم تمسكوا بالنص والإجماع ، ولم يقولوا جزافاً كما وصف ابن حزم متجاوزاً ، وقد رأيت انتهاء أقوالهم إلى أصل واحد جامع ، هو اشتراط الحول في المستفاد أصالة أو تبعاً . ثم اننا لنتساءل باستغراب : هل تتسع

الشريعة الجاعلة للمجتهد المصيب أجرين وللمجتهد المخطىء أجراً ، هل تتسع لذم المجتهدين من أحد ؟ وهل يعدو قول ابن حزم أو القرضاوي ان سلم له وصف الاجتهاد بوجه ، هل يعدو أن يكون قولاً من الأقوال في المسألة ، ولو افترضت المسألة إجماعية في الغاء الحول الآن — وهذا مجرد فرض — لم يحرج ذلك الأئمة القائلين باشتراط الحول ، لأن الاجماع المتأخر لا يلغي ولا يرفع الخلاف المتقدم . فكيف ولا إجماع !؟ فكيف يهاجمون الأئمة بمجرد قول لهم إن شابه أقوال الأئمة في عدم العصمة فارق اقوالهم في قوة المستند والحجة ، فلم يحوم في عليائها ولم يحلق في سمائها ، نسأل الله الحفظ والعافية

٤ — قال الأستاذ ان من لم يشترط الحول في المال المستفاد أقرب إلى عموم النصوص واطلاقها ، ثم استدل بشمول — طيبات ما كسبتم — للمال المستفاد ولمال التجارة .

ونقول : لا عبرة بالاطلاق وقد وجد المقيّد بالحول ، كما سبق ان قيد بقيود النصاب والسلامة من الدين والحاجات الأصلية . ولا حاجة الى التعنتي بالاستشهاد بعموم طيبات ماكسبتم ، فالمال المستفاد وعاء للزكاة بلا جدل ، مع التذكير بأن اموال التجارة المستدل بالآية عليها مشروط فيها الحول حتى المستفاد منها ربحاً تبعاً للأصل كما سلم ذلك الاستاذ .

٥ — تعرض الاستاذ هنا لقياس مسألة المستفاد على مسألة الخارج من الارض في قضية الفورية وأشار إلى اقترانهما في آية واحدة ، وان كليهما من رزق الله وإنعامه ، فلا فرق وان يكن فحسبنا من الفرق التفريق في المقادير الواجبة بين عشر ونصف عشر من طرف وربع العشر في الطرف الآخر ونقول : أولا ولا قياس مع النص وقد اثبتناه ، ونضيف متساهلين أن الاستاذ لم يبين علة القياس الجامعة المقتضية إلغاء الحول . ولا دلالة في اقترابهما ذكراً على تساويهما حكماً ، على أن الأستاذ يعاني من الإحساس بالفارق بين المالين ، ونحن نزيد الفارق توضيحاً ، فنقول : يفترق المالان في النصاب وفي المقدار المفروض إخراجه زكاة ، وفي كون النقدين مثلا يحصلان بجهد دائم يبذله الإنسان حتى سمى كسباً ، بينما الخارج من الأرض قليل من جهد الانسان ، وكثير من فضل الله سبحانه وتعالى هو المحصل له — أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون —؟

وان الخارج من الارض اختص بنص — وآتوا حقه يوم حصاده — استثناه من عموم الأدلة القاضية باشتراط الحول لعموم الأموال ، وأن الزكاة إنما تجب في العفو والزائد النامي ، فليترك للأموال إمكانية النماء وذلك باشتراط الحول ، وأما الخارج

من الارض فقد نما وانتهى . أفيكون بعد تلك الفروق قياس صحيح !؟

ألا ترى كيف استشهد الأستاذ القرضاوي بورود « طيبات ما كسبتم » في آية واحدة مع « مما أخرجنا لكم من الأرض »

على الغاء الحول في المال المستفاد المشمول بعموم طيبات ما كسبتم تشمل أموال التجارة وهي مشروط فيها الحول على رأيه .

أقول : أفيكون قول يفرض على نص شرعي معصوم من الباطل ، تناقض الدلالة في وقت واحد على اشتراط الشيء والغائه ، أبين من قول الأستاذ واستشهاده ؟

٦ — وهنا اعتبر الاستاذ اشتراط الحول في المستفاد اعفاء للمسرفين ، وارهاقاً بوضع الإصر على كاهل المعتدلين المقتصدين . وأستغفر الله ثم أقول : هذا كلام على ما فيه ، قد يكون من جنس الخطابيات . على أنه لا خوض في الحكم قبل ثبوت الحكم بالدليل . ولا استصلاح مع وجود الدليل المعارض ومنه النص . على أن احكام الشريعة أقيمت على أساس السلوك السوي ، وأما المنحرفون فلهم العقاب .

٧ — قال الأستاذ : إن القول باشتراط الحول في المال المستفاد انتهى إلى تناقض جلي يأباه عدل الإسلام وحكمته — وهنا أجلب وأعلى الرنة — وقال وما أدى إلى هذا التناقض الا التقديس لأقوال فقهية غير معصومة، انتهى إليها اجتهاد علماء يؤخذ من كلامهم ويترك ، وما يدرينا أنهم لو أدركوا هذا العصر وشهدوا ما شهدنا ، لغيروا اجتهادهم في كثير من المسائل .

وأقول : إن مقارنة الأستاذ بين الخارج من الارض واجرة كرائها بمئات الدنانير على هذا النحو ، انتقال من مسألة المال المستفاد إلى مطلق النقدين واردين على سابق أو غير واردين ، مع أن الكلام في الوارد ، والأستاذ لم يقيد كلامه لفظا .

على أن المصلحة المتوهمة هنا معارضة للنص والاجماع ، فهي زائفة ، فلا تكون عدلاً وحكمة ، ثم من أين أتى التناقض وهما موضوعان ومالان مختلفان كما بينا في البند الخامس ، بل قد رأينا تفاوت المعاملة في الموضوع الواحد وهو الخارج من الأرض بين إيجاب مقدار وضعفه أي نصف العشر والعشر نصاً نبوياً ؟ أفهذا تناقض ؟ فلأن يسوق تفاوت المعاملة في موضوعين أولى ان لا يسمى تناقضا . وهل من مانع من حزم في موضع فتوجب الشريعة الزكاة فوراً كما في الخارج ، ومن لين وتسامح في موضع ، فتؤجل الشريعة المعصومة إلى الحول كما في غيره ؟ أفيكون اشتراط الحول بالنص والإجماع في الأموال الزكوية عامة أصالة أو تبعا ، وإلغاؤه بالنص في الخارج من الارض ، أفيكون هذا تناقضاً ؟ والله سيكتب شهادتهم

ويسألون . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وبعد هذا يزعم الأستاذ أنها أقوال معصومة ، أفضى تقديسها الى هذا التناقض .

يا سبحان‌الله ، كأن‌الاستاذ ينعت الأئمة بالتناقض ، إذ ينسبه الى تقديس المقلدين للأئمة ، مع العلم أن موقف المقلدين والعوام‌من‌الأئمة — كل الأئمة — تقديساً أو عكسه ، لاينشىء احكاماً ولا يلغيها ، فكيف يفضي التقديس إلى التناقض . وأما المجتهدون فان‌اختلافهم‌عائد الى‌قول واحد في الشريعة هو الصواب ، بناء على الأرجح من ان المجتهد يخطىء ويصيب ، وأن ليس كل مجتهد بمصيب ، فكيف يقع التناقض ؟ ولك ان تراجع موافقات الشاطبي في هذا الصدد ٤/١١٨ .

على أنه إن كان هذا تناقضا ، فقد دخل قول الأستاذ — إذا سوينا بين الأقوال — في حلبة التناقض ، لأنه قول في جملة الأقوال تنعت جميعا بالتناقض ، لانها غير معصومة . أقول هذا جدلا فقط ، فقد عرفت أن اشتراط الحول أساسه النص والإجماع فتعالى شرع الله الموحى متلواً وغير متلو عن وصف التناقض الباطل الجائر وترفعت الأمة المعصومة في إجماعها عن الضلالة .

٨ — وأشار الأستاذ هنا إلى الحصيلة الضخمة وسهولة التحصيل . ونقول إنما يكون الاستصلاح والاستطراد في تلمس الحكم في غيبة النص المعارض والاجماع على أن الدليل أضيق من الدعوى ، فهو في الموظفين والعمال فقط . ولقد قدمنا الإشارة الى تأويل أبي عبيد مسألة تزكية العطاء في كتاب الأموال فلتراجع .

وعند انبهار الأنفاس جنح الاستاذ إلى الاستدلال بأوسع أوامر الإنفاق ، او حتى استحسانه بدون طلب ظاهر « أنفقوا مما رزقناكم » « ومما رزقناهم ينفقون » .

وبأشمل حديث في الصدقات « على كل مسلم صدقة » الحديث . وكرر الأستاذ كثيرا تسميته اشتراط الحول إعفاءً ، هنا آخرها ذكراً .

وأقول : لاجدوى في هذا الاستدلال الأوسع الأوسع على مراد الاستاذ ، فلقد سبق أن التمسك بالعموم والإطلاق بعد وجود الأدلة المخصصة والمقيدة ، غير سائغ على أن الحديث خارج باشارة — وليمسك عن الشر — عن موضوع الزكاة أصلا فضلا عن الغاء اشتراط الحول في المستفاد . ونكرر هنا — بمقابلة تكرار الاستاذ — ان اشتراط الحول نوع من الرحمة بالمكلف والتيسير عليه بجعل الزكاة مخرجة من الفضل ،

مصداقا لقوله تعالى « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » أي الفضل ، وذلك بفسح المجال لنمو المال وتكاثره وذلك إنما يتحقق غالباً في الحول ، أما المواشي فظاهر وأما اموال التجارة فلاختلاف الأسعار بمرور فصول السنة ، وفي ذلك التيسير تمكين لتعاليم الإسلام الحكيمة في حياة الناس راضية مرضية .

١٠ — واجتج الأستاذ هنا بقاعدة رفع الحرج والمشقة ، إذ على القول باشتراط الحول يجب على كل من يستفيد مالاً ، قل أو كثر ، من راتب أو مكافأة او غلة عقار له ، أو غير ذلك من ألوان الإيراد المختلفة ، أن يحدد تاريخ ورود كل مبلغ ، ومتى يتم حوله يخرج زكاته في حينه ، ومعنى هذا أن الفرد المسلم قد تكون عنده في العام الواحد عشرات المواقيت لمقادير ما استفاده من أموال في أزمنة مختلفة ، وهذا أمر يشق ضبطه .

وأقول : هذا لا يوجب إلغاء الحول ، لأنه لا مفر منه بإلغائه ، ثم هو لا يرد على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه القائل بضم كل مستفاد مجانس إلى نصابه ، فيتوحد حول الجميع ، على ان هذا ينقلب على الاستاذ في التزكية الثانية فما يليها اذا بقي مع الاعوام ما تجب فيه الزكاة ، ذلك لأنه لا ثنى في الزكاة ، فيحتاج المكلف ومن يعنيه الأمر إلى ضبط المواقيت ومراعاة الحول الفاصل بين تزكيتين ، منعاً وتحاشياً من تثنية الزكاة في الحول الواحد ، هذا من جهة ، وإسراعاً في تأدية الزكاة الفورية التالية من جهة اخرى ، فيقع ذوو العلاقة في الحرج المعترض به . فأي جواب للأستاذ ؟

ثم إن الاستاذ وافق على الحول تبعاً في النسل والربح ، فجوابه عنهما في وجه اعتراضه هو جواب من طرد المسألة في كل مستفاد مجانس .

وأخيراً ، هذا ما أردت عرضه على جماهير القراء ، فإن يكن كله حقاً فلله الحمد والمنة ، وإن يعتوره خطأ ، فلا عجب فالنفس أمارة بالسوء ، مجبولة على الزلل ، فأستغفر الله وأتوب إليه « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب » . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .



بقلم : ابن الزمان

لسنا من الذين يعتقدون بامكان تقسيم « الشرف » ، الى شرف مهنة ، وشرف وعد ، وشرف توقيع ، وشرف وظيفة ، وما الى ذلك من أنواع ..

فالشرف واحد لا يتجزأ . ومثل الشرف في ذلك ، مثل القيم الخلقية جميعا . إذ لا يجوز تقسيم « الأخلاق » ، الى أخلاق خاصة ، وأخلاق عامة ، وأخلاق منزلية ، وأخلاق اجتماعية .. لأن هذا التقسيم ، مخالف لطبيعة الشيء المقسم .

فالذي لا شرف لديه في مهنته ، لا شرف له في وعده ، ولا شرف في توقيعه ، ولا في وظيفته ، ولا في متجره .. وكذا من كان في أخلاقه الخاصة سيئا ، فهو في أخلاقه العامة أسوأ ، ومن كان في أهله ومنزله ظالما ، فهو مع الناس أظلم .

ولكن شرف المهنة الذي عنينا ، هو مجموعة الأعراف، والتقاليد ، التي يتواضع عليها أصحاب مهنة ما ، ويتصرفون في نطاقها ، ويلتزمون بها ، كيما لا يضر أحد بأحد ، ولا يسيء أحد الى سمعة أحد من زملاء مهنته ، بسلوك مهني شائن ، أو بتعامل خسيس ، ينسحب أثره ، وتنجر ذيوله على الجميع ، باعتبارهم أبناء مهنة واحدة .. وبذلك تبقى للمهنة مكانتها ، ويصان لها احترامها في قلوب الآخرين .

واذا كان في الماضي ، الماضي القريب أو البعيد .. اذا كان شيخ المهنة هو الذي يقيم الحدود على المخالفين ، ويضمن نفاذ تلك الأعراف والتقاليد ، في سلوك التابعين له ، فلقد كان هناك : « شيخ الصاغة » و « شيخ السروجية » و « شيخ القصابين » و « شيخ الحدادين » ،

وما شئت من شيوخ •• فاننا في الحاضر نجد أن النقابة ممثلة في رئيسها ، وأعضاء مكتبها ، قد حلت محل أولئك الشيوخ ، وتسلمت صلاحياتهم •

نخلص مما سلف ، لنجد أنفسنا مدعوين لأن تتساءل عن موطن هـذا الشرف ، شرف المهنة ، لدى كثير من أصحاب المهن في هذه الأيام ، ولا سيما طائفة منهم ، تأتي — عادة — في التصنيف الاجتماعي ، على رأس القائمـة : علما ، وثقافة ، ومكانة ، وذوقا ، واحتراما •• تلك الطائفة ، هـي طائفة الأطباء •

وليعذرنا سلفا ، الطيبون منهم ، والشرفاء منهم ، والانسانيون منهم •• إذ أن هذا الكلام ، سابقا ولاحقا ، لا يعنيهم ولا يتناولهم أبدا ••

لنتساءل الآن إذن •• ولنتساءل صراحة ودون مداراة •• بل لنقذف بالسؤال هكذا •• عاريا ، دون تزويق •• في الوجه مباشرة •• ولنقل :

أين (شرف المهنة) يا أطباءنا ؟ بل أين (قسم المهنة) الذي أقسمتموه ، يا أيها (الملائكة البشر) ، من لابسي الصدارات البيض الناصعة ؟!

* — هل من شرف المهنة — مثلا — أن يتواطأ الطبيب مع صيدلي معين ، فلا يوجه الزبائن الا اليه ، ولا يصف الا ما يقتنيه في صيدليته مـن أدوية ، حتى ولو كانت من أردأ الانواع •• لقاء مرتب شهـري ، أو نصيب معلوم من الارباح ؟؟ •

* — هل شرف المهنة ، في أن يتآمر الطبيب مع وكالة للادوية ، فلا يصف الا أدويتها — كيفما كانت تلك الادوية ، ولجميع الأمراض على حد سواء — أو أن يجعل من هذه الادوية ، قاسما مشتركا بين جميع الوصفات المكتوبة ، بسبب وبغير سبب ، ابتداء من وجع الـرأس وانتهاء بالباسور •• لقاء مرتب شهري ، أو نصيب معين من الارباح ؟؟

* — هل من شرف المهنة ، أن يتعمد الطبيب كتابة الوصفات الطويلة ، بحيث تفوق أحجامها ، أعمدة أطول المقالات في الجرائـد ، مدرجا عليهـا

جميع أنواع الادوية ، لجميع أنواع الامراض المعروفة وغير المعروفة .. لا لشيء ، سوى أن يغطي بذلك على جهله بتشخيص المرض ، أو ليزيد من ربحه على نسبة المبيعات !؟؟.

* ـ هل من شرف المهنة ، أن يزرق الطبيب ، جميع مرضاه لدى معاينتهم ، بإبر الماء ـ قصد الايهام ـ ثم يتقاضى ثمن هذه الابر ، كما يتقاضى ثمن المعالجة ؟! .

* ـ وهل من شرف المهنة ، أن يبيع الطبيب النماذج الطبية (الأشنيتونات) الى مرضاه ، فيكون المريض بذلك ، قد دفع ثمن الدواء مرتين : مرة بشكل مباشر عندما اشتراه من الطبيب . ومرة بشكل غير مباشر هو وبقية المستهلكين .. اذ أن أثمان هذه النماذج الدوائية ـ التي توزع على الاطباء بمنتهى الكرم ـ مطروحة أصلا ، على الثمن الأصلي لمجموع انتاج الشركة ، من قبل أن تغادر قطعة منه عتبة المصنع ؟؟!

* ـ ثم ما معنى أجهزة التصوير الموجودة عند معظم الاطباء ، المختص منهم بالتصوير وغير المختص ؟ الذي يعرف قراءة الصورة والذي لا يعرف ؟

أليست هي الاخرى ، احدى وسائل النصب والخداع ، والا فما معنى أن المنصدعة قدمه ، يصورون له رأسه ؟ والذي يؤلمه حنكه يصورون له بطنه ، والذي يرعف من أنفه ، يصورون له فخذه ؟ والذي به زكام يصورون له عجزه ؟؟! ثم يكون ثمن الصورة الواحدة ، من بعد ذلك ، خمس عشرة ليرة على أقل تقدير ؟!
أهكذا يكون شرف المهنة ؟؟!

★ ★ ★

على أن ثمة ما هو أدهى وأنكى من كل ما سبق.. هناك أشياء تتجاوز

امتصاص الدم ، وتفوق الاحتيال والنصب على المرضى ، الذين هم في غالب الاحيان ، من الفقراء المعدمين ، اذ أن الفقر ــ كما هو معلوم ــ خليل قديم ، وصديق لصيق للفقراء والمحرومين ..

نعم . ثمة ما هو أدهى وأبشع بكثير !. ثمة الاخطاء الخطيرة الفادحة ، التي يرتكبها أطباء كبار وصغار ، بحق مرضاهم بسبب من اثنين : اما الغباء والمكابرة . واما الاستهتار واللامبالاة بأرواح الناس !. دون أن يكون لشرف المهنة أي دور يؤديه ، اللهم الا ان يكون الخطأ الواقع ، قد أصبح من مستلزمات شرف المهنة نفسه !.

وبرغم أن الحديث في هذا المجال يطول ، لكثرة القرائن ، وكثرة الشواهد والحوادث ، اليومي منها والاسبوعي .. فاننا نجتزىء ببعض الاسئلة نثيرها :

* ــ ما معنى أن يتيقن طبيب ما ، من أن الحالة المرضية المعروضة عليه ، أو التي يعالجها قد خرجت عن طوقه وطاقته نهائيا ، وأن مريضه ــ الذي منحه ثقته الكاملة ــ في طريقه الى الموت ، ان لم يتدارك نفسه لدى مستشفى أو مختص .. ومع ذلك يظل يمني أهل المريض أو المريض نفسه بالشفاء العاجل ، وبالتماثل الى الصحة ، دون أن تواتيه الشجاعة أو المروءة ، لان يصارحه بواقع الامر ؟!

أليس الذي يفعل هذا ، طبيبا جبانا غشاشا ، أو لصا يمتص الدم ويستنزف المال والحياة؟ أوليس هو بالتالي مسيئا الى شرف المهنة ؟؟.

* ــ ما معنى أن ينسى جراح مشرطا ، في جوف مريض بعد خياطته ؟!
قد يقال : انه النسيان .. وجل من لا ينسى !. فنقول : ما رأيكم لو أن مدرسا للعربية نسي ضميرا في بطن كلمة ، من أمثال :

(أنلزمكموها ؟) فلم يعربه.. ألا تقوم القيامة عليه وتقعد ؟

ما رأيكم لو أن خياطا نسي ففتح الجيب الخارجي العلوي لسترة بذة ، على اليمين بدلا من أن يفتحه على اليسار !. هل يشفع له في ذلك نسيانه ؟ لا ، وألف لا .. لقد حصل هذا مرة مع خياط ، فألزم بالبذة كاملة ، بعد أن رفض صاحبها استلامها !

هذا ما حكمت به نقابة الخياطين حفاظا منها على شرف مهنتها .
فماذا تفعل نقابة الاطباء تجاه ناسي المشرط ؟ هل تلزمه بالجثة ؟! وماذا ينفع هذا الالزام صاحب الجثة بعد أن غدا جثة ؟! أم أنها تجرده من شرف (شرف المهنة) ؟؟

* ـ وما قولنا في طبيب ، شخص المغص الكولوني لشاب ، التهابا حادا في الزائدة الدودية ، ثم زين له ضرورة النوم حالا في مستشفاه ، ثم فتح له بطنه ، فلم يجد لا زائدة ولا ما يحزنون !.. فأغلق البطن ، وأوهم المريض بأنه استأصل له الزائدة ، وتقاضى منه الاجر كاملا بما في ذلك ثمن الطعام والشراب والنوم !؟

لقد كاد الامر يظل سرا ، لولا ان الزائدة ، التهبت عليه فعلا ذات يوم ، وهو في سفر ، فاستأصلها بعد معركة من الجدل الطويل العريض ، دار بينه وبين الطبيب الجديد .. هو يقول له : انه التهاب الزائدة ، ومريضنا يسخر منه ، ويستخف برأيه ، ويشك في فهمه ، ويقسم له : وحق السماء والارض .. وحق الطب والبيطرة .. لقد استأصلتها ودفعت الاجر كاملا ، منذ سنين ! .

فما رأي (شرف المهنة) ؟؟.

★ ★ ★

ومهما يكن من أمر ، فاننا في الامثلة الماضية ، قد نجد تسمية لما مثلنا

عليه من أخطاء فاحشة ، وارتكابات مذرية •• قد نجد لها تسمية كقولنا : انها غباء • اهمال • استهتار • جشع • لصوصية • غش • وما الى ذلك من تسميات •

ولكن :

* ــ ما التسمية التي نطلقها على طبيب ، طرق عليه الباب ليلا ، رجل ملهوف ، حافي القدمين ، يلهث من شدة الركض والتعب •• يتوسل اليه أن يسرع معه ، لانقاذ زوجته المتعسرة بالولادة ، حيث تركها تحشرج وتنازع ، وأطفالها من حولها يبكون •• ماذا نقول في هذا الطبيب ، الذي رفض أن يخطو مع هذا الملهوف ، خطوة واحدة ، الا بشرطين ، يعلم سلفا أنهما في تلك اللحظة مستحيلان : مئة وخمسون ليرة تدفع حالا !• وسيارة تستأجر له فورا ! مع أن سيارته جاهزة ومقعية كالكلب على الباب ، والمسافة الى قرية الرجل هي خمسة كيلو مترات فقط ؟!• أنقول : انه الالتزام بشرف المهنة ؟؟•

* ــ وما التسمية التي نطلقها على طبيب ، يأتيه مصاب بنزف في حالة اسعاف خطيرة ، فيوضع أمامه ، فيرفض أن يمد يده ــ اللقمانية ــ اليه لايقاف النزف ، قبل أن يستلف منه ــ عدا ونقدا ــ مئة ليرة ، تدفع على الحساب !؟؟

وما حكم مثل هذا التصرف في (قاموس) شرف المهنة ؟؟

هب أنك كنت تمسك بكوب من الماء ، وجاءك انسان به غصة تكاد تخنقه ، وأومأ اليك يريد الماء ، فأبيته عليه الا بثمن باهظ ــ قد يملكه وربما لا يملكه ــ •• ثم مات الرجل ، أفلا تكون أنت قاتله ؟ أفلا تكون أنت المجرم الذي يستحق الرجم حتى الموت ؟؟•

فليت شعري ! لماذا لا يرجم القتلة من أولي الشهادات ، أو أصحاب الاختصاصات ؟ لماذا لا يسمون بأسمائهم الحقيقية : قتلة •• سفاكين ••؟؟!

صحيح ، وألف صحيح ، ان تساهلهم مع جميع الناس ، يؤدي الى تدني دخلهم بعض الشيء ، وتنغيص راحتهم بعض الشيء •• ولكن :

ـ هل من الضروري أن يطير الطبيب ، من أول سنة للتخرج ، الى « بنات نعش » ؟!

ـ هل من الضروري أن تتحقق لكل طبيب ، آماله التقليدية الثلاثة في (القصر المنيف) و (الزوجة الكاعب) و (السيارة الميساء) •• من الشهر الاول ، أو السنة الاولى للتخرج ؟!

ـ ثم أليس في راحة الضمير ـ عند وجوده ـ ما يعوض عن تعب الجسم ـ عند حصوله ـ ؟

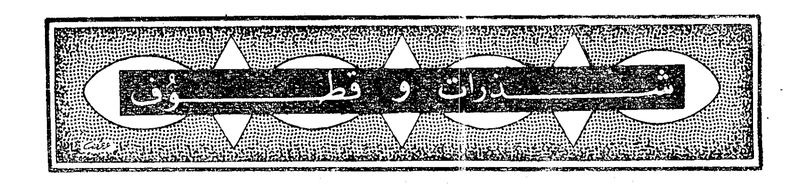
وقبل ذلك وبعده •• أين القسم الذي أقسمتموه ؟• أن تكونوا ملائكة رحمة •• رسل انسانية •• تمسحون بالحنان الجراح •• تخففون بالمروءات عن المصابين ، من كل جنس ، من كل دين ؟؟•

★ ★ ★

ألا رحم الله أياما ، كانت مهنة الطب فيها ، من أشرف المهن ••

ورحم الله أياما ، كان لكل مهنة فيها « شيخ » يقيم الحدود ، ويأخذ على أيدي المسيئين ••

ورحم الله أياما كان فيها ، لكل مهنة « شرف » ترعاه ، وتحافظ عليه•



نذر أبي دلامة

يروى أنه لما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء ، فقال أبو دلامة :

إني نذرت لئن رأيتك قادماً ... أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلينّ على النبي محمد ... ولتملأنّ دراهماً حجري

فقال المهدي : صلى الله على محمد ، فقال أبو دلامة : ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية . فضحك وأمر ببدرة فصبّت في حجره .

أين الصواب ؟؟

قال عتبة بن أبي سفيان : إذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه ، فان الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى .

... بما رضي الله به

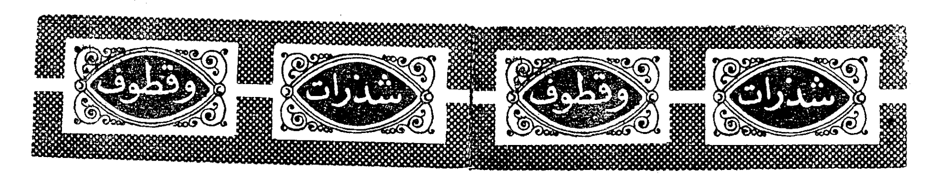
ورد في كتب الأخبار عن الأصمعي أنه قال : رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح ، فقلت : ياهذهأترضين أن تكوني تحت هذا ؟ فقالت : ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه ، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي !!

حقوق المؤمن

روى الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله بن الجلاء قوله : لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة والصداقة ؛ فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقاً لا يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه .

عيادة ثم ماذا ؟

قال عيسى بن الوزير : أنشدني أبو بكر بن مجاهد وقد جئته عائداً وأطال



عنده قوم كانوا قد حضروا للعيادة ، فقال لي : يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا ؟ فصرف من حضر وهممت بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع إليه ثم انشدني عن محمد بن الجهم .

لاتضجرنّ مريضاً جئت عائده — إن العيادة يوم إثر يومين
بل سله عن حاله وادعُ الإله له — واقعد بقدر فُواق بين حلبين
من زار غباً أخاً دامت مودته — وكان ذا صلاحاً للخليلين

أدب النفس ثم أدب الدرس

وتقدم عبد الله الشيباني الى أبي بكر بن مجاهد ليقرأ عليه فتقدم اليه رجل وافر اللحية ، كبير الهامة ، فابتدأ ليقرأ فقال : ترفق ياخليلي ، سمعت محمد بن الجهم السمري يقول سمعت الفراء يقول : أدب النفس ثم أدب الدرس .

أبور خارجة

قال معدة بن المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقال له بعضهم : لم يكنئوك أبا خارجة ؟ قال : لأني ولدت يوم دخل سليمان البصرة (يعني سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس) .

إلا في خمس ..

قال حاتم الأصم : كان يقال : العجلة من الشيطان إلا في خمس : إطعام الطعام إذا حضر ضيفٌ ، وتجهيز الميت إذا مات ، وتزويج البكر إذا أدركتْ ، وقضاء الدّين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا أذنب .

ما بالهم ؟..

سئل عبد الله الرازي رحمه الله : ما بال الناس يعرفون عيوبهم وعيوب ما هم فيه ، ولا ينتقلون من ذلك ؟ ولا يرجعون الى الصواب ؟ فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بآداب الظواهر وتركوا آداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم عن النظر الى الصواب ، وقيَّد جوارحهم عن العبادات .

الحق ، الجمال ، الحب

للاستاذ محمود القاسم

— كثيرا ما نرى شابا مسلما مؤمنا يوجه أنظار أصدقائه الى فتاة تلبس لباسا اسلاميا ساترا بقوله : « أنظروا ، أليس هذا اللباس اجمل من اللباس الفاضح؟ والله انه أجمل ... »

(أجمـــل) ؟!

— وهذه أم تنهى ابنها أو ابنتها عن عمل شيء ما لانه (غير جميل) وتطلب منه أو منها عمل شيء آخر لانه (أجمل) ؟!

— وهي لاتلبسه — أولا تلبسها — هذا اللباس لانه (غير جميل) أو (مثـــل الفلاحين) وتلبسه ذاك لانه (أجمل) ؟!

— وأب يطلب من أولاده ترك أسلوب ما في الكلام لانه (غير جميل) واتباع اسلوب (أجمل) ؟!

— ومشية فلان (جميلة) ، ولكن مشية علان (أجمل) .

— وهكذا ...

— ولو فتشنا عن الاساس الذي نبني عليه سلوكنا الفردي في كل المجـــالات لرأيناه (الجمال) ؟!.

أما في العلاقات بين الافراد ، فنسمع الى جانب (غير الجميل : الجميل والاجمل) نغمة أخرى (جميلة) .

فهذا انسان يعلق على حادثة سمعها بقوله : « نحن لانحب بعضنا .. » . وآخر يدعو بقوله : « الله يحببنا ببعضنا » .

وكثير هم أولئك الذين يعزون مشكلاتنا في هذا العصر الى أننا (لانحب بعضنا) و (لو أحببنا بعضنا لتغير الامر) و ... و ...

أي ان الحب هو الاساس الذي يحاولون بناء العلاقات الاجتماعية عليه .

هل للجمال والحب أصل في الاسلام ؟

نفتش في مصادر الاسلام فلانرى أي أثر يجعلهما أسسا في الحياة . ولكننا نقرأ قوله تعالى :

« ... ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق ... »
التوبة (٣٠)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
التوبة (٣٤)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
الفتح (٢٨)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
الصف (٩)

« يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ... »
النور (٢٥)

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه ... »
الرعد (١٥)

وعشرات من الآيات تصف الاسلام بالحق .

إذن ، فالاسلام هو دين الحق .

وهو يبني أحكامه على الحق فقط ويطلب من المسلم أن يكون كل سلوكه مبنيا عليه .

ولا يستطيع إلا مراوغ أن يدعي ان في الاسلام حكما بني على أساس الجمال أو الحب .

ولا يستطيع الا مراوغ أن يدعي أن الاسلام حرم محرما لانه غير جميل أو غير محبوب .

من أين تسربا الى مجتمعنا ؟

لقد تسربا الى مجتمعنا من الغرب .

فالحياة الاجتماعية في الغرب مبنية على هذين الاساسين (الجمال والحب) .

وقد انحدرت اليها فكرة الجمال من المدنية اليونانية الرومانية ، وتشربت

بفكرة الحب من النصرانية التي هي (دين المحبة) بعد أن مسخت هذه المحبة وحولتها الى حب جنسي. وأصبحوا هناك لايعملون الشيء الا لجماله أو لحبه.

وقاد مبدأ الجمال والحب الى ظهور مبدإ ثالث هو (اللذة) ، وقام بالدعاية الواسعة لهذا المبدأ كتاب مريبون ، لهم غايات سياسية مريبة ، تهدف الى تمييع المجتمعات الانسانية حتى تستطيع اليهودية تحقيق حلمها بحكم العالم ، وأكثر هؤلاء الكتاب يهود ، وباقيهم مهودو الفكر والاخلاق .

ويتسرب هذا المبدأ الى مجتمعنا تدعمه أياد خفية ، وهو وان لم يفتك بنا بعد ، لكنه يتهيأ للانقضاض في بحثه عن مراهقين يلتزمونه بتوجيه من أناس خسروا أنفسهم ولا ينتظرون الا أن تخسر الامة وجودها .

ولقد تسربا الينـا بطريقين :

الطريق الاول ــ طريق الكتاب ، ولا أدري ان كان هناك من سبق محمد عبده في عصرنا الحديث الى هذا الطريق .

فهو يعقد فصلا في كتابه (رسالة التوحيد) تحت عنوان (حسن الافعال وقبحها) يدرس به الجمال في الاحياء والاشياء ثم في الافعال والاحساسات ، الى أن يقول :

كل هذا عرفه العقل البشري وفرق فيه بين الضار والنافع ، وسمى الاول فعل الشر والثاني عمل الخير ، وهذا التفريق هو منبت التمييز بين الفضيلة والرذيلة ... » وملخص قوله هو ان الجمال والقبح هما أساس مفهومي الخير والشر والفضيلة والرذيلة . وهذا يعني بالبديهية أنهما يجب أن يكونا أساسا في التشريع (سواء فهم ذلك محمد عبده ام لم يفهمه) .

وفي فصل آخر من نفس الكتاب تحت عنوان (المسلك الثاني في بيان الحاجة الى الرسالة) يقول :

« ... والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب ، هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر ، الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر ، فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظاً لنظام الامم وروحا لبقائها ، وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون

وتتابع الكتاب بعده يتبارون في المضمار ، وكتبوا ... وكتبوا ... حتى قرأنا لبعضهم قوله : « الجمال قمة الحق » .

الطريق الثاني ــ المعايشة والاحتكاك في عهود الانتداب ، حيث يقلد

الضعيف القوي تقليدا أعمى وهو يحاول أن يفلسف تقليده هـذا للآخرين ، وكذلك معايشة الطلاب الذين يدرسون في الغرب واحتكاكهم المباشر بالغربيين ونقلهم عاداتهم ومفاهيمهم الى عائلاتهم وأصدقائهم بعد العودة ..

ولا ندري ان كانت هناك أيـاد خفية تعمل لبث هذه الافكار حتى توجد فئة من الناس ينظرون الى الحياة من زاويـة غير الـزاوية التي ينظر منهـا الآخرون ، فيكون الشقاق والصراع وبالتالي الضعف والانهيار .

النتيجـة :

عندما نقبل الجمال أساسا للحياة ، أو قمة للحق ، فمن البدهي جدا أن نكيف سلوكنا حسب الاسس الجمالية ، ومن الطبيعي جدا أن نبني احكامنـا على الاسس الجمالية ، كما أنه من المنطقي جدا أن نضع تشريعنا مستخلصا من الاسس الجمالية .

فكل جميل جائز ، أو واجب ، وكل ما هو أجمل منه فهو أكثر جوازا او أكثر وجوبا !؟ وسنفتش دائما عن الاجمل .

ـ والنتيجة مـاذا ؟

ـ الجمال هو المطلوب ، ولتكن النتيجة ما تكون !

وصدقني أيها الاخ أن (المونی جوب) الفاضح أجمل من اللباس الساتر ، وصدقني ايها الأخ ان الشاب المتهتك الذي يلبس الشارلستون ويراقص فتاته الخليعة في الحلبة أجمل من الجندي في لباس الميدان يدافع عن عقيدته وأمته ، أو من الطالب الذي يقبع في زاوية يلتهم صفحات كتابه .

وصدقني ... وصدقني ..

ثم صدقني أن الذي يتكلم عن الجمـال كأساس للحيـاة ، ويطلب الشيء لجماله ، أو يجعل الحق جمالا أو الجمال حقا أو قمة للحق ، صدقني ان هذا الانسان اما ان يكون مخطئا متسرعا ، او ساذجا مخـدوعا ، او خبيثا ماكرا ، كائنا من كان ، وكائنا لقبه ما كان .

أما الحب ، فانه يقود الى سلب حق من لا أحب لأعطيه من أحب .

ومن المستحيل ان يحب الانسان كل الناس ، ومن المستحيل ألا يحب أحدا أكثر من آخر ، هذه هي طبيعة الانسان ، فهو دائما يفضل بعض الناس على بعض ، ويحب شخصا أكثر من آخر .

ومن البدهي أن الشكل الجميل يلعب دورا رئيسيا في الحب .

فاللباس الجميل ، والكلام الجميل ، والمشية الجميلة ، كلها محبوبة وصاحبها محبوب ، مخلص ، فذ ، محترم ....

والممثلون هم أقدر الناس على كسب الحب ، ويستطيعون ، بالنتيجة ، التلاعب بالعواطف وجر أصحابها الى المتاهات التي يريدون . (اذا كنا نتخذ الحب مبدأ) .

والممثلون كثر ، وليسوا هم فقط أولئك الذين يسلون الناس على خشبات المسارح .

أما الاسلام :

الاسلام دين الحق .

وللحق في الاسلام حدود ليس للأهواء عليها من سبيل .

ولا يقود الحق الا الى الحق ، سواء أكان هناك حب أم بغض ، أو كان هناك جمال او غير جمال .

وهذا لايعني مطلقا أن الاسلام يتنكر للجمال والحب ويحاربهما ،

لا ، فللجمال والحب ميول فطرية في الانسان ، ولكنه لايبني أبدا أحكامه على أساسهما .

فالاسلام يوازن بين جميع الميول والغرائز، ولا يضخم أيا منها على حساب البقية ، ولا ينحرف بها عن الفطرة التي فطرت عليها . وهذا هو الحق .

الاسلام يبني أحكامه على الحق فقط .

هذا حق فيجب ان يعمل وينفذ فهو فرض أو واجب أو حلال .
وهذا باطل ، فيجب ان يترك ، فهو حرام أو مكروه .

جاء قاتل زيد بن الخطاب (أخي عمر) الى عمر ، فقال له عمر :

— « أما تعلم أني لا احب ان اراك .

فقال له : وهل يمنعني هذا من حقي ؟

فقال له عمر : لا

فقال : أحبب أولا تحبب فانما يأسى على الحب النساء .

وأخذ حقه . وعمر يومئذ خليفة !

هذا هو الاسلام ، دين الحق .

فيجب ان نزرع الحق في نفوسنا .

يجب أن نبني كل أحكامنا على أساس الحق .

واهم شيء على الاطلاق ان نلغي من التربية البيتية والمدرسية ، كلمة (جميل ، وغير جميل) و (محبوب وغير محبوب) ونستبدلها بكلمتي (حق ، وباطل) و بالتعبير الآخر الذي يدل عليهما ويفهمه الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، وهو كلمتا (حلال وحرام) .

يجب أن ينشأ الاطفال منذ صغرهم على أن هذا حلال أو فرض او سنة فلينفذ . وهذا حرام او مكروه فليجتنب .

وان طفلا يربى على مفهوم الحلال والحرام لن يكون في مستقبله — اذا شاء الله طبعا — الا انسانا مؤمنا قويم السلوك والاخلاق والفكر .

وان طفلا يربى على مفهوم (الجمال والحب) ، لن يكون في مستقبله الا انسانا خياليا تابعا لأهوائه — والجمال والحب أهواء — يبني سلوكه وأحكامه على أساسهما ، ويرى ان ذلك هو الواقع ، ثم لن يرى في الاسلام الا مناقضا لذلك الواقع ، ولن يستطيع ان يدرك من مفاهيم الحق مدركا .

الخلاصة :

لنلغ من البيت ومن المدرسة مفهوم السلوك واللباس والقول والعمل والمرافقة على أساس الجمال أو الحب .

ولنحرص دائما على بذر مفهوم الحق والباطل والحلال والحرام في نفوسنا عامة ، وفي نفوس الاطفال خاصة لينشؤوا عليها .

اذا حقق الجميع ذلك ، فستكون الاجيال الآتية ، ان شاء الله ، صالحة أكثر منا ، لحمل رسالة الاسلام ، ورفع هذه الامة الى مصافها الطبيعي ، ودحر الباطل الذي يحاول بدجله ومسر حياته تحقيق حلم خادع .

لنعمل هذا ولننبه اليه الآخرين .

الجريمة النكراء

بقلم انس عبد الرحمن عثمان

(١)

احترق الأَقصى

أَصوات ضجت

منكرة

لا تحصى

وأحتج العالم

واستنكر

كلمات خاوية

لا أَكثر

أحترق الأَقصى

وأحتج العالم

واستقصى

لكن الحال

لم تتغير

من قبل استلبوا

مأوانا

فصرخنا رفعنا

شكوانا

ويحقق في الطلب

وينظر

وتظل المأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

(٢)

اْحترق الأَقصى

واْحترقت معه

أَفئدة

واْحترقت أَكباد

واْمتد ظلام المأساة

إلى كل الأَبعاد

وترامت أَصداء

وترامت أَصداء

باكية

تشق الآمـاد

وضمير العالم قد

أَغفى

أَو كاد

والحالة لم تتغير

والمأْساة هي المأْساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

★ ★ ★

(٣)

وتداعت أُمم الأَرض

إِلينا

واللوم علينا

ترمقنا شزرا

وأَقمنا من دنيانـا

حجراً

علّقنا فيه

عقائدنا

ونصبنا فيه

مكائدنا

ومضينا

مضينا

نتعثر

نستنجد والعالم

أُفق موبوء

يضيع الحق

إلاّ حق القوة

والمثل العليا

أَوهام مدرجة

دفنت في هوة

وأَدوها وبكوها

بدموع كاذبة

وتظل الأَحزان

ويظل الأُفق

الموبوء

يستمرىء في كل ضغينة

يستعذب صوت

الأَشجان

وتظل المأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهد

ونسير إلى مأساة

أَكبر

تنحدر مكانتنا

وتزيد مهانتنا

ما لم نتبين واقعنا

ونحدد فيه مواقعنا

ونقوم ثم دوافعنا

ما لم أَنفسنا

تتغير

(٤)

أحترق الأقصى

خطب

لكن أن نرضى

خطب أكبر

ماذا لله

ماذا للدين

وماذا للشرف

الغالي أن يهدر

مابال المسلم

ما بال العربي

مابال الأمة

كالصخرة لا تثأر

ما بالي

يشتد ويمتد العدوان

وأنا أرتد

كما يرتد جبان

قد ألف الاذعان

قد فقد الإحساس

فلم يتأثر

ما بالي

وعدوي بإزائي

والبغي أمامي

وورائي

والشر خيالي

لا أملك دفعاً

للبغي ولا الشر

ما بالي

والنار بقدسي

مسعرة

تلتهم البنيان

وكأني له أدر

بما كان

مابال الخطوة

مني تتأخر

والحالة بعد لم تتغير

والمأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

★ ★ ★

(٥)

نحتاج لدفق من

إيمان

تهتز له الدنيا

تهتز الأركان

نحتاج إلى العزمة

في عنف البركان

نحتاج لبذل وعطاء

وكفاح وفداء

نحتاج لاخلاص

بناء وتفان

نحتاج لأن نصدق

أنفسنا

ونحولها طاقات

أرواحاً ودماءً

تتفجر

أو تبقى الحالة

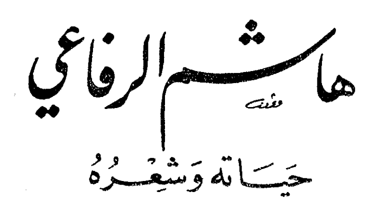
لا تتغير

وتظل المأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر



للاستاذ محمد حسن بريغش

٥

آ ـ **شعر الطبيعة :**

كثيراً ما كانت الطبيعة مجالا كبيراًالالهام الشعراء، ومبعثاً حياً لتصوراتهم وخيالاتهم الجميلة ، لما فيها من التنوع والجمال الفتان ، هذا التنوع الذي يبعث الحيوية في النفس ويحرك مشاعر الفنان فتمتلىء نفسه بشتى الصور : فهنا يجد الطير المغرد يتنقل من غصن الى غصن فيعيش معه لحظات حالمة ، وقد يدخل عالمه ويستغرق في نشوة روحية ساحرة ، يرى فيه معاني الحب أو قد يرى فيه صدى الشكوى والحنين، يهمس إليه بما في نفسه من الضجر ، أو يسمع منه أصفى أغنيات الحياة ،وهناك يرى الجدول السارب عبر الحقول، تتدحرج أمواهه ضاحكة مستغرقة في حلمها الأبدي ، وكأن الحياة سرور وسعادة وبهجة ، وقد يراه رائقاً متموجاً تتمايل أمواجه سكرى بدفقات الحياة المتتابعة الرغيدة ، وقد يراه صاخبا ضجرا مدمرا ، يرتطم بالصخور فيهزها وقد يفتتها ، ويقتلع في طريقه الاشجار ويهدم البيوت ، وثم يراه مرة ثالثة قوة هائلة لايعرف مداها ، يقف أمامهاذاهلا معتبرا ، ويعود الى قرارة نفسه ليجد فيها أعماقا كأعماق البحر . وفي مكان رابع ينظر الى الورود بألوانها الزاهية وبنمنماتها الهامسة بعبيرها الذي يحكي صفاء الحب ، وجمال الاخاء .

والشمس والفجر المتدفق الزاخر بالحيوية والنشاط والأمل ، والاصيل الحاني المكتحل بلوثة الذبول الناظر بتضرع وخوف ووجل .

والليل بكل ما فيه من هول ورهبة وسكون ، لايحده الأفق ، ولا يقف دون امتداده حاجز أو حائل ، يلف الكون بهذا الثوب الداكن ، يضم بين جانحيه عالماً، من الاسرار ، والحركة ، من الاحزان ، والمسرات من الطيش والفجور ..

عالم يمتد من اليمين الى الشمال ، من الحق للباطل ، من هذه المعاني الضخمة التي تصنع الحياة الى أتفه الاشياء الصغيرة ويضم كل ذلك في قلبه الكبير .

والانسان في هذه الطبيعة ـ أيضا ـ هذا المخلوق المكرّم يدخل العالم هذا بثوب آخر وسمات أخرى .

الانسان في الطبيعة يتعرى من لوثة المادة ، تنفتح نفسه على فطرتها ، يبذر ذاته أمام الكون ليظهر دون تزييف : الفلاح ، والراعي مع قيثارته ، الملاح في زورقه الحالم ، ثم الجماعة في القطاف ، والاطفال على الشاطىء ، كل ذلك يوحي للشاعر بألف معنى ، وصوره ، يوحي له بالخيالات والرؤى المبدعة التي يقصّر عنها الانسان العادي ولا يصل اليها الا الفنان .

حتى الحيوان ـ هنا ـ يلبس ثوبا آخر ، نراه مع الطير والحشائش والازهار والنهر والماء ـ نرى كل ذلك وقد تخلى عن طبيعته المادية الحيوانية الجامدة الراكدة ، بل نراه يحس ويشعر . في عالم وديع مستسلم راض ، لا كد في حياته ولا شؤم ولا خصام ، نتعاطف معه ونحنو عليه وتصنعه خيالاتنا الشاعرية مخلوقا جميلا محببا ، لانقسو عليه ولا نجد فيه مطية ممتهنة .

هذه الطبيعة بكل ما فيها من العوالم والظلال والالوان توحي للشاعر برؤى عجيبة . والشاعر إزاءها لوحة حساسة ، يشعر ويتخيل ويحلّق ويبدع . وبقدر ما في احساسه من العمق والشمول والدقة بقدر ما يعطينا من صور خالدة حية وجميلة .

والقرآن الكريم ـ الكتاب الخالد احتفل بالطبيعة وأعطانا أدق الصور لها ولفت نظر الانسان الى ما فيها من جمال وروعة وتناسق ، لكي يستخدمها أحسن استخدام كمخلوق مكرم ، وكخليفة الله في الارض ، خاصة وأن « جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق . ولكن الإلف والعادة يفسدان التطلع الى ذلك الجمال الفذ ، فتتبلد الحواس لما ترى ولما تسمع وتمر بكل شيء كأنما لا وجود له ، وتنسى بحكم التعود أنه رائع وأنه جميل ، وعندئذ لابد من ايقاظ النفس من سباتها لتتفتح و « تستنشق » الحياة ، وتلك مهمة الفنون .

ولكن القرآن ـ وهو منهج حياة وهو كتاب تربية وكتاب دين ـ يهمه كذلك ان يوقظ النفس من تبلدها لتتفتح وتستنشق الحياة ... لان النفس المتبلدة

لا تجيش لحمل أمانة الخلافة في الارض ولا تنزع الى الخير ، ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ، ولا تبني ولا تنمي ولا تحوّر ولا تبدل في هذه الارض . لان ذلك كله حركة جياشة فعالة مريده ، والحركة لاتنشأ من التبلد والجيشان ، ولا تنبع من الخمول .

من أجل هذه النفس وصلاحها ، ومن أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القرآن الى تحريك هذه الحواس المتبلدة ، لتنفعل بالحياة في أعماقها ، وتتجاوب تجاوبا حياً مع الاشياء والاحياء ، وهنا يلتقي الدين ـ بمفهومه الاسلامي ـ مع الفن . ويلتقيان في أروع صورة في ثنايا القرآن ! »(١) .

وازاء هذا الاحتفال بالطبيعة ، فالفنان الذي يرى مظاهر الطبيعة حواليه لابد أن تؤثر فيه ، ويرى فيها أروع المشاهد الخالدة ، ولكن هذا الفنان لا يستطيع أن يرسم لنا هذه الصور الخالدة المؤثرة ـ ولا يمكن له أن يبرز هذا الجمال الفذ إذا لم يكن عنده من الأصالة وشمول النظرة ، وسعة الاطلاع ودقة الاحساس ما يستوعب هذا الجمال ويقدر على ابرازه . وكلما كان الأديب أصيلا ، كلما استطاع أن يصلنا بالطبيعة ويطلعنا على الحقائق ويبرز لنا هذه العوالم بأروع صورها وأجلى حقائقها ، وأكملها وأجملها وحينها يأخذ الاديب دوره ويستحق أن يكون : « رائد من رواد البشرية يسبق خطاها ، ولكنه ينير لها الطريق ، فلا تنقطع بينه وبينها الطريق ، وهو رسول من رسل الحياة الى الآخرين الذين لم يمنحوا « حق الاتصال » كما منحه ذلك الرسول ، فهو يطلع من خفايا الحياة على مالا يطلع عليه الآخرون وهو يحسها في صميمها مجردة عن الملابسات الوقتية والحدود الزمنية ، يحسها كما انبثقت أول مرة من نبعها الاصيل ـ وكما تدفقت غير منقطعة من مجراها الواسع الطويل . ووظيفته أن يفتح المنافذ بيننا وبين هذا النبع بقدر ما نطيق ، وقيمة الأديب الكبرى انما تقاس بمقدار اتصاله بالنبع من وراء الحواجز والسدود .

وبعض الأدباء يبدو دائم الصلة بالنبع الكبير ، أولئك هم الكبار ، وبعضهم يتصل بهذا النبع فيرشف منه قطرات سريعة ، ثم يُحاول بينه وبين النبع فيقف من وراء السدود حتى تتاح له قطرات أخريات ، اولئك هم الممتازون على تفاوت في هذا الامتياز »(٢) .

---

(١) منهج الفن الاسلامي ٢١٢ ـ ٢١٣ وما بعدها ، ومن شاء أن يرى نماذج من القرآن الكريم فليراجع فصل « مشاهد الطبيعة في القرآن » في الكتاب ذاته .

(٢) النقد الادبي . سيد قطب

وحين يتصل الشاعر الفنان بالطبيعة ، ويلمس جمالها وروعتها لابد له من التأثر ولا يبدو لنا تأثره وأصالته الا من خلال الصور التي يمنحنا إياها ، فاذا كانت صوره جامدة خاملة يائسة ، عرفنا أنه شاعر يدق أبواب الفن ويتسلق على بنائه الشامخ ، أو انه ناظم يحاول الوصول الى النبع ، واذا كانت صوره حية متحركة ، يخلع من نفسه عليها، وتبدو لنا بكل حيويتها ودقائقها وإشراقها، حينها نعلم أنه فنان أصيل ، وبقدر ما يبرز لنا من الصور بقدر ما يستحق من الاعجاب ، ومن خلال هذه الخطوط ننظر الى شاعرنا هاشم الرفاعي في شعره عن الطبيعة .

لاشك في أن الشاعر الذي يستيقظ على مناظر الطبيعة الجميلة ومفاتنها سيبرز ذلك في شعره . والرفاعي الذي عاش في انشاص وقضى طفولته في الريف يرى الارض والفلاح والشجر والزهر ، ويستمتع بمنظر الورود والطير ويطرب لألحان الرعاة وغناء الفلاحين ، ويأنس لسحر الطبيعة ، هذا الشاعر سيجد أن الحياة في هذه الطبيعة باسمة ، إنه ينسى تعقيد الحضارة الحديثة ، فنراه في قصيدة « بسمة الحياة » يستعرض لنا مناظر الطبيعة ويبرز لنا جمالها ، ويسمعنا نغما من نغمات جداولها ، أو همسة من همسات عطرها أو طيرها ، وتختلط هذه الصور عنده ، فالالحان بحر ولها شط ينعم بسماعه الشاعر ، والبستان الجميل هو بستان الحب والطهر والاخلاص مظاهر الطبيعة تختلط بما في نفسه من ميول ونوازع وصور ومعتقدات فيسكب لنا في نغمة هادئة منسابة سهلة عواطفه في لوحة طبيعية :

على شط من الالحان والأزهار والعطر
بروض الحب والانغام والاخلاص والطهر
تعالي نقطع الأيام في حلم على النهر
نرى الدنيا وقد فاضت أفانين من السحر
ونصغي للنسيم الصب يزجي الشوق للزهر
فلا ينفك نشوانا بغير الكأس والخمر

الشاعر مفعم بتباريح الحب والشوق ، انه يناجي هذا الحب ويناجي حبيبته ويرى في الطبيعة قلبا كبيراً يتسع لنجواه ، وينعكس ما في نفسه على الطبيعة فيراها صورة متفائلة جميلة .

ونجوى مثلُ نجوانا لعشاق من الطير
مضت في حبها تفضي بمكنون من السر

ولا ينسى الشاطىء الجميل تختلط فيه شتى الالوان والمشاعر ، خاصة عند الاصيل ، حيث تعكس الشمس أشعتها فتبرزها هناك صوراً بديعة فلا يجد الشاعر غير الياقوت والدر والتبر مثيلالها ، انها صورة تعج بالحركة والجمال ـ صورة الأصيل ـ وتستجيش المشاعر وتحرك كوامن النفس ، لكن الشاعر هنا لا يتعمق الصورة ، فيقصر عن ابرازها على حقيقتها ، انه قيد الصورة وجعلها جامدة حين شبهها بالمادة البراقة، بالتبر والياقوت، ليس فيها من الحياة غير اللون واللمعان الخاطف ، لكنها ميتة تافهة بمنظار الحياة الدافقة .

وعند الشاطىء المزدان بالياقوت والدر
كست شمس الأصيل الماء أثواباً من التبر

ثم يعود ليرى هذا الانسان المتعب ، الملاح الذي يسعى في اليم ليجني قوت عياله بأمل وتصميم لا يكل ، وهنا يقترب الشاعر من نبع الجمال مرة أخرى :

وفوق اليم ملاح يعد الفلك للسير
مضى يشدو بألحان تمس النفس كالشعر

ثم ينتقل للبحر وموجه الصاخب ، هذه الحركة الدائبة والصراع المستديم ، نعم صورة حية صورة الصراع بين الموج والصخر ، وهي صورة فنية جميلة .

وموج البحر ما أضناه طول الكر والفر
صراع خالد قد قام بين الموج والصخر

وكل هذه الصور توحي للشاعر بالأمل والحياة ، فلا يأس ولا قنوط .

ونمضي في المنى حتى نرى اشراقة الفجر
تعالي فالربا تهتز بالأفراح والبشر

من القصيدة نرى أن الشاعر استطاع أن يلمس بعض جوانب الجمال ؛ أعني أنه استطاع الاحساس بالجمال ، والاستجابة لهذا الجمال ، لكن هذا الاحساس لم يكن كمن تعشق الطبيعة ونفذ باحساسه لجمالها ، بل كان كمن تطلع اليها من نوافذ ، ورأى بعض جمالها ، وأحسها باحساس الطفل الذي ينعم بهذا السحر ، واستطاع في بعض اللحظات أن يرينا جمالها من خلال هذه النوافذ ، ولقد عبر في ألفاظه القليلة عن شيء من هذا الجمال دون أن يستطيع الاحاطة به كله ، أو النفاذ الى روحها ، ودون أن يستطيع اعطاءنا الصورة الكاملة

لهذا الاحساس بما فيه من روعة وسحر أخاذ .

وفي قصيدة أخرى بعنوان « في ظلال الريف » نجد الرفاعي يتذكر الريف، ويتذكر في الريف كل ما فيه : الطفولة الحلوة ، الأحبة ، والظباء الطاهرات :

ذكرى كفــواح العبيــر   هــاجت بأحنــاء الصدور
واستيقظت فــي النفس   تشعلهـــا كجياش الشعور

إنها ذكريات تضطرم مرة أخرى عندما يتذكرهــا ، فهي عبير الحيــاة لانها امتزجت بالطفولة الحالمة التي مضت ولن تعود :

دع عهــدهــا فلقــد تولى عنــك في عمر الزهــور
لــن يرجــع الماضي ولن يتحقق الأمــل العسير
فانس الحــديث عــن الأحبــة والليــالي والبــدور
وظبــاء حش(٣) في ربوع الريف من غيد وحــور
تيَّمْنَ(٤) قلبك ـ وامتلكن زمامــه فهــو الأســير

ولا ينسى في الريف مع هذه الذكريات الجميــلة صورة نفسية ، وصورة ذهنية . خاصة وانه يعيش في المدينة ويرى أثر الحضارة الحديثة فيرى فيهــا الطيش والفجور ثم يعود الى الريف ليتذكر جماله وروعته وصفــاءه ، ويتذكر فيه طهارته وعفافه وحفظه للاخلاق والكرامة كل ذلك حين يتذكر فتيات الريف يكسوهن الحياء ، ويتزين بالعفاف ويحفظن العهد والمودة لأزواجهن .

كم في القرى من غــادة   حسنــاء كالرشــأ الغريــر
النائمــات لدى العشيِّ   القائمــات لـــدى البكــور
الحافظــات على الليــا   لي قدس عهــد للعشير(٥)
وبرزن فــي أخــلاقهــن حيــاء ربــات الخــدور

وتمر هذه الذكريات على خواطره فيتنقل بين زهورها ورياحينها ، ويترك خياله في أجواء بساتينها ليعطينا ــ مرة ــ صورة ملونــة ، ــ ومرة أخرى ــ فكرة وتمتزج هذه الصور مع عواطفه ومشاعره ، ــ وفي مرة ثالثة ــ يتركنــا نقــارن هذه الصورة المؤثرة بمثيلاتها لنرى الفارق البعيد بينهما .

---

(٣) الحِش : بفتح الحاء وكسرها : البستان : النخيل المتجمع
(٤) تيم قلبه : علقه ، ذلله .
(٥) العشير : الزوج

ولا ينسى طفولته التي تقترن بجمال الريف وذكرياته . ويعود بذاكرته الى الوراء ليرى نفسه فراشة تتنقل بين الزهور ، يملأ الجو بالانشاد والحبور وتمتلىء نفسه بالسعادة والنشاط . والبدر يحنو على الدروب المظلمة فينيرها ليسير فيها ويقضي السهرات الحلوة، ولا ينسى مع حياة الطفولة الشيخ المهيب الذي يؤدبه بعصاه في المكتب :

أيام ألهو في الحقول ... فراشة نشوى تطير
وأجر في أرياضها ... ذيل الطفولة في سرور
ذاك الزمان مضى به ... كر الليالي والشهور
أين الليالي الحاليات ... بساطع البدر المنير
وعصاً تؤدبنا بها ... في مكتب الشيخ الوقور

ويعود بنا من رحلة الماضي عبر ذكريات الطفولة ليرسم لها الاطار الطبيعي الرائع فلم يجد ما يناسب هذا الاطار غير الاشجار الباسقة، الصفصاف وأوراقه الكثيفة الملتفة كالضفائر – عرائس الحقول – بشعورهن المتدلية حتى تلامس صفحة الماء الصافي ، وحين ذلك يتخيل هذه الاذيال تقبل وجه الماء وتتبادل معه همسات الحب ، وتبقى هذه الهمسات مادام خرير الماء ، ما أجمل هذه الايام !! لقد مضت . ومضت معها الطفولة والبشر والسعادة .

وضفائر الصفصاف قد ... مالت على الماء النمير
لثمت صحيفة وجهه ... فانساب يهمس بالخرير
ماض تولى من صباً ... غضٍ ومن بشرٍ نضير

ويعود بعد حسرة الخيبة من عدم رجوع هذا الماضي ، يعود وكأن احساسه يلح عليه ليعيش مع هذا الحلم فيغوص وراء ذكرياته يلملم جوانب الصورة ، ويرى لمحات أخرى ، ومناظر أكثر ، وبجهد البائس الحالم ينقذ لنا من هذا الماضي بعض لوحاته الحية ، بل يحاول الشاعر أن يدب فيه الحياة من جديد فيمزج عواطفه المتأججة بالصورة الذاوية ، ويمزج الحزن والاسى مع الفطرة والسذاجة حين يرى على ضفاف النهر هذا الثور المتعب وهو يدور ليرفع الماء فيحزن لمنظره حين يراه مجهدا قد أضناه الدوران، وتلاحقت أنفاسه المنهكة حتى لم يستطع الخوار .

وعلى ضفاف النهر تحت التوت ساقية تدور
يمشي بها ثور تغشّا ... هُ الكلال فلا يخور

حجبـوا العيـون فمـا رأى فـي أي دائـرة يسـير
قـد أحزنتهـا حـالـه فبكته بالدمـع الغزير
ويحثـه مـن خلفـه سـو ط لـه لفـح السعير

ثم يرسم لنا صورة الفلاح الذي يعمل بلا ملل ، وهو يقسو على ثورة لكي يحصل من وراء قسوته على لقمة العيش ، وها هي الندوب والشقوق ترسم على يدي هذا المسكين صور التعب. ومع ذلك فلا يزال الرضى والشكر لربه يملأ قلبه. إنها صورة كل الفلاحين الذين يحنون ظهورهم فـوق الفؤوس ويكدحون في حر الظهيرة ، شرابهم في الصباح كؤوس الزمهرير ، وطعامهم لفح الرمضاء .

قـد أمسكتـه يـد بهـا لشقاء صاحبهـا سطور
قـد عضـّه البـؤس المـ ـضّ(٦) ببابه وهو الشكور
وعلى الفؤوس قـد انحنت منهـم وقوست الظهـور
الـكادحـون ومـا اشتكـوا حـر الظهـيرة والهجير
والشاربـون لدى انبـلا ج الفجـر كأس الزمهرير

هذه الجولة في الريف الجميل . من خلال هذه الصور الكثيرة المتنافرة أحيانا، يلفها الجمال الطبيعي الأخاذ ، والروعة الساحرة الفتانة ، تنتقل بينهـا ريشة الشاعر والفنان حتى تلامس ـ أحياناً ـ مشاعره . ثم تنساب حيناً عواطفه مع صوره فيعطينا دفقة منها . وقد تخرج بعض مشاعره ممزوجـة بالصورة دون تعمق ، فلا يحس أنه في الصورة ، غارق في نعيمها ، مأخوذ بجمالها بقدر مانراه يقظا لدقائقها ، مبدعا في نقلها ، وكأنه ـ حينها ـ يلمح من بعيـد ضياءً لامعا فيقبس منه ، لكن الضوء يخبو فيصله بخطوط مضيئة من خياله .

وإزاء جمال الريف يطلق لفكره العنان ، فتتداخل الصور الجميلة مع المعاني الذهبية التي يطرزها بإطار طبيعي ، ويبدو ذلك حين يجد الريف خيّراً معطـاءً لكنه مع ذلك محروم مريض مهمل ، بيوته كهوف مظلمة أشبه ما تكون بكهوف الحيوانات أو بيوت الحشرات .

يـا ريف يا مهـد الجمـال ومصدر الخـير الكثير ! !
يا أيها العاني(٧) المريض !! أمـا لموتـك من نشـور ؟
أبـك الكهـوف منـازل أم تلـك أبيـات ودور ؟

(٦) المض : الموجع
(٧) العاني : الأسير

كيف أتقاء الداء بعد العيش في هذي القبور ؟

تساؤلات حزينة يدعها بلا جواب ، ويمضي عنها دون تعمق ولا كد للذهن ، ويكتفي باثارةهذه الصورة المؤذيةلمشاعرنا إزاء الصورة الجميلة . ثم يعود مرة أخرى للريف يكبر فيه الشرف والغيرة ، ويعتبره حصنا للفضيلة والخلق . نعم إنه يفتح في هذه الالتفاتة عيوننا على ما في المدينة الحديثة من كذب وبهتان ، ويدعونا من وراء الصورة الى المقارنة بين المدينة والقرية ، ثم يضع هذه الصورة إزاء الاهمال والاخلاف بالمواعيد للريف ، ويدعونا الى رفع الظلم حين يدعو الريف الى نبذ الجهل والتحلي بأثواب المجد الجديرة به .

حييت يا حصن الفضيلة يا حمى الشرف الغيور
من لم تدنس أرضه مدنية كذب وزور
كم أهملوا الاصلاح فيك وأنت عانٍ لا تثور
كم أخلف الوعد الذي أعطاكه منهم وزير
فاخلع رداء الجهل إن العلم بين الناس نور
والبس ثياب المجد أنت بثوبه أبداً جدير

ونرى في هذه القصيدةكيف ينتقل الشاعر من صوة لاخرى في ظلال الريف، وكيف تختلط هذه المناظر الفتانة مع مشاعره وعواطفه في بعض المواقف ، ويكشف في بعضها الآخر عن أحاسيس مدفونة في ماضيه تتحرك وتبدع ، ثم يربط بين الطبيعة الساذجة التي لم تدنسها المدنية الكاذبة بأصباغها وبين المرأة العفيفة الطاهرة ، هذه المرأة التي يحبها رمزاً للطهر والعفاف والشرف ، ويحبها لانها عاشت في ظلال الريف الحبيب .

ومع هذه الصور المشرقة في الريف لاينسى الصور النافرة الشاذة التي تؤلمه وتشجعه ، صورة الحيوان المسخر المعذب يتحمل قسوة الانسان ، ومن ورائه صورة الفلاح الذي يضطره البؤس لتعذيب الحيوان ، تبدو على ملامحها أخاديد الشقاء ، وعلائم التعب والحرمان ، صور انسانية تختلط فيها عواطف الانسان الذي يعرف قيمة الانسان ، ويعرف الرحمة الربانية بالحيوان ويعلم أن فقدان العدل في المجتمع يخلق هذه المناظر المؤذية ، فيشارك الحيوان عذابه ، ويشارك الانسان تعبه ، كل ذلك من خلال الصورة المألوفة الساذجة الطبيعية النافرة ، ليسكب في احساساتنا ما أمرضّه وعذبه ومعهذه الصور لاينسىالمعانيالخلقية التي تحلّي الريف وتجمله فيضع اطارا من الفضيلةوالشرف، ويجعله رمزا للريف البائس المحروم .

★ ★ ★

ونمضي خطوة أخرى مع شعر الطبيعة عنده لنرى قصيدة أخرى تشبه القصيدة السابقة يصور فيها أيام طفولته، ولكننا لانجد فيها شيئا بارزاً عن وصف الطبيعة غير بعض الخطوط الباهتة التي لاتزيد في ايضاح الصورة التي نسعى اليها في هذا التجوال . ولكنه يستفيد من هذه الخطوط ليجعلها اطارا كبيراً لموضوعه حيث ترتبط عنده صور الطفولة بصور الطبيعة فلا يذكر احداها إلا وتتداخل في ثناياها الثانية بشكل يصعب التفريق بينهما ، وهنا يذكر لداته الذين كانوا يشاطرونه اللعب، ويذكر الليالي الجميلة وهم يقضونها ساهرين، ويذكر الشاطىء المهجور والاصيل البديع ، والوادي المنعش والنخيل الباسق ، والفراشات الطريدة وركضه وراءهن، ولا ينسى ثرثرات الجدة الشمطاء وأحاديثها الطويلة وذهابه للمكتب ومنظر الشيخ الذي يخشاه ويخافه .ﺚ

لقد مرت عهود ماضيات	رعاها الله كم كانت جميلة
فهذا الشاطىء المهجور كم ذا	وثبت عليه ساعات طويلة
وكم – والشمس يطويها مغيب –	علوت بذلك الوادي نخيله
ألست به الذي قد كان يعدو	وراء فراشة عبرت حقوله

صورة نشيطة ، طفولة نشوى بالسعادة ، لكنها مضت – رعاها الله – وليتها تعود .

★ ★ ★

ثم نرى أن الشاعر لايترك مناسبة تذكره بأيام الريف والطبيعة إلا وينتهزها لانها تهزه وتحيي موات الأمل عنده ، بل نرى أن كل مناسبة كانت تذكره بالريف والطبيعة والطفولة السعيدة التي قضاها فيه . وتبدو في أشعاره هذه الطفولة مقترنة دائما بالريف ، والريف باعثا لذكريات الطفولة ، فهما عالمان متناسقان عند الشاعر ، وذكرياتهما تبعثان عنده الرضى والامل والوداعة وحين يذكر الشاعر الطفولة يتذكر مرابعها عند الجداول المترقرقة ، وعلى المروج والاعشاب وبين الجميز وتحت ظلال النخيل ، وعلى شواطىء الانهار وبين جانحي الربوات، وتحت أشعة الشمس ، وعند انبثاق الفجر ، ومع زقزقة العصافير ، وهبوب النسمات ، ووشوشة الندى .

وعندما يذكر الريف يتذكر أيضا الطفولة الهانئة. عالم الملائكة الطاهر وضياء الفجر في العمر المتعب ، يتذكر الاحلام الهازجة ، وكؤوس السعادة الخمرية .

وفي خلال ذلك تمتزج الصور ، وتتفاوت يربط بينهما روح النشاط والامل ، وظلال السعادة والهدوء والانشراح .

وفي قصيدة « شم النسيم » ذكرى الطبيعة ، وعيد من أعيادها ، يذكره بعالم الطفولة فيعود مع خطواته في الريف الى الوراء ، الى الماضي ، الى عالم السعادة ، ثم ـ فجأة ـ يقفل راجعا الى الحاضر البائس المكدود .

ها هوذا يسير على الدرب في عيد شم النسيم ، الدرب الذي أحبه ، درب القرية والريف في أحضان الطبيعة الوادعة ، كل شيء جميل فيها ، وهذا الجمال يذكره بنفسه ، بطفولته الجميلة أيضا . خطوة خطوة الى الماضي ثم عودة سريعة للحاضر وشتان بينهما :

أطـل على ضفاف النهـر	صبحـاً مـوكب النـور
وطـار به الـى الدنيـا	بشـيراً كل عصفـور
ولـم يترك نسيم الروض	زهـراً غـير مخمـور
ورقرق للنـدى حبـاً	كـدُرٍ فيـه منثـور

وسريعا ما نسي حياته المتعبة ، وانعتق من هذه الحياة المقيدة ليجد الحبور في الصباح المشرق ، مع موكب النور وعلى ضفاف النهر المنساب الحالم . الفرح يغزو قلبه المحزون ، ويملأ نفسه المعذبة ، فيرى العصفور مستبشرا ، والزهور في الروض سكرى مخمورة بالعيد والجمال ، والندى رمز الحب والوفاء ، وهذا السحر كله في مواطن الأهل ، حيث خمائل الصفصاف ، والجميز ، عند ظلال النخيل الباسق . وعلى بساط العشب الممتد المتماوج بالالوان والظلال . هناك كل شيء فتان . ساحر ، جميل ، فطري ، ساذج ، والقـوم أيضا كالطبيعـة بنفوسهم الصافية ، وطباعهم السمحة ، ومزاياهم الصادقة :

هنالك فـي ربـوع الريف	حيث منـازل الأهـل
وحيث خمـائل الصفصا	ف والجميز والنخـل
وحيث يظـل ممتـداً	بسـاط العشب والظـل
وحيث القوم قـد عاشوا	بـلا حقـد ولا ختـل(٨)

الى هذا الجمال والصفاء والصدق يمضي الشاعر :

بكرت الـى الربـا أبغـي	شـذا جناتهـا الخضـر
علـى دراجـة والشمـس	لـم تبرز من الخـدر
وقـد دبت بأوصـالي	عقـاراً(٩) نسمة الفجر

---

(٨) الختل : الخداع (٩) العقار : الخمر .

تسلَّلَ دفؤها في نشو ة يسعى الى الصدر

لقد انتشى الشاعر بهذه الحياة ، وأسكرته مفاتن الطبيعة ، حتى أنسته التعب والحزن ، وغابت من أفكاره الاتراح والظنون ، حين رأى الاطفال !

وأطفال على الطرقا ت في ثوب الصبا الفض
تخالهم وقد ساروا ملائكة على الارض

وحينها تذكر طفولته ، وأحلامه الذابلة ، ففاجأه الواقع بشبابه المعذب

ذكرت بهم عهوداً من سناً في فجر أيامي
أروني صورة الماضي مجسمة لأحلامي
وأدركت الشباب فما شعرت بغير آلامي

وتستغرق صورة العذاب شيئاً من مشاعره . فشبابه أتراح وهموم ، فكيف لايذكره ؟

قطعتك يا ربيع العمر مهموماً بأتراحي
ولم أملأ كغيري من نعيم العمر أقداحي
نهاري متعب شاك وليلي قائم صاح
كتابي في يدي يغفو على أنّاتمصباحي

ومن الصورة الشاكية البائسة نلمح شخصية الشاعر الشاب ، الشخصية الجادة الدؤوب ، وهو الذي ينظر الى الحياة علىأنها مسؤولية أمام الله وينظر الى الآخرين اللاهين فيحزن ، ويفرغ شيئا من أحزانه في طريق التحسر على صباه الهانيء ، نعم هروب من صورة الشباب ــ حوله ــ العابثين وهم يلهون ويمرحون ،لايعرفون الجدولا المسؤولية، ولكنه يبقى صامداً صلداًلا ينتكس ولا يتهاوى في مهالكهم ، حتى يصرع بأيدي الباطل الحقود . ألا يحق له أن يتحسر على ماضيه اذن ؟ ألا يحق له أن يتنفس عبر هذا الماضي لكي يخفف بعض آلامه ؟ نعم يحق له ذلك ، ويحق له التحنان الى السعادة المزيجة بالخلق والحق والعفاف .

ألا ليت الصبا طالت له في الدهر أزمان
وليت العمر نقطعه ونحن لديه صبيان

بقلـــب مـــا أمضتـــه	مـــن الآلام ألـــوان
ولـــم تنـــزل بساحتـــه	على الأيـــام أحـــزان



ويمضي الشاعر في قصيدته المقبلة « صور وذكريات » على منوال القصائد الماضيات فينتقل من وصف الطبيعة بربوعها الظليلة وسحرها وجمالها ، وطيرها الصادح ومائها العذب النمير وعشبها الاخضر ، ونسماتها المنعشة ، الى طفولته البريئة ورفاقه اللاعبين ، وسباحتهم في الخليج ، ولا ينسى سهرهم في الليالي المقمرة وازعاجهم للنائمين بألعاب الطفولة المحببة ، ثم منظر الشيخ الوقور وهو يرتل القرآن ويمضي بهذه الصور حتى تسلمهم الحياة الى الشباب ، فاذا بهم في طريق الكفاح حتى يصلوا الى سجن الحياة وقيودها الكثيرة ، فتحجزهـــم المشكلات والقضبان ، هؤلاء المعذبون هم الذين كانوا يتمنون الامنيات العظيمـــة ويحلمون الاحلام الكبيرة ، واليوم لم يعد لهم من ذلك الماضي الا الذكريات عبر مناظر الربيع والفجر والضياء ، حيث تجيش نفوسهم فيهـــا وتضطرم وتتلهف الى تلك الامنيات وهاتيك الايام .

ويذكر كعادته الفلاح وتعبه ويثور على ظالميه ثم يرى ان الريف مبعث الالهام والموهبة والشعر .

ويختم القصيدة ــ على غير عادته ــ بمهاجمة دعاة الشعر الحديث موضحا رأيه بالمعنى والاسلوب مفندا لآرائهم رادا عليها .

وهذه القصيدة التياستعرضنا بايجاز وسرعة أهم صورها وأفكارها تعد مجموعة من الصور والذكريات المتتابعـــة ، يمسكهـــا خيط الطفولة المنســـرحة المحببة ، بكل جمالها وحيويتها وذكرياتها الأليفة ، وتختلط هذه الصور بشتى المشاعر المنبعثة منالماضي والحاضر، ويتلو الصور التفاتات ومواقف هناوهناك. لكنها تبقى مرتبطة بهذا الخيط الناعم الدقيق، خيط الذكريات، وخيط الحنين النفسي الى الماضي بعد الشعور بقساوة الحاضر .

★ ★ ★

أما قصيدة موكب الربيع فهي قبسات منالصور الطبيعية في الربيع ، صور فنية دقيقة الملامح أحيانا ، لكنها تفتقد الى الاحساس الحي المتدفق وتفتقد الى النظرات المتعمقة الأصيلة :

ألا حبــذا جلسة الرابيــة · · · على شاطىء الترعــة الجارية
وقد لبس الريــف ثــوب الربيــع · · · فنبــه جناتــه الغــافيــة
وظلت على الأيــك فــوق الغصــون · · · طيــور بألحانها شادية
تهــامَسُ بالحب عشاقُها · · · فتنقــله النسمــة الواشيــة

فهي حشد من الصور متتابع بسرعة ، كأنما الشاعر يمر وسط الريف في عربة وقد حل الربيع ويلمح من خلال النافذة هذه الصور ، وقلما تقف العربة أمام منظر يتملاه ويحسه ويخلع عليه أحاسيسه .

* * *

وبعد هذه الجولة السريعة مع شعره في الطبيعة ، علينا أن نقف وقفــة الدارس المتأمل أمام هذا الشعر ، لنرى أية صورة منحنا الشاعر اياها من خلال قصائده ، وأي احساس دفعه الينا في شعره ؟ ولنسأل أنفسنا ، هل استطاع أن ينقلنا ــ كلية ــ بعقولنا ومشاعرنا الى حيث يريد ؟ الى الطبيعة وضفة النهر ، والى ظل الشجر ، لنرى الذي رأى ونحس بالذي أحس ؟ أم أننا بقينا هنا ــ مــن بعيد ــ نشاهد شريطا من الذكريات تتوالى أمام نواظرنا ، أو نسمــع موسيقى عذبة ــ من بعيد أيضا ــ دون أن نحس بوقعها الساحر الغلاب .

والذي أراه في هذا الشعر ، أن الرفاعي نقل لنا صوراً جذابة ساحرة مــن الطبيعة وفي بعض هذه الصور تفصيلات وجزئيات تنم عن ذوق ودقة احساس وتشير الى ابداع في التصوير: فهو ــ على العموم ــ فنان مبدع في صوره يرفده في ذلك طبع أصيل ، وتمكن جيد من التعبير ــ مفردات وتراكيباً ــ ولكن هــذه الصور الأخّاذة، والمناظر الدقيقة الفاتنة لم تنقلنا على الأغلب إلى مايريد الشاعر، إنه ــ كما قلت ــ فتح لنا بعض النوافذ حين ألقى بظله المرهف ، ودخل باحساسه الدقيق الى قلب الصورة ليحرك ويدب الحياة في أوصالها الجذابة الجامدة .
أما في بقية شعره هذا ، فلا نجد هذه الروح ، صور فاتنة لكنها مطبوعة بالصمت والجمود ، خالية من الحركة والحياة والاشعاع . ومن أمثلة مواقفــه الجيدة التي اطلعنا فيها على الطبيعة الحية هذه الصور :

على شط من الألحان والأزهار والعطر .

فالالحان بحر زاخر متحرك حي ، مملوء بالعجائب والمناظر والأنغام ، ولــه شط ساحر جذاب ، وعلى هــذا الشط يقف الشاعر ، هــذا الشط العجيب مملوء بالأزهار والعطر ، متماوج بهذه الروائح والالوان الجميــلة ، فهي صورة حية ، جمع فيها بين المسموعات والمرئيــات والمشمومات ، روائــح وأصوات

ورؤى كلها تتحرك وتختلط لتعطينا صورة متراكبة .

بروض الحب والأنغـام والاخلاص والطهر .

وهذه صورةالروض ، روض الحب، والأنغام والاخلاص والطهر وهنا نجد مزيجاً من الشعور النفسي والصوت العذب والمعنى الذهني المرموق كل ذلك يمتزج بصورة مدبجـةمملوءة بالاحساس ، إنه شعـوره النفسي أمـام المنظر الساحر الذي لانعرف بواعث السحر فيه ، ولا نجد له مثيلاً في واقعنا .

ونصغي للنسيم الصب   يزجي الشوق للزهر

صورة حية للنسيم المحب المتيم ، وهو يقدم الشوق للزهر ، وهي صورة متحركة بالاحاسيس والمشاعر .

ونجـوى مثـلُ نجوانـا   لعشـاق من الطير

والطيور تتناجى ، إنها تحس وتحب وتعشق وتشتـاق ، كساهـا صورة انسانية حية ، ورأى فيها صورة لنفسه الشجية .

ومـوج البحر ما أضنـاه   طـول الكر والفر
صـراع خـالد قـد قـام بين المـوج والصخر

تدفق الأمواج واحدة إثر أخرى ، لم يتعبها طول التدافع ، وهي صـورة الفارس الدؤوب الشجاع ، يكر ويفر ولا يشعر بالتعب وهو يصارع الصخر ، فلا يتعب الموج ولاينهار الصخر ، إنه صراع خالد بينهما ، صورة حية متحركة

تعـالي فالربـا تهتز   بالأفـراح والبشر

انظر الى كلمة تهتز والتي أعطت الصورة روعتها وحيويتها ، فالربا تهتز بالأفراح والسعادة والبشر .

إنها صور جيدة وجميلة وعليها إشراقة الحياة ، استخدم فيها مهـارته وإحساساته ليخرجه بهذه الصور البيانية المشرقة .

مثل هذه الابيات المنتشرة هنا وهناك في قصائده تعطي صوره روعتها وعمقها على الرغم من أن جميع صوره عبارة عن صور طبيعية جميلة ودقيقـة ولكنها تفتقد الى عنصر الحياة الذي تخلعه عليها مشاعر الشاعر النفسيـة .

ولكن هذه الابيات التي ينشرها بين الحين والحين تعطي القصائد مسحة من الجمال والحيوية ، وتمدها بدفقة من الخلود ، وتجعل الشاعر واحدا من الذين ارتشفوا قطرات من النبع وهو في أول الطريق ، وكان من المأمول له أن يتصل بالنبع ، ويصبح أحد الرواد العظام لو لم يغتاله الحقد والضلال .

وكما قال الاستاذ عبد الحي دياب في دراسته عن الشاعر : « لانعجب اذا وجدنا الشاعر يتحدث عن ذكرياته في الريف في قصيدة تحدث فيها عن الريف الحبيب الى نفسه والذي نشأ فيه أول ما نشأ ، وعن قريته التي شهدت مراحل طفولته ، وفيها الاهل والاحباب والاخوة والصحاب ، فيها السحر ذو الالوان ، والربوع ذات الظلال الفتانة والطير التي تصدح على ربا القرية يغني وينشد في خفة ومرح » (١٠) .

وقال في موضع آخر : « على أي حال فاننا نجد أن شعر الرفاعي الذي قاله في ظلال الريف يتسم بالصدق الفني اذ أن حياة الشاعر في الريف وفنه شيء واحد وموضوع حياته هذه هو موضوع شعره ، وقد بلغ التوافق بين خلائقه وبين شعره وبين طبعه وبين تعبيره ، وليس أدل على ذلك من أنك تجد صدقه في عاطفته واضحا في أن وقوده من داخل نفسه التي تختار ما يلائمها من الاسلوب الذي يكاد يكون مرآة للرفاعي تطل من خلالها نفسه التي ينطوي فيها شيء من الطيبة على شيء من البداوة والتزمت★ وأخذ الحياة مأخذ الجد ، وأخذها بصلابة وصرامة ، ومن هنا كان أسلوبه يجوز بنا الى معناه بغير ما توقف ولا انتباه ، لان ألفاظه تخدم المعنى وترينا إياه ولاترينا نفسها ، ومن أجل هذا كله كان أسلوبه برغم بساطته جميلا الى حد ما »(١١) .

وننتهي من هذه الدراسة الى أن الرفاعي فنان دقيق الحس ، قوي التعبير ، جيد الاسلوب ، كان باستطاعته – لو مد الله في عمره – أن يصل الى نبع الحياة الحي الصافي الذي يرتاده الممتازون والرواد .

« للبحث صلة »

---

(١٠) ٦٤ – ٦٥ مع الشعراء المعاصرين في مصر – عبد الحي دياب

★ هذا يمثل رأي الاستاذ دياب الذي يرى في التدين تزمتاً وصلابة

(١١) ٧٤ – مع الشعراء المعاصرين في مصر – عبد الحي دياب

النكسة في بعدها الحضاري

بقلم : غازي الربيعي

دارت الآراء التي عللت الانتكاسة الاخيرة حول محورين :

أولهما : يعلل الانتكاسة بعوامل خارجية مثل : الاستعمار ، الخيانة الخ..
ثانيهما : يعلل الانتكاسة بعوامل داخلية ذاتية تنبع من نفس الانسان العربي وتمتد الى مختلف أبعاد الحياة العربية من اجتماع واقتصاد وسياسة الخ ..

وقد كان هذان هما المحوران اللذان دارت حولهما الآراء التي عللت نكبة ٤٨ وقد ركزت أجهزة الاعلام المرتبطة بالحكومات العربية آنذاك على محور التعليل الاول ، وقد أوهمت المواطن العربي بأن بعض التغييرات الشكلية الهيكلية كاستبدال زعماء بزعماء ، ومؤسسات بمؤسسات كفيلة باعادة الصحة والحيوية لمجتمعنا .

ليس من شك بأن تخلخل الانسان العربي هو العامل الرئيسي وراء النكسة الاخيرة ، وان أي تحليل لاسباب النكسة لاينصب على الاحاطة بهذا الانسان ، وفهم ظروفه ، وداخليته ، تحليل ناقص .

وان الانتباه الى هذه الحقيقة – حقيقة تخلخل الانسان العربي – وابرازها في زحام الاحداث ، وايلاءها الجهد الاوفى دراسة ومعالجة ، يمكن أن يجنب أمتنا نكسات أخرى .

وقد ترسخت حقيقة تخلخل الانسان العربي من الهزائم المتتالية التي لحقت بأمتنا في حروب ٤٨ – ٥٦ – ٦٧ ، مما يجعلنا نتيقن بأن التغيير الذي لحق الانسان خلال هذه السنين الطوال منذ مطلع النهضة حتى الآن ، انما كان تغييرا شكليا لم ينه التصدع في بناء الانسان العربي ، ولم يشفه من أمراضه كما كان يعتقد كثير من الناس .

وبالمقابل فاننا نقول : ان بداية انتصارنا تتحقق مع بداية التكوين الصحيح للانسان العربي ، ويتم الانتصار مع تمام بناء هذا الانسان .

ان هاتين الحقيقتين أو قل الحقيقة ذات الوجهين مؤكدة دينيا وتاريخيا :

دينيا : فالله تعالى يقـــول في القرآن الكريم « أن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ونحن لم نغير ما بنفوسنا ولم يتغير الواقع المحيط بنا نحو الافضل ، لذلك لم يغير الله ما بنا من انكسار وهزيمـة وتقهقر .

تاريخيا : حينما حدث التغيير في الانسان العربي ، وحوّلته عقيدة الاسلام الى مسلم، كانت الانتصارات التي لا تعرف الهزائم . وأيضا حينما كان الخور والفتور ينتـاب النفس المسلمة في بعض مراحلها التاريخية ، ثم تعود طاقـــات التغيير الحقيقي لتملأها ثانية ، فيتغير الواقع حولها فعلا ومباشرة .

لقد كانت محاولات التغيير ــ في الحقيقة ــ دائبة الحدوث في منطقتنا منذ مطلع النهضة الحديثة بفعـل عوامل محلية وخارجية ، وقد انتهت هذه المحاولات الى نتائج اما شكلية تناولت المظاهر والأطر ، واما جزئية لم يتعد أثرها فئة محدودة من الناس، واما مؤقتة فرضتها قوة السلطة ولم يتفاعل معها معظم أبناء الأمة فانزاحت عند أول متنفس .

والسـؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح : لماذا لم ينجح أي تغيير في بناء الانسان العربي المتكامل ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نطرح سؤالا آخر : ما هي محاولات التغيير التي جرت في المنطقة ؟ أو ما هو بعضها ؟

بدأت محاولة التغيير الجـدية والفعالة في منطقتنا منـذ احتـلال الانجليز لمصر ، واستمرت تتقاذفنا بعدئـذ ــ قوى التغيير العفـويـة والمخططة ، وقد اتجهت جميـــع المحاولات الى أوربتنا ، ويمكن أن نمثل باثنتين منها :

١ ــ المحاولة الديمقراطية :

تزعمها الانجليز ، وكانت تهدف الى جعـل المثـل الاعلى للمجتمـع العربي الحيـاة الديمقراطية بـكل دقائقها من : أحزاب ، وبرلمـان ، وصحف ، ودستور ، وسلوك الخ . . وبالفعل فقد عاش مجتمعنا النظام الديمقراطي في مختلف مناحي العالم العربي ، إثر نجاح ثورة ١٩١٩ فـي مصر مع تفاوت في الصور المطبقة ، ثم تداعى هذا النظام في الخمسينيات .

٢ ــ المحاولة القومية السوريـة الفرعونية :

نادت هذه الدعوة بالعودة الـــى التراث الفينيقي في بلاد الشـــام والفرعوني في مصر كأساس حقيقي لشخصيـة المنطقـــة القوميـــة والحضارية ، وهي تقتدي في هـذه العودة بتجربة أوروبا الحالية حينما عادت الى التراث اليوناني في الفكـر والسياسة والفن والمجتمع الخ . . . . وكان ذلك أساسا لنهضتها الحالية .

لكن هذه الدعوة اندثرت واقعيـا في مصر وفي بلاد الشام ، مـــع أن الظروف التي تهيأت لدعمها ودفعها لم تتوفر لغيرها من الدعوات ، فقد

وجهت الدراسات الاستشراقية والآثارية من أجل خدمتها في مرحلة مبكرة من مراحل التفتح الذهني في المنطقة .

إذن قد فشلت أضخم محاولتين لأوربتنا .

وبالمقابل لماذا نجحت الأوربة في مناطق تشبه ظروفها الحضارية ظروفنا ؟

فقد سادت الشيوعية في الصين .
وقد سادت القيم الغربية في اليابان .

نعود لنسأل : لماذا نجحت الأوربة في بلاد الشرق الأقصى ، ومازالت تتعثر في بلادنا ؟

يرجع تحقق الأوربة في مناطق كالصين واليابان وعدم تحققها في منطقتنا ، مع تعرض كل هذه المناطق إلى المؤثرات والضغوط نفسها ، يرجع ذلك إلى شخصيتنا الحضارية التاريخية التي منعت انسياقنا الكامل في تيار الأوربة .

ما الذي نقصده بالشخصية الحضارية التاريخية ؟

نقصد بالشخصية الحضارية التاريخية جماع الخصائص التي ورثتها المنطقة خلال الحقب المتتالية في مختلف أبعاد الحياة : النفسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الفكرية ، السياسية الخ ....

والسؤال الآن : كيف أدت هذه الشخصية الحضارية التاريخية دورها في الحيلولة دون نجاح الأوربة ؟

علينا أن نوضح قبلا صورة الصراع بين أية شخصية حضارية تاريخية والمؤثرات الأوروبية ، لكي نفهم – بالتالي – الصورة التي أفشلت فيها شخصيتنا الحضارية التاريخية بالذات عملية أوربتنا .

بدأت عملية الصراع بين أوروبا وبين الأمم الأخرى في الأرض منذ أن أمسكت أوربا زمام الراية الحضارية ، ومنذ أن بدأت تستعمر الأمم الأخرى .

وقد اتضحت آلية الصراع عند كل أمة في الصراع الذي نشب بين القيم الأوروبية وبين شخصيتها الحضارية التاريخية ؛ هذه الشخصية الحضارية التاريخية التي تحمل في طياتها موروثات القوة والضعف ، الصحة والمرض ، الصلاح والطلاح ، المعقول والخرافة الخ ..

ومن الطبيعي أن تتساقط موروثات الضعف والمرض والطلاح والخرافة في هذه الشخصية الحضارية ، وتتبلور

موروثات القوة والصحة والصلاح والمعقول فيها أثناء عملية العراك .

فإن غلب نصيب الضعف والمرض والطلاح والخرافة فيهذه الشخصية الحضارية التاريخية أسفر الصراع عن نجاح الأوربة .

وبالعكس إن غلب نصيب القوة والصحة والصلاح والمعقول في هذه الشخصية الحضارية التاريخية أسفر الصراع عن فشل الأوربة ، وتبلور هذه الشخصية ، ونمائها ، واحتمال شق طريق حضاري جديد .

وبالنسبة لشخصيتنا الحضارية التاريخية فقد تحفزت في مواجهة الخطر الداهم منذ غزو نابليون لمصر، وانشطر مجتمعنا إلى شطرين ، وتجلى الصراع بصورة واضحة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فحيثما التفت آنذاك وجدت صوتين يتصايحان ، ونموذجين يتعاركان .

وقد صمدت أمتنا أمام محاولات الأوربة وأفشلتها بفضل شخصيتنا الحضارية التاريخية التي تغلب عناصر القوة والصحة والصلاح المعقول عليها .

ويمكننا الآن أن نحدد مفهوم شخصيتنا الحضارية التاريخية على ضوء التحليل السابق بشكل أجلى وأدق فنقول : إن شخصيتنا الحضارية التاريخية هي جماع العقيدة الإسلامية مع الحياة التطبيقية لها خلال العصور الماضية ، ومن المؤكد أنه كان لا يتوازى في أحيان كثيرة نقاء وصفاء الإضافات التطبيقية مع نقاء العقيدة الإسلامية وصفائها .

لقد كانت حيلولة شخصيتنا الحضارية التاريخية دون أَوْرَبة أمتنا خطوة سلبية يجب أن تعقبها خطوة إيجابية بأن تولد إنسانها الحضاري المتماسك المتميز الذي يمكن أن يشق طريقاً حضاريا جديداً يحرر به نفسه وأرضه ، ثم ينطلق إلى تحرير العالم .

لكن القوى الغربية استكلبت لتحول دون تحقق هذه الخطوة الإيجابية ، وصّعدت المعركة ، وجعلتها أشد شراسة ، وأحمى وطيساً ، وعدّلت من هدفها ، فبعد أن كان أوربة المنطقة أضحى تفتيت شخصيتنا الحضارية التاريخية أو تذويبها تذويبا كاملاً لأنها هي السياج الحاجز المانع من نجاح هذه الأوربة .

إن التصريح الرسمي الذي أذاعه

موظف أمريكي في وزارة الخارجية – قسم الشرق الأوسط – في مطلع عام ١٩٦٤ عن أهداف أمريكا في المنطقة شاهد صدق على ما نقول ، فقد أعلن ذلك الموظف أن لأمريكا خمسة أهداف في منطقة الشرق الأوسط ، أحدها : تطوير المنطقة اجتماعياً .

إن تطوير منطقتنا اجتماعيا هو العنوان الدبلوماسي السياسي الناعم لعملية تفتيت شخصيتنا الحضارية ، وخاصة بعد أن يترجم البنتاجون هذا المصطلح ، وتنفذه بوارج الأسطول في البحر الأبيض المتوسط .

وإلا فبماذا نفسر هذه الإنسانية من أمريكا ، واهتمامها بمجتمع الشرق الأوسط في وقت هي أحوج ما يكون إلى هذا التطوير لتلأم – على الأقل – الصدع بين البيض والسود في مجتمعها ؟؟!!

إن شخصيتنا الحضارية التاريخية هي الرصيد الواقعي المساعد للدعوة الإسلامية في مواجهتها لقوى الأوربة .

لكن هذا الرصيد لا يعفي الدعوة الإسلامية من الجهد ، بل يتطلب منها جهداً أشد في التصدي لمحاولات تفتيته ، وفهما أعمق لكيفية هذه المحاولات .

إن المعركة – الآنْ – بين الدعوة الإسلامية والقوى الغربية لا تتعدى رقعتها إطار ومضمون الشخصية الحضارية التاريخية ، ففي حين أن الدعوة الإسلامية تنمّي وترعى عناصر الصحة والصلاح والقوة والمعقول في شخصيتنا الحضارية التاريخية لتكون رحم إنسان التحرير ، نجد أن القوى الغربية تسعى إلى تفتيت هذه الشخصية الحضارية لتحول دون تجنن مثلٌ هذا الإنسان .

لكن قد يرد سؤال معترض : هل سننتظر حتى يولد هذا الإنسان ؟

إن إنسان التحرير كامل التكوين ، سوي الجذور ، وكان يمكن أن يتم المخاض طبيعياً ، وينهي هذا الوليد عذابات أمتنا ، لكن الغرب وعملاءه مازالا يحولان دون مثل هذه الولادة ، ويجهضان مولود التحرير .

لذلك فالأمر لا يحتاج من أمتنا إن كانت تريد السبيل الأخصر زمنياً إلى التحرير والأوفر مجهوداً ، إلا أن تقطع يد العملاء لتحول بينها وبين أن تجهض المولود ، وإلا أن تحطم الساطور التي يرفعونها لتمزيقه .

إن أي حديث عن النكسة لايستكمل أبعاده ما لم يتطرق إلى الحل السياسي ، فالحل السياسي هو الثمرةالتي تجسدتبها النكسة، وآلت إليها خسارتنا للحرب .

والحل السياسي – في الحقيقة – أحد جولات الصراع بين شخصيتنا الحضارية التاريخية وبين قوى الغرب .

وهو – إن تحقق – محاولة ناجحة من المحاولات التي جرت وتجري وستجري لتفتيت هذه الشخصية .

وأقل ما يمكن أن يحققه الحل السياسي قتل حافز الجهاد والصراع في هذه الأمة تنفيذاً للبند القائل : إنهاء حالة الحرب مع اسرائيل .

إن إدراكنا لحقيقة كون الحل السياسي جولة من جولات الصراع بين شخصيتنا الحضارية التاريخية وبين الغرب من جهة ، وتقويمنا له على أساس أنه محاولة لتفتيت هذه الشخصية وتخديرها كما هي الحقيقة من جهة ثانية ، يجعلاننا نتصور نتائجه الخطيرة في حال تنفيذه ، ويجعلاننا نبذل – في الوقت نفسه – أقصى طاقاتنا للحيلولة دون تنفيذه .

إن إدراكنا لهاتين الحقيقتين في إطار شخصيتنا الحضارية التاريخية هو الإدراك الصحيح الذي يبطل مفعول بعض أجهزة الإعلام العربية التي تحاول أن تقدم الحلالسياسي على أنه صفقة مربحة لنا في حال تنفيذه ولهذا ترفضه اسرائيل .

الخلاصة : إن هدف الغرب على الصعيد الحضاري في هذه اللحظة تفتيت شخصيتنا الحضارية التاريخية بمختلف الوسائل ومن ضمنها الحل السياسي ؛ لذلكوجب على الدعوة الإسلامية في سبيل الوصول إلى إنسان التحرير ليس المحافظة على هذه الشخصية الحضارية التاريخية فقط بلإغنائها بالمضامين الحية من الثقافة الغربية التي تلائمها وتناسبها ، ولن يتم ذلك إلا بعد استيعاب التراثالثقافي الغربي وهضمه .



« الرسول صلى الله عليه وسلم »

تأليف الاستاذ سعيد حوى

للاستاذ وهبي سليمان الألباني

١ ــ ليس شيء أجمل في علم التاريخ ولا أنفع ولا أجدى وأبعد ما يكون عن عن الملل مع تكراره من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لانها مع كونها سيرة انسان عاش مع الناس دهرا من الزمان فانها دين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . لقد كتب الكاتبون المسلمون في سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أيام عروة بن الزبير ، وما يزالون يكتبون ، ولن يزالوا يفعلون وكل من يكتب منهم في سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فكتابه مقروء وجهده مشكور ، فلا تخلو كتابة من جديد في العرض ، في الاستنباط ، في ربط السيرة بالواقع ، في استخلاص الدروس والعبر النافعة للفرد والجماعة .

وأخونا الشيخ سعيد حوى سلك في درب كتاب سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وانتظم ــ ان شاء الله : في عقد مداحي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهري فضله وكماله ، فقد اتحف المكتبة الاسلامية بالجزء الاول من كتابه الثاني بعد « كتاب الله جل جلاله» الذي جعل عنوانه : الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد جاءت كتابته في السيرة نمطا خاصا ، عرض جوانب معينة من السيرة منقولة من المراجع الاسلامية الموثوقة، مضافا اليها جوانب الاستدلال، ومواضع الاستفادة والعبرة ، في اسلوب أدبي مشوق وعرض علمي موفق .

٢ ـ يذكر في مقدمة الكتاب جوانب سبعة يسمو بها الانسان عن الحيوان هي : **خلقته** (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) **وعلمه** (علمه البيان) **وإرادته** (انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) **ومكانته وامكاناته** ، مكانته السيادة (وسخر لكم ما في السموات والارض) وامكاناته فقد استطاع ان يصنع القنبلة الذرية ويتغير من غير سلك بل استطاع « باذن الله وارادته » أن يصل الى القمر ، **وملكة البيان** (علمه البيان) **وعقله** وادراكه وخياله **واستعداده** الأخلاقي ، يذكر ذلك في اطار مبسط موشًى بالادلة . ثم يتساءل لماذا اعطي الانسان السيادة وميز عن الحيوان والجماد بما ذكر من الصفات وغيرها ؟ فيجيب: أعطى ذلك في مقابل عبوديته لله تعالى ، وما لم يعط الانسان عبوديته لله يكون قد أقام نفسه مقام الجماد والحيوان . (.. كأنهم خشب مسندة ، اولئك كالانعام بل هم أضل .) ولا غرابة فالانسان حين ينتكس في فطرته يكون قد تنازل عن انسانيته ، فلا عجب ان يحكم الخالق العليم عليه بأنه أدنى من الحيوان . ويعرض لحكمة خلق الله تعالى البشر مختلفين ليتم التعاون بينهم ، وبالتالي يستمر عمار الكون ، وان الله تعالى اختار رجالا يمثلون ذروة الكمال البشري لانهم يمثلون ذروة العبودية لله تعالى ويقومون بأعظم مهمة في الوجود وهي ارشاد الانسان الى سعادتي الدنيا والآخرة ، هؤلاء الرجال هم رسل الله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مازهم بصفات شخصية واجبة ومنحهم عطاياه الكريمة ، فلا يختلط علينا أمرهم بما نرى من كذابين دجاجلة يزعمون انهم رسل الله الى البشر .

٣ ـ ثم يذكر صفاتهم الشخصية الواجبة في الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ، ويذكر امداد الله تعالى لهم بالمعجزات وانه تصدر منهم اخبار بالغيوب تقع كما أخبروا ، وان ثمراتهم من اخلاقهم وسلوكهم دلالات وأي دلالات ، ويذكر ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من بشارة الرسل بمقدمه ، وأخذ الله تعالى العهد على الرسل واتباعهم ان بعث فيهم بمتابعته ونصرته ثم يعود الى كل صفة ومنحة وعطية فيسرد لها الامثال المناسبة منقولة من الكتب المقبولة ، ولو أردت أن أنقل منها شيئا لطال بي المقال .

٤ ـ وفي حديثه عن عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وفطانته يورد حديث

ابن خزيمـة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال (.. أبي وأبوك في النار ..) الحديثبغير هذا الطريق ورد في مسلم بروايتين ، رواية حماد بن سلمة موافقة لرواية ابن خزيمة ، ورواية معمر بن ثابت وليس فيها (.. ابي وابوك في النار). لكن فيها انه قال للسائل بعد ان قال له ان اباه في النار (... فلما قفا دعـاه وقال له : (اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار) . ومعمر بن ثابت أثبت من حماد، فان حمادا تكلم في حفظه يقال دس له ربيبه في كتبه ، بل كان لايحفظ ، ولـم يخرج له البخاري شيئا ، واما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ، ورواية معمر تؤيدها روايات البزار والطبراني والبيهقي وابن ماجة . قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية :ان الحديث الذي رواه حماد تصرف فيه الرواة وان هذه الطريقة ،التي هي طريقة معمر في غاية الاتقان ، قلت وهذه الرواية هي المتفقة مع الآيات الكثيرة القاضية بأن الله تعالى لايعذب قوما حتى يبعث اليهم رسولا . قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

فليت الكاتب الفاضل ترك رواية ابن خزيمة لما قـد يشتم منها من ايـذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » ، وقد ثبت ان عكرمة رضي الله عنه بن أبي جهل جـاء اليه صلى الله عليه وسلم يشكو اليه بعض الذين يسبون ابـاه « وقد قتل على الشرك يقينا » فقال صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء » .

٥ ـ وفي الباب الثاني يعرض الكاتب لجانب هام جدا « يسعى الكفـار والمنحرفون ان يصرفوا المسلمين عنه بما أحدثوا من أصنام ودعوات » هـو كونه صلى الله عليه وسلم القدوة العليا للبشرية أجمع ، في جانب الاخـلاق الفردية والاجتماعية ، وجانب الابوة والزوجية ، وجانب التعليم والتربية ، وجانب الادارة والقيادة . ويعقد فصلا للحديث عن حكمة تعدد زوجاته بمـا يدفع شغب الكفار على كثرة نسائه صلى الله عليه وسلم ، وهم قاتلهم الله : لايرعوون عن الزنا وسرقة الاعراض وانتهاك الحرمات ونسبة الاولاد الى غير الآبـاء !

وبعد : أرى اني قد قطفت لك « قطوفا من روضة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لاتكاد تبلغ ان تكون باقة تسر القلب وتسكن الخاطر ، لكنها باقة ـ على قصوري في انتقاء أزهارها ـ من تلك الروضة الندية العطرة التي لاتدانيها روضة في الوجود فضلا عن أن تشابهها، .. وعليك متابعة القطوف .. »

واذا قرأت الكتاب « وأنصحك بذلك » فسترى صدق ما نقشه المؤلف في صدر كتابه (سترى في هذا البحث بالدليل والبرهان ان محمدا « صلى الله عليه وسلم » رسول الله حقا ، وانه أعظم الناس في كل شيء ، وان الذين يتخذون غيره قدوة حمقى ناقصون) .

جزى الله تعالى المؤلف خيراً واثابه ، وألحقه بزمرة من ائتسى في مدحه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وشارك في التعريف بسيرته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذا من قوله تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) . ونفع المسلمين بعلمه وعمله وبارك له في عمره .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واخوانه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

* * *

تــكذيب

حول ما نشر في مجلة العربي

نقدم فيما يلي رد الاستاذ الشيخ عبد الستار السيد مفتي طرطوس على افتراء مجلة العربي فيما نسبته اليه من كلام حول الحجاب في الاسلام .

التحرير

حضرة الاخ الكريم رئيس تحرير مجلة حضارة الاسلام حفظه المولى تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد قرأت في مجلة العربي بعددها ذي الرقم /١٣٠ شهر ايلول ١٩٦٩ اني قلت : (إن نقاب المرأة ليس من تعاليم الاسلام في شيء) ولما كان هذا القول فرية فقد بادرت بارسال الكتاب المرفق أكذب فيه ما نسب اليّ واطلب نشر الحديث بكامله لان هذا القول لا يستند الى أي دليل ولا يمكن أن يصدر عني .

وقياما بالامانة الملقاة على عاتق كل منا أرجو ان تتكرموا بنشر التكذيب القاطع لهذه الكلمة ، والله يحفظكم .

أخوكم عبد الستار السيد

سيادة الاخ الكريم الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد أطلعت على العدد /١٣٠/ من مجلة العربي الغراء صفحة /٩٦/ على اني قلت (ان نقاب المرأة ليس من تعاليم الاسلام في شيء) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : استوصوا بالنساء خيرا . وقال : لا يكرمهن الا كريم ولا يهينهن الا لئيم ، خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي) .

فاستغربت جدا الكلمة الواردة عن النقاب حيث اني لم أقلها وما ذكر خلاف الواقع وإنما قلت ان الحجاب من الاسلام وذكرت أقوال العلماء فيه . والاستشهاد بالاحاديث الواردة ليس له أي صلة بهذا القول ، وموضعه في كلام آخر ، ويعلم الأخ الكريم الذي سألني أسئلة كثيرة اني أجبته بكل وضوح وأمانة وواقعية وكان بودي أن يذكر الحديث كله وان يعرض ما جاء فيه كما حدث ، و قد سعدت بلقائه غير اني أسفت كل الأسف على مسخ الحديث بهذا الشكل فأرجو من سيادتكم ان توعزوا بنشر الحديث كما ذكرته ، أو اثبات ملاحظتي على مالم أقله عملا بالامانة الملقاة على عاتقنا .

أخوكم عبد الستار السيد
مفتي طرطوس

البحث في أصل اللغة

بقلم محمود محمد الحامد

لعل اعتبار الرأي الصادر عن فريق من المجتهدين في مدار نصوص الشريعة، اعتبارا مطلقاً ، أو أنه يعبر عن مشيئة الاسلام بالتطابق .. لعل هذا الاعتبار يكون تضييقاً ذريعا للاسلام أن يستنفد أبعاده .

ان أي مشكلة نريد أن نبحثها في ضوء الاسلام لنرى رأيه الهادف فيها ؛ ليس بالامكان فهمها الفهم السديد اذا وقفنا عند رأي واحد أو آراء متعددة يجوز عليها الخطأ والانحراف عن الجادة، لاسيما وهي صادرة عن عقول بشرية!.. فالاسلام براء من كل نظرة لصقت به ، ودعمت من قبل بعض رجال الاجتهاد في الاسلام ، ثم ظهر بعد ذلك ، وبنتيجة الاستقراء أن الواقع يناقضها .

على ضوء هذه المقدمة نريد أن نعرض لموضوع تسابقت فيه الاقلام من قبل على يد المتقدمين ، وأظهرت عن مكنون غايتها ، الا أن هذا الموضوع لم يزل غامضا لدينا بالنظر لما قدمته لنا هذه الاقلام ، وسنعرض الآن لبيان المنهج الذي يبدو لنا سديدا في طريقة فهمه .

هذا الموضوع يتعلق بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة .. » ترى ما المقصود بهذه الاسماء ؟ وان هذا السؤال سوف يجرنا الى السؤال التالي : هل اللغة في أصل نشأتها تواضع تواضعه الناس أو الهام وتوقيف لا أثر للانسان فيه .. كما وان هذا يقودنا الى التساؤل فيما اذا كان يصح أن يقال : ان الاسلام ينصب الحواجز دون العقول ويرمي أبصارها بالحصباء دون التفكير في نشأة اللغة على أساس التواضع ، وأعني به الاختراع وسبق بعض الكلمات على بعض في السياق الزمني ؛ وأن يقال أيضا : ان التأثير الديني في الافراد له مثل هذا المفعول ؟!.

تلك فكر ثلاث نبحثها بحثا هادئا لنصل الى النتيجة المرضية ..

قال القرطبي : « واختلف أهل التأويل في معنى الاسماء التي علمها آدم عليه السلام ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها . وروى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال : كنت جالسا عند ابن عباس ، فذكروا اسم الآنية واسم السوط ، قال ابن عباس : وعلم آدم الاسماء كلها .. الى أن يقول القرطبي : وقال الطبري : علمه أسماء الملائكة وذريته ، واختار هذا ورجحه بقوله : (ثم عرضهم على الملائكة) وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم . الربيع بن خثيم: أسماء الملائكة خاصة .. » اهـ(١) .

لكن هل معنى ذلك أن اللغات في أصل وضعها كانت موضوعة توقيفاً عن الله ، أي بتعليم الله البشر أسماء هذه المسميات ، وعناصر اللغات المفترقة المتباينة دون أن يكون للانسان تأثير ما(٢) في وضع هذه اللغة التي يستعملها أداة للاعراب عما في النفس صباح مساء ؟!

اني أرى أن اعتبار هذا الرأي هو من السذاجة الى الحد الذي يجعلنا نغضي الطرف عن كثير من الحقائق ، وندرجها في طي العدم مع أن نبضاتها تخالجنا بين الفينة والاخرى .. ولا نستطيع أن ننقض هذا الرأي الا بعد البحث في أصل نشأة اللغة – أي لغة كانت – وفي عوامل تطورها ومرونتها واتساعها .

ان اللغة التي نطق بها الانسان لم تصدر كلها دفعة واحدة بل حدث ذلك على مراحل ، كما أن حدوث هذه المراحل وحدوث الدواعي الى النطق بألفاظها كان يخضع لعوامل البيئة وظروف الطبيعة واختلاف الحدثان ، مما جعل كل لسان يتأقلم بالموطن الذي هو أسير لديه حتى أصبحنا نرى تعدد الألسنة واختلاف الالحان المتبعة في قيثارة كل قطر من الاقطار ؛ حتى ذهب بعضهم الى أن التعبير عن المسميات الحسية ، وعن الهياكل الطبيعية التي تقع عليها الحواس هو سابق للتعبير الذي يتعلق بالمفاهيم والمعاني المجردة .

جاء في كتاب فقه اللغة وخصائص العربية : « ونقل عن ابن جني أن بعضهم

(١) ج١ من تفسيره : الجامع لاحكام القرآن – ص (٢٨٢) .

(٢) ينبغي أن يعلم أنه لا يقصد من التأثير هنا التأثير المصطلح عليه عند علماء الكلام ، فالمؤثر في الاشياء باطلاق انما هو الله وحده ، وهذا لابحث لنا فيه ، لكن بحثنا يتعلق باقتران قدرة الانسان الحادثة للشيء الذي برز الى حيز الوجود – وهو هنا تواضع الناس على اللغة – بنتيجة هذا الاقتران من غير تأثير فيه على سبيل الحقيقة ، وبذلك يتحرر محل النزاع .

ذهب الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء .. الى أن يقول : وعقب ابن جني على هذا الكلام بقوله : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل »(١) .

أقول : ولعل هذه المرحلة أيضا سابقة للمعاني المنوطة بتعبيرات مجازية يحتاج الفكر أن يضرب أخماسه بأسداسه في العنَت والكد حيناً والتفكير السريع حينا آخر حتى يصل الى المعنى المراد من اللفظة الموضوعة ، هذه القضية تقال في أصل نشوء اللغة لدى الشعوب البدائية .

لكن اللغة لاتستمر على نسق واحد طيلة الازمان ، اذ ليس من المعقول أن تضرب على وتر متفق دون أن يحدث فيها أي تغيير ، والظروف التي تكتنفها هي بتجدد واستمرار ، فهي إما أن تبقى على أساليبها القديمة الموروثة يتلقفها الأبناء عن الآباء دون تغيير ما ــ وهذا فرض طبعا ــ فتصبح عاجزة عن أداء المعاني الجديدة المنبثقة من تجدد الحوادث ، وبذلك يحق لها الاندثار والموت أو الذوبان في لغة أخرى أقوى منها ، تتكلم بها الشعوب القاهرة الفاتحة ذات الحضارة والازدهار . . واما أن تتجدد أساليبها ــ ولو بصورة بطيئة لايستشعرها الناس ــ . مع تغير الظروف وتطور الاحداث ، فتملك بذلك طاقة لاتنفد ، ألا وهي طاقة التأقلم والتطور مهما اختلفت التيارات ، فتكتسب بذلك صفة الديمومة .

ان مثلا يسيرا نضربه في هذا المجال يوضح لنا كثيرا من أبعاد القضية المطروحة : ذلك هو وضع اللسان العربي في أزمان ما قبل الاسلام !

لم يكن العرب في الماضي ــ أي في العصر الجاهلي ــ يتكلمون لغة واحدة متفقة في جميع محتوياتها لدى القبائل في شتى أقسام الجزيرة ؛ بل ان هناك لهجات كثيرة رصدها الذين يعينون بمسائل اللغة(٢) وسجلوها في كتبهم حتى وصلت الينا بأسماء قبائلها التي كانت تتخذها أداة للتعبير لديها .. حتى نزل القرآن ببعضها ، هذا هو عمر رضي الله عنه ــ وهو العربي القرشي ــ يقف متسائلا حائرا عن معنى قول الله عز وجل من سورة النحل : « أو يأخذهم على تخوف ؛ ان ربكم لرؤوف رحيم » . ويقول : ما معنى (التخوف) حتى قام شيخ من هذيل كان بحضرته ، فقال : « هي لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف التنقص ، فخرج رجل ، فقال : يافلان ما فعل دَيْنُكَ ؟ قال : تخوفته ، أي تنقصته ؛ فرجع فأخبر عمر ، فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية للاستاذ محمد المبارك ــ ص ١٨٩

(٢) اللهم إلا اللغة الادبية التي درجت عليها قصائد الشعراء وجرى التواضع عليها من جراء اختلاطهم بعضهم ببعض وعلى الاخص في الاسواق الكبرى كسوق عكاظ وذي الحجاز وذي مجنة .

قال : نعم ؛ قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقّص السير سنامها بعد تمكه[1] واكتنازه :

تخوف الرَّحلُ منها تامِكاً قَرِداً
كما تخوف عُودَ النَّبْعة السفَنُ [2][3]

حينئذ سكنت نفس عمر ؛ ويؤيد هذا المعنى للكلمة ذاتها ما قاله الهيثم بن عدي : « التخوف (بالفاء) التنقص ، لغة لأزد شنوءة ، وأنشد :

تخوف غَدْرهم مالي وأهْدَى سلاسِلَ في الحلوق لها صليل »[4]

وجاء في التنزيل قول الله تعالى :« واغضض من صوتك » بالفك بينماكانت تميم تنطق بالإدغام ، وعليه قول جرير — وهو تميمي —

فغض الطرف ، إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وجاء أيضاً : « ومن يَحلِلْ عليه غضبي فقد هوى » وتميم تقول : ومن يَحِلَّ ، وجاء أيضاً : «إن تمسسْكم حسنة» «ولا تمننْ تستكثر»وتميم تدغم في كل[5] .

ومن اختلاف اللهجات أيضاً أن قبيلة طيء تعبر عن الاسم الموصول (الذي) بقولها (ذو) وعليه قول قائلهم :

وبئري ذو حفرت وذو طويت

وحكي الفراء أنه سمع بعض السؤّال يقول في المسجد الجامع : « بالفضل

---

(1) أي طال وارتفع

(2) السَفن والمسْفن ما ينجر به الخشب .

(3) القرطبي ج١٠ ص ١١٠ من قول سعيد بن المسيب .

(4) المرجع نفسه

(5) دراسات في فقه اللغة — الدكتور صبحي الصالح : ص ٨١

ذو فضلكم الله به ، والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بَهْ »(١) ، ويأتي رجل من حمير الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : هل من امبر امصيام في امسفر ؟ يريد : هل من البر الصيام في السفر ؟ فيجيبه عليه السلام بلغته : ليس من امبر امصيام في امسفر . ومن ذلك أيضا أن قضاعة تجعل الياء المشددة جيماً في كلامها وعليه قول القائل :

خالي عُويفٌ وأبو علجٌ (أي علي) المطعمان اللحم بالعشجّ (أي العشي)

وبالغداة فلق البرنجّ(٢)

وقول بعض أهل اليمن :

لا هُمَّ إن كنت قبلت حجَّتِجْ (أي حجتي ومثله ما جاء بعدها)
فلا يزال شاحجٌ يأتيك بجْ
أقمرُ نهاتٌ ينزّي وفرتجْ(٣)

لكن بعض هذه اللهجات لانجد لها وجوداً في واقعنا ، أي : أنها أصبحت في طي الصحائف وبطون الكتب والموسوعات تقرأ في أندية العلم للبحث والنظر والمقارنة ، أما أن يكون لها وجود في لساننا المتداوَل فهذا مما لا نراه يقيناً ، بل ان لغة القرآن التي اعتمدت أفصح اللهجات العربية من قريش ، وغير قريش أحيانا هي السائدة المعتبرة لدى جميع الناطقين بالضاد المعاصرين .

أريد أن أصل من وراء ضرب هذه الامثلة الى القول بأن اللغة في تجدد باستمرار ، وان كان هذا التجدد طفيفا في بعض الاحايين ، لكنه يظهر بصورة واضحة على الشاشة في الانقلابات الاجتماعية الكبرى التي تقوض أركان المجتمعات القديمة ، ويقوم على أنقاضها مجتمعات حديثة .. اللغة العربية بعد صدر الاسلام وفي عصور التمازج الثقافي مع الامم الاجنبية اكتسبت كثيراً من الكلمات الأعجمية الدخيلة الى المعجمات العربية ، واذا بها بعد حين تصبح لفظات عربية صقلها الطابع العربي بذوقه المناسب ، ثم اختارها المعجم لتكون مدرجة في كلماته العربية، وليعبر عنها المؤلف أثناء ورودها فيه ، بأنها فارسية معرّبة مثلا ، من ذلك : القلنسوة والطيلسان والمهرجان والبنفسج الخ.. والامثلة على ذلك كثيرة(٤) .

---

(١) انظر شذور الذهب بتعليق محي الدين عبد الحميد ـ ص ١٢٣ . (٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ـ ص (٦٨) (٣) شذا العرف ص ١٥١ . (٤) انظر فقه اللغة وخصائص العربية ـ ص ٢٩٥

والآن فلنقفز عن كل ذلك الى لغتنا العامية الحاضرة ، والتي لاتفترق في أصل نشوئها وفي عوامل تطورها عن أي لغة من اللغات الاخرى بله اللغة العربية الفصحى التي نعتبرها لغتنا الجامعة الأم .

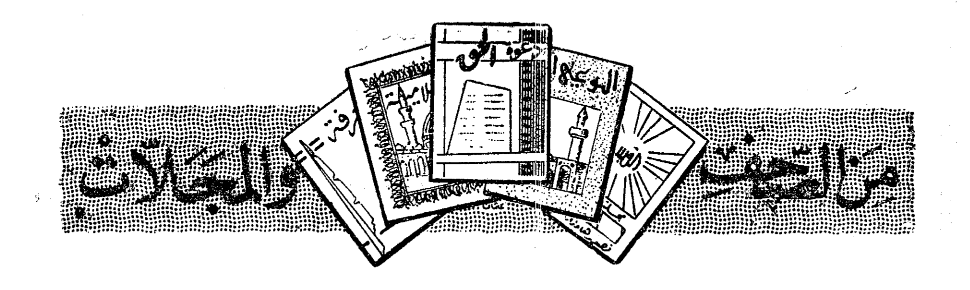
هل نستطيع أن نقول : إن لغتنا العامية التي يتكلم بها الشاميون والمصريون والعراقيون والحجازيون و .. والتي تختلف في لهجاتها بين كل بلد وآخر في منهج القول ولحن التعبير ، هل نستطيع أن نقول : انها نشأت بتوقيف من الله ، لايد للانسان فيه ؟ لاشك أن الظروف التي اكتنفت واقعنا من اختلاط بالأعاجم واستراق للتعبير — قل أو كثر — منهم ، ثم بعد منا عن حوض اللسان العربي الصافي الذي كانت تزايله كثبان الفيافي ، والذي كانت تصقله أشعة الشمس اللاذعة في الصحراء ، .. كل هذا البعد هو الذي جعل لغتنا العامية كما هي عليه الآن .

لكن تطوراً جديداً نشأ في الآونة الاخيرة !

ان نظرة نلقيها على الاوضاع اللغوية الراهنة ، أي في مدى الخمسين عاما المنصرمة ، ماذا نلاحظ من التطورات التعبيرية بين الفئات المختلفة في البيئة الواحدة ؟ نجد لحنين من القول ، الاول : لحن الفئات المثقفة ، والثاني : لحن الفئات الاخرى التي تغايرها .

ان لهجة التعبير لدى الفئات ذات اللحن الثاني الآيلة للانقراض ، التي ما تزال تمثل العهد اللغوي الذي مضى قبل خمسين عاما كما هي الحال في البيئات الريفية ، وبعض الاحياء المتطرفة من المدن حيث لم تزاول المعترك الثقافي ، أقول : ان لهجات هؤلاء تختلف في بعض ألحانها عن لهجة التعبير التي ينطق بها المثقفون الذين تحور لسانهم على وتر كاد أن يكون متفقاً — إلا في بعض اللهجات المحلية الطاغية — مهما اختلفت المناطق ، وفي سائر الأنحاء ، بفعل الثقافة الواحدة التي ارتضعوها من المدارس ، وبفضل اطلاعهم على الصحف اليومية والمؤلفات الجديدة وبفضل سماعهم لصوت المذياع الذي يتفق في لحنه وطريقته وهالته التعبيرية وسائر الاذاعات المتحدثة باللغة العربية .

فهل يعقل بعد هذا أن يقال : ان التأثير الديني — (هذا العموم مقصود به الخصوص) — يضع الحصباء في العيون ألا تنظر النظر السديد في أصل نشأة اللغة ، وأنها غير خاضعة للتواضع ، والفعل الانتقائي من قبل الناطقين بها ، وأن الكل توقيف من الله ، باستدلال يحمل الهنات في طياته من الآية الكريمة: « وعلم آدم الاسماء كلها .. » !..



الاخلاق المحاربة

تحت هذا العنوان كتب اللواء الركن محمود شيث خطاب في مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية يقول :

« الذي أعلمه علم اليقين ، ولا أشك فيه أبـدا ، هـو ان الملوث جنسيا او الملوث جيبيا ، لايمكن ان يقاتل في الحرب كما يقاتل الرجال .

وأريد بالملوث جنسيا ، الذي تردى في مهاوي الرذيلة فسقا وفجورا ، يقضي أيامه مفكرا في البغايا ، ويقضي لياليه في معاشرتهن ، ويكشف ذيله على ماحرم الله ، ويطمع في أعراض الناس .

وأقصد بالملوث جيبيا ، الذي دخل جيبه المال الحرام رشـوة من الراشين أو غشا في البيع والشراء أو جمعا للمال من طرق غير مشروعة .

وأقرر هذا المبدأ اعتمادا على تجربتي العمليـة في الحروب ، واستنادا الى دراساتي لتاريخ الفتح الاسلامي العظيم ، والى ما قرره القادة العظام الاقدمون والمحدثون على حد سواء .

وأرجو الا يقول قائل : كيف اذن ينتصر الغربيون ـ مثلا ـ في الحروب ، وهم ملوثون جنسيا ؟

ان الذين يزعمون بأن كل الاجانب ملوثون جنسيا مخطئون كل الخطأ ، او واهمون كل الوهم او مغرر بهم كل التغرير ..

ولقد عشت ردحا طويلا في بلد اجنبي من البلاد الاوربية ، فوجدت ان فيهم البر والفاسق ، ولكن مصدر قوتهم يكمن بالمتمسكين بالفضيلة قولا وعملا ، وما أكثرهم هناك .

ومشكلة اكثر الذين يفدون الى الغرب من الشرقيين ، هي انهم ينحدرون بأنفسهم الى مستوى الخادمات وأكثرهن منحرفات اخلاقيا ، ولا يرتفعون بأنفسهم الى مستوى ذوي الشرف الرفيع المتمسكين بدينهم وتقاليدهم العريقة ومثلهم العليا .

وحين يعود هؤلاء الشريقون الى أوطانهم ، يظنون خطأ ان الشعب الاجنبي الذي عاشوا في بلدة وقتا من الزمن هو بمستوى اولئك الخادمات اللواتي عاشروهن وحدهن من بين ذلك الشعب الاجنبي .

وليس الذنب ذنب الشعب الاجنبي الذي يحكمون عليه كله بما فيه من خير وشر بجزئه بما فيه من شر ، انما الذنب ذنب أولئك الشرقيين الذين استبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير ، فاختاروا الرذيلة دون الفضيلة ، وآثروا الظلام على النور .

والقلائل من الشرقيين الذين صانوا انفسهم من الدنس ، وحاسبوا أنفسهم مرتين قبل ان يقدموا على ما يعيب : مرة لالتزامهم بالدين الحنيف ، ومرة لانهم غرباء في محيط يحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة يقترفونها .

هؤلاء القلائل من الشرقيين ، رأوا عجبا من تمسك الاجانب الغربيين في بلادهم بأهداب الشرف والفضيلة ، وابتعادهم عن كل ما يخل بالصدق والامانة ، وتجنبهم كل ما يخل بالمروءة والخلق الرفيع .

- ٢ -

أذكر ان جماعة من العراقيين كانوا يعيشون مع عائلة أجنبية في دارها ، وكانت تلك العائلة مؤلفة من زوج وزوجة وأمها ، وكان لديهم ثلاثة اولاد وبنت واحدة ، وكان أكبر الاطفال عمره ثماني سنوات .

كنت مع العراقيين الذين يساكنون هذه العائلة الاجنبية في البلد الاجنبي ، حين كنت استكمل دراستي العسكرية في دورة الضباط الاقدمين (الضباط العظام كما يطلق عليهم في قسم من الجيوش العربية) .

كانت كل غرفة من غرف الدار ، فيها ما لا يقل عن ست صور مؤطرة باطارات فخمة للسيد المسيح عليه السلام وللعذراء وللقديسين .

وكانت تلك الصور موضوعة على الجدران ، بحيث تقع عين ساكن الغرفة في تلك الدار على احدى الصور في كل الاتجاهات .

وكان في كل غرفة مكتبة صغيرة كل ما فيها من كتب دينية : العهد القديم والعهد الجديد ، ومعجمات للكتاب المقدس ، ومؤلفات عن حياة السيد المسيح وعن مشاهير القديسين .

وكان والد الاطفال وأمهم وجدتهم يسحبون الاطفال سحبا صباح يوم الاحد من كل اسبوع الى الكنيسة ، وكانوا يلقون مواعظهم على أطفالهم صباح مساء بشكل منظم معقول ، يحثونهم بها على التمسك بالدين .

وقد تلقى العراقيون تعليمات محددة من مسؤولي السفارة العراقية ترشدهم الى الطريق السوي في معاملة من يساكنونهم من الاجانب .

من تلك التعليمات عقد أواصر صداقة وطيدة بين العراقيين والاجانب ، وانتهاز فرص المناسبات الاجتماعية والدينية لتقديم هدايا رمزية لمن يشاطرونهم السكن .

وفي أحد الايام ذكرت الجدة وهي عجوز شمطاء ، ان أحد الاطفال واسمه (توم) سيحل عيد مولده السادس بعد أيام .

واقترح أحد العراقيين أن يدعو العائلة الاجنبية الى السينما على حسابه تحية لعيد ميلاد (توم) المرتقب .

واعترضت العجوز الشمطاء على هذه الدعوة قائلة : « يجب أن أذهب معك الى السينما قبل يوم من موعد الدعوة ، حتى أتأكد بنفسي من ان الرواية المعروضة خالية مما يضر بأخلاق الاطفال » .

وكنا في أحد الايام نتناول طعام الغداء على مائدة العائلة ، فتحدث أحد العراقيين بحديث غير مهذب اعتبرته العائلة الاجنبية نابيا لا يليق بأن يقال بحضور الاطفال .

ونهضت العجوز وهي تتمتم بكلام خافت يدل على الاستنكار والاشمئزاز ، وآوى كل ساكن في الدار الى غرفته الخاصة به بعد الغداء وآويت الى غرفتي لاستجم بعض الوقت .

ولم أكد استقر على سريري ، حتى سمعت من يطرق باب غرفتي ، فنهضت وفتحت الباب .

وكان على الباب أحد اصحابي ، فقال : « لقد رمى أهل الدار عفشي في الشارع ، وأوصدوا باب غرفتي !! أترضى بذلك ؟؟ » .

ويومها قلت له : « اذا كنت على حق فكلنا معك ، واذا كانوا على حق ، فأنت وحدك .... وعلى نفسها جنت براقش » .

وسمعت العجوز تحاورنا ، فجاءت الى تسعى . قالت : « انكم هنا لنأخذ منكم المال حتى نربي به الاطفال تربية خاصة ، فلن نسمح لاحد ان يقول كلاما يضر بأخلاقهم ! لقد قال صاحبك ما لا يجوز ولا ينبغي أن يقال على مسمع من الاطفال ... انه قال : ...... » .

وقلت لصاحبنا : « الحق مع العائلة ، والحق أحق ان يتبع .... فعليك ان تجد لك سكنا جديدا تأوي اليه » .

وقد رأيت كثيرا من الشخصيات الرفيعة الاجنبية لا يدخنون ولا يعاقرون الخمر ولا يرتادون الملاهي ولا يخلون بمتطلبات الشرف الرفيع ، وكنت أسمع منهم تذمراً شديدا من تردي الخلق وانصراف بعض الناس عن سبيل الحق والخير والرشاد .

المشير مونتكمري اشهر قادة الحلفاء في الحرب العالميـة الثانيـة (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ألف كتابا عنوانه : (السبيل الى القيادة) ، ردد فيه عشرات المرات، ان من أهم عوامل نجاحه قائدا هــو تمسكه بأهداب الدين .

ترى ! هل عزا قائد عربي أو مسلم سر نجاحه الى تمسكه بالدين الحنيف ؟ وماذا سيقال عنه اذا عزا سر نجاحه الى الدين ؟!

ــ ٣

المجتمع في الدول الاجنبية اذن هو قسمان : قسم متمسك بالفضيلة ، وقسم من أشياع الرذيلة .

فريق الفضيلة هو قوة المجتمع الاجنبي وهو قوة لكل مجتمع شرقي وغربي ، وفريق الرذيلة هو نقطــة الضعف في المجتمع الاجنبي وفي كل مجتمع شرقي وغــربي .

وكلمــا ازداد عــدد المتمســكين بالفضيلة ، ازدادت قوة المجتمع وازداد تماسكه ، وارتفع شأن البلاد وأصبحت ذات أثر وتأثير في الاحداث العالميــة من الناحيتين السياسية والحضارية .

وكلما ازداد عدد أصحاب الرذيلة ازداد ضعف المجتمع وازداد تفسخه ، وتضعضع شأن البلاد ، وأصبحت تجرجر أذيال الخيبة سياسيا وحضاريا .

كتب أندريا موروا في كتاب : (أسباب انهيار فرنسا) في الحرب العالمية الثانية يقول : ((**من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي ، نتيجة لانتشار الرذيلة بين افراده**)) .

وكان ما كتبه هــذا الكاتب الفرنسي الكبير حقا لا مراء فيه ، لذلك أراد الجنرال ديغول في أيام رئاسته للجمهورية الفرنسية حتى يوم اســتقالته من منصبه الرفيع يوم ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٩ ، ان يحارب الرذيلة في الشعب الفرنسي ، ويغرس الفضيلة فيه ، لانه كان واثقا بأن الفضيلة هي الاســاس لاستعادة فرنسا مكانتهــا الدولية ، وهي التي تقودهــا الى النصر سـياسيا واقتصاديا وحضاريا وعسكريا ، وأن الرذيلة هي الاساس لانهيار فرنسا وقيادتها الى الهزيمة في كل المجالات .

وما يقال عن فرنسا ، يقال عن كل دولة قديمة أو حديثة .

والذين تتبعوا تاريخ الامم ، وأمعنوا النظر في أسباب بزوغ نجمها سياسيا وحضاريا واسباب أفول نجمها سياسيا وحضاريا أيضا ، يجدون ان الامم ارتفعت

دائما بأخلاقها المحاربة ،وانهارت لتفسخ شعبها أخلاقيا ، وميله الى الترف ومتاع الدنيا الذي هو متاع الغرور .

ما هي أسباب انهيار اليونان ؟ ما أسباب انهيار الرومان ؟ ما أسباب انهيار البابليين والآشوريين في العراق ؟ وانهيار الفراعنة في مصر ؟ ثم انهيار العباسيين في العراق ومصر ؟ ما اسباب انهيار دولة العرب في الاندلس ؟

ان دراسة قصة الحضارة في العالم ، تعطي الجواب السليم !

- ٤ -

لقد أدرك السلف الصالح أهمية الخلق الكريم في احراز النصر .

ولو أردت استعراض اقوال السلف الصالح ، وعلى رأسهم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، لبعد الشوط ، ولطال المدى .

وما أعظم قولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة بعث بها الى قائد من قادة الفتح الاسلامي العظيم : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم » .

لقد كان لا يخشى على الجيوش الاسلامية الزاحفة المنتصرة جيوش الامبراطوريتين الساسانية والرومية ، ولكن كان يخشى عليها مايقترفه المجاهدون من ذنوب ، لانه كان يعلم حق العلم بأن المسلمين لا ينتصرون بعدد ولا عدد ، فأعداؤهم أكثر منهم عددا وعددا ، ولكنهم ينتصرون بتمسكهم الشديد بمثلهم العليا التي جاء بها الدين الحنيف .

ومن أقوال عمر بن الخطاب حاثا على الخشونة محذرا من الترف « اخشو شنوا ، فان الترف يزيل النعم » .

ولم يكد الفاتحون يعودون ليستقروا في حواضر المسلمين الجديدة والقديمة وقد أصبحوا أغنياء بعد فقر ، الا وتطاول أكثرهم في البنيان ، ومالوا الى نعومة العيش وقدم الكوفة احد الفرس من خراسان ، وكان قد شهد بلده يسلم للفتاتحين المسلمين ورأى الرجل الفارسي أبناء أولئك الفاتحين في حياة ناعمة رغيدة : تزوجوا الجواري ، واتخذوا القصور ، وتفاخروا بالمتاع ، فقال متعجبا مستغربا ، « أأنتم فتحتم بلدي » .

كلا ! ان الذين فتحوا بلده ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم .

وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فبدا على

يديهم انهيار دولة الاسلام ، والله لايغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وبتقادم الزمن ، وتعاقب الايام والشهور والاعوام ، ازدادتعوامل التفسخ في المجتمع العربي والاسلامي : شاع الجهل ، وساد الظلم ، وبرزت الانانية والفردية ، وضعف الجانب الروحي ، وتضخم الجانب المادي ، ونشبت الضغائن والاحقاد ، وتعدد الحكام ، وكثرت الطوائف ، وانتشرت الخرافات ، واستبدل الفرد والمجتمع الذي يفيده بالذي يضره ، وبدل الناس ما بأنفسهم من خير وتعاون وانسجام .

وجاء الاستعمار فأضاف صغثا على ابالة : فرق ليسود ، وجزأ ليحكم ، وشجع التفسخ الخلقي ، وتظاهر بهذا التفسخ ليقتبس العبيد أخلاق السادة ، وأعطى المتفسخين ومنع الملتزمين ، وقدم الأمعات وأخر الثقات واستصفى الجبناء ، واستبعد الاقوياء ، وصافى الجواسيس وجافى الشرفاء ، وقرب الخونة وأبعد الوطنيين ، واحتضن المارقين ، ولفظ المتدينين ..... فكان لخططه هذه أثر في نفوس العرب والمسلمين !

وكثيرا ما نسمع عن أثر الاستعمار على المستعمرين كلاما مبهما يعمم ولا يخصص .... ان أثر الاستعمار هو في سلب المثل العليا من المستعمرين ، حتى يستطيع ان يحكم وهو قرير البال ، لان اصحاب المثل العليا اذا غلبوا ساعة ، فلن يغلبوا الى قيام الساعة !

قدم الجنرال غورو لاحتلال لبنان وسورية عام ١٩٢٠ ، وجاء معه جيش لجب ومع ذلك الجيش باخرة مليئة بالبغايا ، فقيل له : « واجب الجيش المقاتل مفهوم ، فما فائدة الجيش الآخر ؟ » ، فقال : « ان اثر هذا الجيش الاخر اعظم من الجيش المقاتل »

وصدق غورو ، وكان صريحا بجوابه ...

لقد عمل المستعمر في أيامه على اشاعة الفاحشة والتهتك في كل بلد حل فيه ، ونجح في مهمته أعظم النجاح .

ولست ألوم المستعمر ، ولكنني الوم من يقبل ذلك من العرب والمسلمين ومن يقتفي آثاره في ترك التفسخ والانحلال يرعيان كالفار نفوس الاجيال .

والا فما أهداف اشاعة الفحشاء في العرب والمسلمين ؟

الخمر

ترجمة وجيه الدباغ

عن صحيفة أوربانت بوست

الخمر هي تلك السوائل المعروفة المعدة بطريق تخمر بعض الحبوب أو الفواكه وتحول النشاء أو السكر التي تحتويه الى نحول بوساطة بعض كائنات حية لها قدة على افراز مواد خاصة يعد وجودها ضروريا في عملية التخمير .

وقد سميت خمراً لأنها تخمر العقل أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت أو لأنها تخامر العقل أي تخالطه .

وتوجد الخمور في الأسواق بأسماء مختلفة وقد تقسم الى أقسام خاصة باعتبار ما تحويه من النسب المئوية من الكحول فهنالك مثلا البراندي والوسكي والروم والليكيروغيرها تبلغ نسبةالكحول فيها من ٤٠ الى ٦٠ في المائة وتبلغ النسبة في الجن والهولاندس والجنيفا من ٣٣ الى ٤٠ في المائة وتحتوي بعض الأصناف الأخرى مثل البورت والشري والماديرا على ١٥ ــ ٢٥ في المائة وتحتوي الخمور الخفيفة مثل الكلارت والهوك والشمبانيا والبرجاندي على ١٠ ــ ١٥ في المائة وأنواع البيرة الخفيفة تحتوي على ٢ ــ ٩ في المائة مثل الإيل والبورتر والاستوت والميونخ وغيرها .

ما ينسب الى الخمر من المنافع :

١ ــ هل الخمر غذاء ؟ هنالك بعض منافع صحية تنسب للخمر فيتوهم بعضهم أن الخمر غذاء والخمر بنفسها لا يمكن أن تغذي الجسم مطلقا إذ أن

الكحول يمتص من المعدة والامعاء بمجرد وصوله اليها ثم يصل الى الدورة الدموية ثم الى الجهاز العصبي فيذوب في الخلايا العصبية ويجعلها أكثر سيولة ويقلل نشاطها حتى يشلها .

٢ ــ هل تنبه الخمر الهضم ؟ والخمر لا تنبه الهضم كما يظن كثير من الجهلاء بل تهيج الخمر الغشاء المخاطي للمعدة وتغير طبيعة العصير المعدي وتذكر كتب علم المادة الطبية في تأثير الكحول على المعدة أن الكحول لا يسبب افراز العصارات المعوية النشطة الفعالة ولكنه يساعد على افراز كمية أكبر قليلا من الحامض لا غير ويشل الافراز المعدي ويحدث ضمورا في الغدد المعدية والخمر يؤثر على الزلاليات في المعدة كاللحوم فيجمدها وكذلك يفعل مع الببسين في العصار المعدية . وتنصح كتب علم المادة الطبية بل تأمر بعدم استعمال الخمر في حالات التهاب المعدة والخمر بجانب ذلك يبلغ تأثيرها الى مدى يجف معه الفم وتعوق افراز اللعاب وهكذا ترى كيف تحدث الخمر سوء الهضم وتسبب القيء وتصيب المعدة بالتمدد وتغير طعم الفم الى غير ذلك مما تجده في كتب الطب .

٣ ــ هل تدفيء الخمر وتزيل البرد ؟ ويحسب السكارى وهم مسرح العاب الخمر وميدان نكباته أن الخمر تدفيء الجسم وتزيل البرد فهل تفعل الخمر ذلك طبيا ؟ لقد ذكرت جميع كتب علم المادة الطبية أن الكحول إذا وضع على جلد المرء يحدث فيه انخفاضا كبيراً في درجة الحرارة وذلك لما للكحول من سرعة التبخر الذي يحتاج الى حرارة في هذه العملية الطبيعية فيأخذ هذه الحرارة من الجسم فيقلل درجة حرارته . وأما استعمال الخمر من الداخل فالكحول بحسب ما تذكر كتب الطب يحدث انخفاضا في درجة الحرارة وهذا الانخفاض ناشيء من تمدد الاوعية الدموية التي على سطح الجسم مما يدعو الى تسرب الحرارة الى خارج الجسم فأي وهم يعيش به شاربوا الخمر وأي جهل يهيمون في واديه .

٤ ــ هل تزيد الخمر الدم ؟ وهل لشاربي الخمر وأمثالهم من الجهلاء دليل على فائدة الخمر للصحة إلا ما يشاهدونه من تورد خدود شاربي الخمر واحمرارها وامتلائها بالدم ؟ ألا فليعلم هؤلاء الجهلاء أن احتقان وجوههم ماهو

إلا مرض وحادث غير طبيعي في بدنهم إذ أن الخمر يحدث تمدداً كبيراً في الأوعية الدموية التي على سطح الجسم فيندفع إليها الدم ويقل الدم الموجود في الأوعية التي في الداخل بانكماشها وهكذا تختل الدورة الدموية بجانب المصائب الأخرى التي تحدثها هذه المادة السامة مما سيأتي بيانه .

تحكم الخمر في شاربيها :

وللخمر فعلان خطران تستولي بهما على عقول الشاربين فتجعلها تحت سلطانها وتقودها الى العته وتتحكم في أجسام المساكين فتضنيها وتذيقها ريب المنون .

إن شارب القليل من الخمر لا يلبث أن يكون رغم أنفه مستعبداً لها مما قد يجعله بعد ذلك عاجزاً عن الهروب مما وقع فيه من الرق والأسر وهذه الخاصية الطبيعية الأولى للخمر تصيب الشاربين مطلقاً . والخاصية الثانية للخمر يسميها الطب بالمقاومة أو الاحتمال وذلك من تكفيه كمية محدودة من الخمر للمرور بالدور الأول مثلاً يصبح وقد صارت لجسمه قوة مقاومة تحتاج لكمية أكبر من الكمية الاولى ايمر بنفس الدور وهكذا حتى تصير الكمية التي تكفي لقتل نفس لا تحدث عنده إلا أعراض الفترة الأولى ويعم أثره حتى يصيب أهم الأعضاء الحيوية .

تأثير الخمر على الأعصاب :

وللخمر تأثير على المراكز العصبية حيث تنبهها في أول الأمر ولكن لايلبث الحال أن ينعكس فيحدث الخمول في هذه الأعصاب ومن ثم يتسبب في الموت الذي يكون نتيجة مباشرة لايقاف عمل المراكز الحيوية في الجسم .

هذا الحال هو مانشاهده في شارب الخمر فتراه أولاً قد انعدمت عنده فضيلة المروءة والحياة وينطق لسانه بألفاظ لو كان حافظاً لقواه العقلية ما فاه بها ، وتصدر عنه أفعال وحركات تضحك الثكلى وشر البلية ما يضحك .

هذه الفترة هي التي تجعل من الانسان حيواناً مهينا مستهتراً بالكرامة والدين معرضاً للوقوع في حبائل الرذيلة والفساد وهي قصيرة الأمد لا تلبث فترة الخمول أن تأتي عليها فترى الشارب وقد اختلت أعمال مخه وفقد احساسه وتجسمت فيه البلاهة بأقبح أشكالها وسرعان مايدخل السكران في الفترة الثالثة وعندها يكون السم قد عمل عمله في المراكز العصبية الحيوية في الجسم فيعطل عملها وتحدث الوفاة وقد يكون سبب الموت تعطيل الخمر لعمل مراكز التنفس والدورة الدموية جميعاً .

استغناء الطب عنها كدواء :

وإذا كانت هنالك بعض حالات مرضية نادرة تنفع فيها الخمر فعلى الطبيب أن يستعيض عنها بالغول النقي ممزوجاً ببعض مواد أخرى إذا لزم الحال ، إلا أن الأحوال التي يستعمل فيها الكحول نفسه تعد نادرة كما تقرر كتب الطب وعلى كل حال لا يستعمل الكحول طبياً لتقوية الباه أو للتدفئة أو للأغراض التي يشرب من أجلها السكيرون الخمور .

الجنون الكحولي :

هو الاختلاط العقلي الناشيء عن شرب الخمور وهو حالة تصل بالانسان العاقل الى درجة أحط من الحيوان غير العاقل أو تصل به الى درجة الجنون الخطر مما قد يسلبه صفة الإنسانية والعقل ويرجع ذلك الى تأثير الخمر على المخ تأثيرا يفقده وظيفته ولا تكون النتيجة بعد ذلك إلا الاختلاط العقلي أو الموت .

ولكي تأخذ فكرة عن مقدار تغلغل سم الخمر في الأعصاب ومقدار الزمن الذي تبقى فيه الأعضاء تحت تأثير فعل الخمر الحلامي، أذكر ماذكره مارينسكو وبوليان في الجريدة الطبية البريطانية الصادرة في ١١ ايلول ١٩٢٠ من أنهما وجدا الكحول في سائل النخاع الشوكي بعد تجرعه بثمانية أيام ولقد وجد كذلك أنه يمكن فصل الكحول بعد تعفن الجثة وهو يدل على عظيم تغلغله في الجسم .

هذا المرض يؤثر في علم المرء وادراكه ويؤثر في شعوره واحساسه ويؤثر

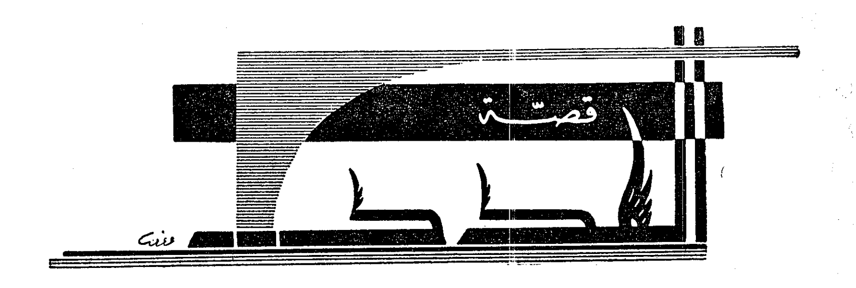
في عمله : أما تأثيره في علمه فهو عدم ادراك حقيقة الشيء مع وجوده أو كتخيل أشخاص غير موجودين أو سماع أصوات غير موجودة وهو ما يؤدي الى فقد الذاكرة كما يحصل في الهستريا .

إن مجرد اضطراب الذاكرة يقلل من قيمة القوى العقلية ولذلك يمنع الدين الاسلامي الأخذ بشهادة شاربي الخمر في المحاكم لاختلال أعصابهم وارتباك مخهم واضطراب ذاكرتهم وشذوذ أفكارهم .

هذه إشارة لما يصيب إدراك الشخص وعلمه أما فيما يتعلق بشعوره وعمله فالخمر تؤثر في شاربيها تأثيراً قد يدعوه إلى الانتحار أو القتل أو ارتكاب جرائم جنائية مختلفة كهتك العرض وغيرها من الجنايات التي تشغل المحاكم دائماً .

وهناك نوع آخر من أنواع الخلل الكحولي يصحبه عادة التهاب عصبي ويسمى مرض (كورساكو) ويمتاز هذا المرض بفقد الذاكرة فيما يتعلق بالحوادث القريبة واضطراب فكري فيتخيل وجوده في عالم آخر لا حقيقة له وفي جميع الأحوال ينتهي أمر الشارب (بدمنتيا كحولية) أي عتاهة وبلاهة فيفقد ذاكرته ويتصور تصورات لا حقيقة لها بجانب ما يصاب به من شتى الامراض العصبية الأخرى .

والجنون الكحولي المزمن هو السبب المباشر لجميع الجرائم الجنسية المتسببة عن الغيرة وهذه الجرائم تكون في الغالب قتل الأبرياء وتنشأ الحالة بأنه يحسب المعتاد على الخمر أن امرأته تحب سواه وتنشأ في فكرة أشياء خيالية تثبت لديه ما يجول بخاطره من الأوهام ويذهب الى امرأته ليرغمها على الاعتراف باستعمال القوة وبعد مشاجرات وتخيلات ينتهي الأمر بقتل الزوجة دون العشيق وقد يقتل هذا المعتوه أولاده انتقاما إذ يخيل اليه أنهم ليسوا بنيه بل جاءت بهم امرأته من عشيقها الموهوم .



طريق آخر

للاستاذ محمود مفلح

كان ينظر الي بعينين واهيتين متعبتين ، تتراقص فيهما اشباح المرارة والعوز والحرمان ، وترتسم عليهما صورة الماضي الشقي التعيس .

شعره الاسود يتهدل على جبينه الاسمر العريض بغير انتظام ، وهو يغطي الجزء الاعلى من أذنيه .. كان يتحدث الي بطلاقة وجرأة واندفاع .. عن ماضيه .. وحاضره .. ومستقبله .

وبعد أن غادرت المدرسة أين توجهت يا رمزي ؟

توجهت ... توجهت الى لبنان يا أستاذ ... بل الى بيروت !!.آه ما أجمل بيروت ! وأروعها وأعظم فتنتها! أما رأيتها .. انها بلدالجمال والبهاء والسحر ...

وغمغمرمزي قليلاوكأنه يستنجد بذاكرته الغضةلاستحضار صور اكثر عنلبنان وتابع : أتمنى انأكون الآن في لبنان هناك ... هناك على الشاطيء اللازوردي الفسيح أغازل الموج وأتنسم الهواء العليل ... غير أني لا أكذبك يا استاذ فقد كنت اتضايق منها احيانا لانهاكغيرهاتظلم العاملالفقير وتأكلحق الاجيروتبتلع اتعاب الناس البسطاء ... هلتعلم أنني كنت أعمل سحابة النهار كله دون ان انال أجرا كافيا يناسب

أتعابي ... صدقني يا « أستاذ » أنني كنت انام بعض الليالي على الرصيف البارد مع السكارى والمنبوذين والمتسولين ... وانطرح امام الحوانيت دون ان يلقي احد من المارة إلي بالا وكأنني حجر من الحجارة او كلب من الكلاب .

ـ لماذا لا تذهب الى بيت اخيك؟ أليس أخوك عادل في بيروت ايضا ؟؟

ـ أخي !!.. ليس لي اخوه، فأنا لا أحب اهلي كلهم ! أليسوا هم الذين اخرجوني من المدرسة وتركوني مشردا ضائعا منبوذا اعيش مع المتشردين والمنبوذين ... لقد لفظتني الحياة حتى أصبحت في شوارع بيروت ابحث عن لقمة العيش فلا اجدها الا مغموسة بالدم والظلم ، وما اكثر الليالي التي كنت انام فيها خاوي المعدة خائر القوى منهوك العزيمة ...

كان رمزي في تلك اللحظة يمسك كتابا يقلب صفحاته وكأنه يستوحي من سطوره كلاما جديدا يريد أن يقوله .

ـ هل تعلم يا أستاذ إنني هربت الى دمشق مرتين ولم استطع متابعة السفر الى بلدتي « القامشلي » لان نقودي القليلة كانت تنفد في منتصف الطريق فاضطر الى التوقف عن السفر .

ـ ماذا كنت تصنع حينذاك ؟؟

ـ لا شيء يا « استاذ » غير أني كنت اقضي نهاري متجولا في شوارع دمشق ابحث فيها عن اقماع السجائر . وعندما يهبط الليل ألجأ الى احدى العمارات التي ما زالت في طور البناء ، فأتلمس زاوية انام فيها ريثما تبزغ الشمس بعد ان ادخن كل ما جمعت في النهار .

ونظر رمزي الى الارض نظرة عميقة موجعة، وكأنه ندم على ما قال وعض على شفته السفلى وهو يخالسني نظرات سريعة حادة .. ولم ينبس بكلمة واحدة وقلت :

ـ ألا تخاف من النوم وحيدا يا رمزي وانت ما زلت صغيرا في السن ولم تتجاوز الحادية عشرة من العمر ؟

وهنا رفع نظره إلي وكأنني مسست في هذا السؤال كرامته او رجولته واثرت شيئا كامنا في اعماقه ... وقال بلهجة متحدية عنيفة .

أنا .. كيف أخاف !! وممن أخاف !!.. أمثلي يخاف ياأستاذ ؟

لو كنت اخاف لما ذهبت الى بيروت وحيدا ولما اجتزت الحدود والظلمة داجية والمكان مقفر ..

كيف أخــاف وسكيني في جيبي جاهزة لكل أمر طارىء ...

وهنا تنهد رمزي تنهــدا عميقــا حادا وهو يتمتم : « سلمت : أيتها السكين ... ما أروعك عندما غاص نصلك في صدر ذلك الوغد الــذي أراد إهانتي في « ساحة البرج » ... وظن نفسه قادرا على إذلالي وكسر شوكتي ...

وانقبض وجهه وصك أســنانه وراح يهز قبضة يــده وكأنه يرى الخصم أمامه ويهم بالانقضــاض عليــه .

– متى كان ذلك يارمزي ؟؟

– قبــل عشرة أيام يا أستاذ ، وأردف : دعنا من تلك الحادثة على كل حال . انها أصبحت في حساب الزمان وضمير الايام ولا حاجة بنا للرجوع اليها لأنها ذات جذورعميقة في حياتي وأيامي المنصرمة التافهة .

كما تشاء يا رمزي ... دعنا من تلك الحادثة البغيضة ان كــانت تزعجك أو تضايقك

– وأخيرا ماذا صنعت في دمشق وكيف استطعت الخروج منها وأنت لا تملك أجرة السفر الى بلــدتك « القامشلي » ؟؟

– الامر بسيط جدا يا «أستاذ»

.. بقيت في دمشق أياما قليلة لــم أجد خلالها عملا بقيت أعيش عــلى فضلات الطعام الذي تقذفه المطاعم آخر الليــل في علب القاذورات ، وأعقاب السجائر الملقاة في الطرقات. وأجالس الحراس في الليل وأنام في العمــارات التي تبنى ... الى أن بزغت شمس ذلك اليــوم الــذي صممت فيه ان أعود الى بيروت مهما كلفني الأمر .... سرت على الاقدام مسافة طويلة حتى أصبحت خارج المدينة ... كنت أرفع يدي لــكل سيارة تمر في الطريق ... وكانت جميع السيارات لا تأبه بي وكــأن السائقين لا يرونني على قارعــة الطريق .... حتى بعث الله سائقا « ابن حلال » يقود سيارة شــحن كبيرة ، توقف عنــدما رآني ، وجلست بجانبــه وانطلقت السيارة الكبيرة في طريق بيروت .. وقبل مخفر الحــدود بقليل .. نزلت وتابعت المسير مشيا على الاقــدام .... ولم أوفق في اجتياز الحدود ، إذ قبض علي ... وهنــا كانت

المصيبة فأنا لا احمل تصريحا بالسفر الى بيروت ، دخلت غرفة صغيرة معتمه تنفر منها أشعة الشمس ذات رائحة كريهة خانقة

... كان الشرطي يصفعني صفعات متلاحقة أحس على أثرها أنني فقدت صوابي ... انهم لا يعرفون الرحمة يا أستاذ ... كل ذلك لأنني لا أحمل في جيبي ورقة مختومة تمنحني حق الدخول الى قطر عربي شقيق .

وتوقف رمزي عن الحديث قليلا ثم استرد نفساً متعباً منهوكاً وقال :

« لا أريد أن أطيل عليك الحديث فلقد وصلت الى بيروت وبدأت أبحث عن عمل جديد .. لأنني بحاجة الى نقود بحاجة الى نقود ... غير أنني أقسم لك يا «أستاذ» أن حب المدرسة يخالط قلبي وصورتها لا تفارق بصري ... آه ... وزفر زفرة تحمل في طياتها كل حقده على الحياة وسخطه على الناس .... واستأنف كلامه بعصبية وانفعال

ـ الم تذكر أنني كنت من اوائل الطلاب في الصف الرابع وكنت أؤدي واجباتي المدرسية دون اهمال أو تقصير .... ماسعيد ؟؟.. وما خالد الى جانبي ؟؟ هاهم الآن طلاب في المرحلة الثانوية وغدا سوف يصبحون أصحاب مراكز هامة يشير اليهم الناس بالبنان ... أما أنا ... أنا .. واحتبس الكلام في حلقه وهو يحدق بالسيجارة بين اصبعيه وخيل اليه انه يحترق تماما كما تحترق هذه السيجارة ... والدمعة تبرق في عينيه ، وتابع بصوت خافت ممزوج بالألم والحسرة أنا !! مامصيري يا أستاذ .. ماذا أعمل ـ لا دراسة ... لا علم .. لا حرفة لا شيء .. لا شيء .. ما أقساك أيتها الحياة وما أشدّ ظلمك أيتها الايام .. وأنت أيها الوالد .. أنت الذي أخرجتني من المدرسة وقضيت على مستقبلي وتركتني متسكعاً في الطرقات كما تتسكع الكلاب ... لا يهمك إلا بطنك ونفسك ....

ـ هون عليك يا رمزي فانك مازلت في أول الطريق وريعان الشباب والمستقبل أمامك مشرق ومعطاء ، وأبواب الرزق لا تغلق في وجوه العاملين فلا تجعل لليأس طريقا الى نفسك وعليك بالجد والنشاط والدأب ، ولا تكن حالك النظرة .. قانطا

دعني من هذه المواعظ

يا « أستاذ » فلقد ترددت على مسمعي كثيرا ولم تتبدل الأحوال ولم أصبح شيئا ذا بال ... ان صحتي تتدهور يوما بعد يوم ... لقد أجهدني التدخين .. وبراني السهر ورعتني الوساوس والأوهام ...... وانتابتني موجات عاتية من اليأس والانقباض والضجر ؟ أتذكر يا أستاذ عندما كنت أسبق الطلاب جميعا في حصة الرياضة البدنية فأنال منك الجائزة ... نعم كنت آنذاك لا أشعر بتعب ولا ارهاق ... أما الآن ... الآن فلا أستطيع أن أجري مسافة خمسين مترا دون أن يتقطع صدري تعباً واعياء . وألهث كما يلهث الشيخ العجوز ... نعم لقد أصبح ليلي سعالا في سعال ولم أجد للنوم طعما ولا للراحة معنى !!.

هكذا قدر لي ان أعشيس ؟؟؟ آه كم شريرة أنت أيتها الايام .

ـ هون عليك يا رمزي فالمدرسة ليست كل شيء في الحياة .. لا تنس أن الأعمال الحرة خير من الوظيفة والمرتب المحدود آخر الشهر ... وقاطعني ... لا . لا يا أستاذ .. أنا لا أصدق كل هذا .. لانني لو وجدت أباً يزجرني عن التدخين ويشجعني على الذهابالى المدرسة ويحيطني بحنانه ورعايته لما آلت الأمور الى ماهي عليه ....

لقد أوشكت أن أكون مجرماً .. سكيني لا تغادر جيبي والشيطان لا يفتأ يوسوس في صدري وباب السجن أبدا يمثل أمام ناظري .... وصرت أخاف من أشياء كثيرة كثيرة لا تعد ولا تحصى .

* * *

تعليق

على مقال « الحجاب عند العرب وفي الاسلام »

للاستاذ محمد فؤاد القسطلي
المستشار في محكمة الاستئناف
حلب

هـذا تعليق على مانشـر عن ((الحجاب)) في مجلة العربي، وقد دفعني الى كتابته، فرض الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وأعتقد أن مجلة العربي لا يمكن أن تنشر هذا الرد ، لأنه يخالف أهدافها في تمييع مفاهيم الاسلام ، وبث الشبه في أحكامه .

ولقد أرسلته ... صدوعاً بأمر الله تعالى ، بالنهي عـن المنكر الوارد في مقـال العربي ، وهو في رأيي من أشد المنكرات .

ولا أجد ، أولى من حضارتنا الحبيبة ، بنشره ، ابتغاء وجه الله ، وقياماً بواجب من واجبات الجهاد في سبيل الله .

أما أنا فقد أبرأت ذمتي امام الله تعالى ، فكتبت ودافعت ، على ما وصل اليـه علمي وفهمي ، ومن الله القبول .

ذكر الاستاذ محمود سلام زناتي ، في مقاله عن الحجاب عند العرب وفي الاسلام ، المنشور في مطلع العدد (١٣٠) من مجلة العربي : ان فرض الحجاب كان على نساء النبي فقط وكذلك الزامهن القرار في بيوتهن دون غيرهن من النساء المسلمات . لان نساء النبي لسن كأحد من النساء ، ومن كان هـذا شأنه وجب الارتفاع به عن كل شبهة ، والابتعاد عن كل ريبة .

ودعم ذلك ، فيما دعم ، ان قتيلة الكندية ، التي ملكها رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت مع قومها تزوجها عكرمة بن أبي جهل فوجد لذلك ابو بكر رضي الله عنه ، فقال له عمر رضي الله عنه : (انها والله ما هي من أزواجه ، ما خيرها ولا حجبها ، ولقد برأها الله منه بالارتداد) ويريد صاحب المقـال بذلك : انه طالما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحجبها فهي ليس مـن نسائه ، لأن الحجاب لا يجب الا على نساء النبي .

وقد استند أيضا ، الى أقوال بعض المفسرين والفقهاء ، وأخذ يفسر مع بعضهم الزينة ، وادناء الجلابيب على نحو يستنتج منه ان الاسلام لم يـأت بالحجاب الا بالنسبة لنساء النبي خاصة ، وان الاختلاط بين الجنسين عادة أصيلة عند العرب ، متبعة في الاسلام كما كانت متبعة في الجاهلية ، ولم يفرض الحجاب الا في العصور المتأخرة وتقليدا للفرس .

ولكن القضية القائمة ، ليست هي قضية عادات متبعة ، وانما هو التشريع السماوي ، الذي هو المرجع الفصل في الامر .

وأول ما يطالعنا من ذلك هو قوله تعالى **(يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين)** .

ولا شيء أصرح من هذا الامر الموجه الى كل امرأة مسلمة : أزواج النبي وبناته ونساء المؤمنين . فهل يجوز لنا أن نتغاضى عن هذا الأمر الصريح ، لنلجأ الى التؤول ، ولنتلمس ما لم يأمر به الله ، بل عكس ما أمر به الله ؟. وما يبتغي التؤول الا مريد للفتنة المتبعلها . ولا يصح لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يلوي لسانه بما ليس من الكتاب ليحسبه الناس من الكتاب (القرآن)، وما هو منه . ولا يجوز لنا ترك الأمر الصريح الواضح ، الذي أنزله الله في سورتي الاحزاب والنور ، الى آراء وتعليلات ما أنزل الله بها من سلطان . ان هذا الامر ورد بعدما نزلت آيات الحجاب الخاصة بازواج النبي : كالآية التي تنص على : **(وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ...)** هذا مع الاشارة الى أن ما ورد في سورة النور من قوله تعالى **(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن .... وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدوين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ... الخ)** يؤيد تمام التأييد ما ورد في آية الحجاب الواردة في سورة الاحزاب ، وهي صريحة توجبه على النساء المؤمنات عامة ، بان يضربن بخمرهن على جيوبهن (التي هي فتحة في الصدر من الثوب) .

وأكثر من هذا فقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتربية المرأة المسلمة بحجابها عن الرجل ليدرأ عنها أسباب الفتنة : فقد روى الترمذي

وغيره عن أم سلمة أنها كانت جالسة مع الرسول ومعها ميمونة بنت الحارث فدخل ابن أم مكتوم (وهو أعمى) فأمرهما الرسول بالاحتجاب منه ، فقالت انه أعمى ، فقال أوعمياوان انتما ؟ يريد بذلك أن يقي المرأة المسلمة من الافتتان بالرجل (ولو كان أعمى) بالحجاب . وقصة يوسف عليه السلام وافتتان النساء به ، شهيرة بالقرآن الكريم .

هذا ، ونلاحظ انه اذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، الطاهرات، المطهرات ، العفيفات النظيفات ، امهات المؤمنين ، اللواتي أحصن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء الكريمات الفضيلات ، اذا كان الله تعالى أمرهن بغض الصوت ، وعدم الخضوع في القول ، وأمرهن بان يسألهن الرجال من وراء حجاب ، فما بالنا ببقية النساء اللاتي لا يمكن لا فضلهن او طهرهن ، أن يرقى الى عشر معشار ما سمت اليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ان الأمر ببقية النساء أوجب . وقد اتفق الفقهاء على ان هذا الامر الذي اختص به نساء النبي ، حكمه عام ويشمل جميع النساء المؤمنات .

فاذا وجد بعض المتؤولين ، الذين يريدون (لحاجة في نفس يعقوب) ان ينحرفوا بالتشريع الاسلامي الى ما يوافق الاهواء ، ويرضي النزوات ، فان هؤلاء وما يقومون به ، ليس لهم ان يغيروا من أمر الله النافذ شيئا . يضاف الى ذلك كله ، نزول الامر الواضح الصادع من الله تعالى ، لازواج النبي وبناته ونساء المؤمنين بالتزام الحجاب ، قطعا لدابر كل قالة لا يبتغى بها وجه الله .

قال السدي في هذه الآية : كان ناس من فساق المدينة يخرجون بالليل ، حين يختلط الظلام الى طرق المدينة فيعرضون للنساء فاذا كان الليل خرج النساء الى الطريق يقضين حاجاتهن ، فكان اولئك الفساق يبتغون ذلك منهن ، فاذا رأوا المرأة عليها الجلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها .

وقال مجاهد : يتجلببن فيعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة .

وقال سيد قطب رحمه الله ، في ظلال القرآن : ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ان يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة ، اذا خرجن بحاجتهن ، ان يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن (وهي فتحة الصدر من الثوب) بجلباب كاس ، فيميزهن هذا الزي ، ويجعلهن في مأمن من معابثة الفساق بعد هذا فلا يجوز لمسلم أن يرى أن الحجاب لم يأت الا لنساء النبي ، وهن في الحقيقة آخر من يلزمه الحجاب من النساء .

وبعد : فما بال أقوام يريدون أن يسهلوا لما تبقى من نساء المسلمين يحافظ على شبه الحجاب ، ان ينخرطن في القطيع الضال الذي لا أول له ولا آخر ؟ أما كفانا ما أصبحت عليه المرأة المسلمة من تهتك وتكشف ألم يكفنا (الميني جوب) و (المكرو جوب) يغزوان نساءنا وفتياتنا ؟ ألم يكفنا كشف الصدر والظهر والنهد والخد ، والساق والفخذ ؟ ألم يكفنا ما صارت اليه قطعان العرايا في بلاجات الاسكندرية وبيروت وجميع سواحل البلاد العربية من المحيط الى الخليج ، ومسابح دمشق وحلب والبلاد الداخلية ، يعرضن الاجسام العارية ، واللحوم المبذولة ، ويكشفن عوراتهن ، ويبدين سوءاتهن ، غير مباليات بدين أو خلق أو تقاليد ؟

ولماذا تستر غايات السفور والتبرج والاختلاط ، بدعاوى خروج المرأة للعمل والتعليم ؟ ومن الذي يستنكر عمل المرأة وتعلمها ؟ وما علاقة التعلم والعمل بما وصلت اليه من عرى وتزين وتبرج في الشوارع ، والمسابح والمنتديات ، حتى فاقت بذلك الجاهليات الاولى : جاهلية اليونان وجاهلية الرومان وجاهلية أوربا ؟ وهل لهذه الجاهلية الجهلاء التي نهيم فيها من علاقة بالتعلم والعمل ؟

ألا رحمة بالمرأة ودعوا من تبقى منهن خارج الأتون لئلا يحرفن معهن الاجيال والانسال ، فنذهب مع الغابرين .

العبادة في الاسلام

بقلم : ناديا عمري

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لأن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

عبَدَ في اللغة : وحده وخدمه وخضع وذل وطاع .

وتعبَّد : انفرد للعبادة وتنسك .

النسك : العبادة ، وهو كل حق لله تعالى .

والعبادة في الاصطلاح الاسلامي : كل عمل يُبتغى فيه وجه الله عز وجل. وهي بهذا المعنى اسم شامل جامع لكل طاعة . بل ان كل فعل وقول يصدر من مؤمن ترافقه نية صالحة وصادقة فهو عبادة . وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رجلا شابا مشمرا عن ساعد الجد ، منهمكا في عمله ، فقالوا يارسول الله : لو كان هذا في سبيل الله . فأجاب معلم البشر : ان كان يعمل ليعيل نفسه ويكفيها عن الطلب فهو في سبيل الله ، وان كان يعمل ليعيل والديه فهو في سبيل الله .

وقال تعالى في محكم تنزيله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

فيخلصوا العمل لوجهه الكريم . وفي سورة الفاتحة ، في أم الكتاب ، وفي فاتحته أمر تعالى عباده أن يخصوه بالخضوع والعبادة « إياك نعبد وإياك نستعين » .

كما قال تعالى « واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل : لاتعبدون إلا الله » .

وقال تعالى على لسان السيد المسيح عليه السلام : « وقال المسيح ابن مريم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار » وقد أبرز تعالى صفة عبودية الملائكة له تعالى « ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

وفي مجال تكريم بني آدم يسمهم تعالى بالعبودية له عز شأنه « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجدالاقصى » « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وحينما يشعر المؤمن بالعبودية لله عز وجل يكون قد تحرر من كل قيد وانطلق من كل أسر ، فهو طليق من أسر الأهواء والشهوات ، والرسول صلى الله عليه وسلم « وهوالنموذج ا لاول والواضح للمسلم الحق » بلغ الحد الاعلى من العبادة والنسك ، فقد كان يجد في العبادة قرة عينه وطمأنينة نفسه ، وهو الذي جمع بين النسك في أرقى مراتبه وبين القيام على امور الدنيا التي كان يعيش فيها بكده ، ويعول كثيرا من الاهل والفقراء ، ويناضل أمة بكاملها ، ويسوس دولة فتية في وجه العالم ، يوفد الى الملوك ويدعوهم ، ويستقبل الوفود ويكرمهم، ويبعث السرايا ويقودالجيش، ويجادل من حوله من أهل الاديان والسلطان ، ويهيء للنصر ، ويحتاط للهزيمة ، ويبعث العمال ، ويجبيالاموال ويقسمها بنفسه، ويفصل ما أجمله الوحي ، ويوضح الغامض ، ويرسم السنن ، وهو الناسك العابد بالليل والنهار . وقد كان صلى الله عليه وسلم مثلاً من الجد الكامل ، والتوجه الخالص ، اذا انصرف للعبادة انصرف بجملته وإذا قام بعمل آخر لم يفتر

عنه حتى يتمه ، وقد أجمع المؤرخون من أهل الملل المختلفة أنه كان يعطي العمل الذي يشغله كل حسه وكل قلبه ، ويتجلى ذلك في علاقته بالناس ، فما حدثه أحد الا التفت اليه بوجهه وجسمه ، وأصغى اليه تمام الاصغاء ، ولم يقطع الحديث حتى يكون المتكلم هو الذي يقطعه .

وكان صلى الله عليه وسلم بفطرته يحب النسك والعبادة ، فكان قبل الرسالة ينقطع الليالي ذوات العدد في غار حراء خارج مكة للتعبد ، يطلب الهداية ، ويبحث عن الحق ، يفكر ويتأمل حتى أتاه اليقين « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ويمتن الله عليه بقوله « ووجدك ضالا فهدى » فلما جاءه الهدىأخذ يصلي فيخرج الى شعاب مكة ومعه علي وهو صبي فيصليان مستخفين حتى اذا أمسيا رجعا .

وجبلت الهداية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فتعلق بالله ، وفنيت نفسه في حبه حتى صار معه في حركته وسكونه ويقظته ونومه ، وبلغ به الامر حتى غدا يقف بين يدي خالقه حتى تتورم قدماه ، فيقال له : لما تجهد نفسك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فيقول أفلا أكون عبدا شكورا ، وكانت نجواه في الليل « اللهم لك الحمد ، انت قيوم السماوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت ملك السماوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، وقولك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفرلي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

واذا جاءه أمر يحبه قال : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، واذا أتاه أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال ، وان قصدفعل شيء قال : اللهم خرلي واخترلي ، وان أراد سفرا قال : اللهم بك أصول وبك أجول ، وان أراد نوما قال اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه، وان استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا واليه النشور ، وان لبس ثوبا جديدا قال : الحمد لله الذي رزقني ما أتجمل به فيحياتي، وان أكل قال : الحمد لله الذي أطعمناوسقانا وجعلنا مسلمين ، وان شرب قال : الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحاً

أجاجا بذنوبنا ، واذا انقلب من الليل في فراشه قال : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ، واذا هب من نومه في الليل قال : رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم .

وهكذا فالرسول صلى الله عليه وسلم مع الله في كل عمل وكل حين ، فهو يقوم الليل ويصرف جزءا من النهار للعبادة ، ويجد في الصلاة لذته وقرة عينه ، وكثيرا ما نهى أصحابه عن أن يقلدوه فيما لا طاقة لهم به .

تقول عائشة رضي الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به ، فيفرض عليهم . ولا شك أن نفس محمد صلى الله عليه وسلم لمتصلة بالله تستطيع مالا يستطيع الناس ، فهو يود أن ينفرد بما فوق الطاقة ، فاذا نشط أصحابه لمتابعته ، خشي عليهم الغلو ، وهو الذي جاء بالحنيفية الميسرة ، تلامس حقائق الحياة ، فخليق به أن يغضب اذ يرى الناس يهمون بترك الدنيا والانقطاع للعبادة ، والله تعالى يقول « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك » ومالت نفس بعض الصحابة للعزلة والانقطاع للعبادة ، فغضب وذكر أنه ما جاء باليهودية ولا بالنصرانية وانما جاءهم بدين ابراهيم ميسرا سهلا . يقول أنس : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فنزلنا منزلا في يوم حار ، أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده ، فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الابنية ، وسقوا الركاب فقال صلى الله عليه وسلم : ذهب المفطرون اليوم بالأجر .

وعن أنس قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ! فقال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

ذلك هو التوسط الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو رغم خشيته أن يميل الناس عن القصد ، وأن يفرطوا ويكلفوا أنفسهم مالا يطيقون كان المثل الاعلى في التعبد والنسك ، كما كان في الرجول وتصريف شئون الدنيا والقيام عليها ، وقد التقت في شخصه الكريم أغراض الحياة على أكمل وجوهها .



كان ذلك من اربعةأعوام يوم أسعد ني الله بالحج وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فالى جانب مالمست في الشيخ الختني رحمه الله من العلم والفضل والتقـــوى ، أكرمني ـ أجزل الله مثوبته ـ بما رضي من مصاحبتي له عند زيارة البقيع ـ رحم الله من فـــي البقيع ـ وكانت جولة غنية بالمعرفة غامرة بالضياء مشرقة بكل ما فيه غذاء القلب ، حيث كان حديثه حديث التقوى ، وكلامه ـ مع المعرفة ـ غاية الأدب مع أهل البقيع ، وحيث لا يلبث يعطي من نفسه وقلبه لضيفه ومن يتحدث اليه ، ولوددت ـ يعلم الله ـ أن تلك الفترة من حياتي لم تنقطع . ثم انصرفنا وكأن الزمان قد انطوت حدوده ، وذهبنا الـى دار الشيخ رحمه الله وخرجت من عنده بعد لقيمات تحسبها من طعام الجنة . ومن بعـدُ ودعته ظهراً في المسجد العظيم ، أحمل في نفسي أثراً أرجو أن يظلّ معي ما حييت ، ثـــم كانت الصلة بيننا من طريق المجلة ، وحين بلغني نبأ الوفاة برسالة حزينة رزينة من نجله الكريم ، تأثرت ـ علم الله ـ شديد التأثر ، وتذكرت الكثير الكثير. رحم الله الفقيد وعوّض أهله والمسلمين خير العوض ، وشكر الله للأخ كاتب المقال وانا لله وانا اليه راجعون .

ابو اقبال

الفقيه الصالح الشيخ محمد ابراهيم الختني رحمه الله تعالى

كنت تراه رجلا جليلا وقورا ، هادىء الطبع رضي النفس بخاري السحنة أميل الى القصر ، ذا لحية أطلقها على السنة النبوية المطهرة ، يسير الهوينـا لا يلتفت في طريقه يمنة ولا يسرة ، متواضعا في نفسه ومظهره ، كريما سخيا بما في يده ، واذا وقفت له في الطريق وقف لك وهش في وجهك وأخذ يسأل عـن الصحة والأهل والعمل حتى يطمئن ، واذا سألته مسألة وجدته المعلم الأديب ، والفقيه الصبور حتى تفهم ماسألت عنه ، ماتسأله في مجالسه عن كتاب الا اعطاك منه علما وعن مؤلفه خبرا ، كان في التراجم والتاريخ آية من الآيات .

ذلك الرجل الجليل هو فضيلة الشيخ محمد ابراهيم بن سعد الله الفضلي الختني رحمه الله تعالى وأعلى في العليين درجته . توفاه الله تعالى بعد ظهـــر الاربعاء ٦ رجب الفرد/٣٨٩ دون ان يأخذ منه سمعا ولا بصرا ، ولا فكرا ولا

وعيا ، إلاّ ما كان من صوته الذي ضعف جدا قبل وفاته بأيام قليلة رحمه الله تعالى .

لقد شغل الفقيد رحمه الله تعالى حياته بالعلم تدريساً وافتاء ، تعريفا بالكتب العلمية وترتيبا لها ، في مكتبات المدينة المنورة مثل المحمودية والمكتبة العامة ، وكان هو الذي عاقه « كما ذكر لي رحمه الله تعالى في احدى جلساتي اليه » عن الاكثار من التأليف ونشر المقالات ، ومع ذلك فقد بكر في التأليف فألف وهو دون العشرين من عمره رسائل باللغة العربية .

وكلما طال عمره وزاد فضله وعلمه كثرت اشغاله ، فهو مرجع الناس في فقه الحنفية « خاصة » وغير الفقه من العلوم ، وهو يدرس كل يوم أكثر من درس ، وقد كان هذا شأنه الى قبيل مرضه الأخير الذي شغله عن كل شيء سوى ربه .

لقد طلب أحد أحبابه منه ان يترجم لنفسه في أعقاب رسالة ألفها في تراجم بعض العلماء ففعل ذلك ، وقد أعطانيها ولده الاستاذ محمد يحيى لانظر فيها ، وأنا هنا أنقل منها ما يعرّف به القراء الكرام .

اسمه وولادته : قال رحمه الله تعالى : انا محمد ابراهيم بن ملا سعد الله بن ملا عبد الرحيم بن عبد العليم الفضلي الختني ولدت في أواخر /١٣١٤ وكناني شيخي ثانت النمنكاني بابي الفضل ، قرأت عن والدي وعلى تلاميذه بعده مثل ملا محمد روزي ومحمد نياز وابن عمتي الشيخ شورف الذي كان يخصني بعناية فائقة ويدربني على طرق كتابة الافتاء وانا بعد تلميذ .

مؤلفاته قال : وحين كنت بختن ألفت بعض الرسائل مثل : تنقيح النحو والفوائد ومجموعة الفتاوى باللغة العربية ، ورسالة الاعلالات الياركيدية على الرسالة المعزية في الصرف باللغة الفارسية ، وضرورة الحجاج في المناسك وترجمة خلاصة الكيداني والتماس الملتمسين في مسائل الجمعة والعيدين والجنازة باللغة التركية . وهذه كلها مما الفتها قبل الهجرة الى المدينة المنورة وبقيت في ختن ، وفي المدينة المنورة ألف رسائل أخرى هي الرسالة الفضيلة في ثبوت الطوافين للقارن بالادلة القطعية ووفاق الأئمة الاعلام في جواز تفريق من زوجت بغير الكفء من الانام ، وتحفة المستجيزين باسانيد أعلام المجيزين « لم يتم » باللغة العربية ، قيض الله لها من ينشرها لينتشر فضلها في الناس ، وفتح الرءوف ذي المنن في تراجم علماء ختن .

سفره الى بخارى في طلب العلم : في ذي القعدة /١٣٣١ سافر الى بخارى في طلب العلم ، وأقام ثمانية أشهر « في طريقه » بكا شغر ثم انتقل الى سمرقند حتى اذا وصل الى بخارى أكبّ على العلوم وجوّد القرآن الكريم وقرأ الشاطبية والجزرية في القراءات . وأثناء اقامته في بخارى حدثت فتن يشيب

لهولها الولدان ، ففي سنة ١٣٣٥/ ثار بعض الشبان المتطرفين في بخارى فقضي على ثورتهم وفي سنة ١٣٣٨/ هوجمت معسكرات بخارى بالاسلحة الحديثة والطائرات ونقضت معاهدة الصلح نافذة المفعول ودامت الحرب أربعة أيام وبعدها انسحب الامير (عالم خان أمين بخارى) الى جهات حصار شادمان ثم ذهب الى كابل حيث مات بها واحتلت البلاد ولا حول ولا قوة الا بالله . قال رحمه الله : وكانت هذه السنوات الثلاث بكوارثها كأنها ثلاثة قرون كاملة أو من سنوات القيامة .

وفي بخارى أتم حفظ كتاب الله تعالى أيام العطل الدراسية .

مجيئه الى الحجاز : وفي سنة ١٣٤٨/ خرج من بلاده لاداء فريضة الحج مارا بطا شقند (الشاش) وبحر قزوين وباطوم واستنبول حتى السويس ، وحين وصلها كان وقت الحج قد فات فأقام بالسويس حتى جاءت باخرة أقلته الى جدة التي وصلها في اليوم السادس عشر من ذي الحجة . وأقام في مكة المكرمة والطائف حوالي ستة أشهر ثم جاء الى المدينة المنورة وتتلمذ فيها على الشيخ محمد عبد الباقي الانصاري من أقرباء ابي الحسنات عبد الحي اللكنوي صاحب المؤلفات الكثيرة التي تزيد على مائة مابين رسالة وكتاب ، وفي العام التالي أدى فريضة الحج وعاد الى المدينة المنورة وقد عزم على الاقامة فيها.

تدريسه في المدينة المنورة : في سنة ١٣٥١/ عينه الشيخ الانصاري مدرسا بمدرسة وحين ألغيت هذه المدرسة أصبح مدرسا في مدرسة توره قل تركستاني، ثم في مدرسة العلوم الشرعية . وفي سنة ١٣٨٢/ عين في وظيفة معرّف للكتب النادرة والمخطوطات ومترجما للغات الفارسية والتركية والاوردية في المكتبات الاربع الواقعات حول الحرم النبوي الشريف ، بالاضافة الى تدريسه بالحرم الشريف ، ومدرسة الشيخ الشلبي الحسينية ، ومدرسة توره قل وفي بيته ، قال رحمه الله خالصاً لوجه الله تعالى ولكني لا أزال أعتبر نفسي من طلاب العلم الى الآن فأفيد من العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة على اختلاف اقطارهم ومذاهبهم بالقراءة أو المراسلة لذا يزيد عدد أساتذتي على مائة وخمسين استاذا. ثم قال رحمه الله تعالى في آخر ترجمة لنفسه : فرغت من تسويد هذه الرسالة « فتح الرؤوف ذي المنن وفي آخرها ترجمته الشخصية » في ضحى يوم الاربعاء ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧/ في مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم

رحم الله شيخنا برحمته الواسعة وفسح له في قبره وأعلى في العليين درجته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وعوض المسلمين خيرا .

وهبي سليمان الألباني



من الفوائد الصحية للصلاة

للدكتور محمد ناظم نسيمي

تعتبر صلاة المسلم في الدرجة الاولى عبادة روحية جسمية يناجي فيها العبد ربه فتكون بمقدار حضور قلبه فيها واسطة صلة بينه وبين الله تعالى، وسببَ رقيٍّ في مدارج الايمان والاحسان وتمكنٍ في مكارم الاخلاق وبعدٍ عن الفحشاء والمنكر .

وان المصلي يجني الى جانب تلك الثمرة الروحية التعبدية ثمرات شتى اجتماعية وصحية من عمل عضلي بطيء رتيب ، وتربية على النظام والطاعة والائتلاف .

ففي الصلاة عمل عضلي معتدل والعمل العضلي ينشط البدن كله لدعوته العمل في التنفس والدوران والتغذية والافراغ فتستفيد من ذلك جميع أعضاء البدن ولاسيما الاعصاب والمراكز العصبية ، كما ان العضلة نفسها تنشط بذلك وتقوى .

وفي القراءة أثناء الصلاة وفي الانتقال من ركن الى ركن رياضة لعضلات التنفس والبطن تقويها وتزيد في سعة الصدر . كما ان المصلي باتباعه السنة المحمدية في اتخاذ الاوضاع القويمة أثناء أداء أركان الصلاة من قيام وركوع وسجود ، يستفيد من ذلك ومن حركات الانتقال من ركن الى ركن فائدة التمرين وتقوية العضلات الباسطة للعمود الفقري من جهة وفائدة اصلاح الاوضاع المعيبة من جهة ثانية .

والخلاصة تعد الحركات والاوضاع الخاصة في الصلاة من الرياضة الغريزية ، يجني ثمرتها المصلي مع انه يؤدي تلك العبادة

بنية تنفيذ أمر الله تعالى طلبالمرضاته وتقربا اليه. وبما أنالرياضةالغريزية أو السويدية تصلح للصغيروالكبير والرجال والنساء فقد دمجهـا الله تعالى الحكيم مع التكبير والدعـاء والتسبيح والتحميـــد في صورة صلاة المسلمين يؤديها المسلمخمس مراتيوميا موزعةعلىالليل والنهار، ويعتادها من صغره فتكون رياضـة صالحة لعضلات جسمه ومفاصله ، وخير مقوم لبدنه ، وأفضل مهذب لنفسه وروحه .

واذا كان الشاعر لينغ السويدي قد نشر الرياضة الغريزية في أوائل القرن التاسع عشـر واليه تنسب تلـك الرياضة فتـدعى بالرياضـة السويدية ، فان الاسلام قد سبقه في نشرها وتطبيقها باثني عشر قرنا حيث أدرجهافيصلب أكثر فرائضه تكرارا ألا وهي الصلاة .

واذا كانالجسم بحاجة الىالمزيد منالرياضة الغريزية فان بابالتنقل في الصلوات مفتوح بـل ومستحب في أكثر الاوقات ، أي فيما عـدا أوقات الكراهة المحدودة. وللمصلي حسببنيته ووصايا طبيبه أنيختار الشارع)عدد الركعاتودرجة سرعة الاداء ، بتقصير القراءة أو بتطويلها وبسرعة الانتقال أو ببطئه ، أي انه في تنقله المطلق (في غير ما حدده يستطيع انيمارس السرعة والطاقة في تنقله ضمن الحدود الشرعية .

وانبههنا أنالسرعةفياجراء الحركة المؤدية الى الركـوع أو السجـود وحركة النهوض منهما هي غيرسرعة زمن أداء الركـوع والسجود بحيث لايطمئن راكعا أو ساجدا فيؤديهما كنقر الديك ، فالسـرعة في اجراء الحركة جائزة ، أما السرعة المخـلة بالاطمئنانالمطلوب فغير جائزة . كما ان تقصير القراءة بحيث لاتخـــل بالمفروض جـائز ، فالنبي صلى الله عليـه وسلم كـان يصـلي ركعتين خفيفتين. وفيذلكتشريع للمسلمين فان النبي صلى الله عليـه وسلـم لايعتريه كسلولاينام قلبه ولكنالمرء قد ينهض من نومه وفي بدنه خمول أو نعاس فالوضوء ثم صلاة ركعتين خفيفتيـن يؤديهما بقـراءة قصيرة وحركات انتقال سريعة ، ان ذلـك مما ينشط الجسم ويدفعأثر النوم. وان تخفيف القراءة وعدم الاطـالة في اركان الصلاة مستحب للامـام

فان في المقتدين الضعيف والكبير وذو الحاجة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وأذا صلى لنفسه فليطول ما شاء »(١) . ومن هذا الحديث نستنتج ان للضعيف وللكبير وذوي الحاجة أن يخففمن صلاته طالما من أجله استحب للامام أن يخفف ، ولكن ضمن حدود الشريعة .

هذا وكما تعتبر الصلاة من الوجهة الحركية رياضة غريزية خاصة إذا كانت عديدة الركعات كما في صلاة الظهر والعشاء وصلاة التراويح ، فان الصلاة بعد التعب الذهني أو الجسمي تعد وسيلة للراحة وخاصة الراحة النفسية ، فصلاة المسلم المتدين وما يسبقهامن نظافةووضوء وما يتخللها من حركات وما يجب فيها من تخلية الذهن عن مشاغله الدنيوية ليتم له الصفاء والحضور والوعيلما يقول فيصلاته، وليتثنى له اقامة الصلاة على الوجه الاكمل ، فصلاته خير أنواع الراحة الاجبارية . فمن كان له من طبيعة عمله أو دينههذا التناوب من العمل والراحةكان بعيدا عنالاعياءالفكري .

هذا وان الانتقال من الاجهاد البدني في العمل المهني الىالصلاة قبل الراحة الكاملة يفيد البدنحيث تكون الحركات البطيئة الغريزية كتدليك (مسَّاج) للعضلات تساعدها على طرح فضلات العمل المجهد ، وان الوضوء قبلها يزيل غبار العمل ، وان التدليك الذي هو سنة في الوضوء يساعد في نشاط دورة الدم ونقل الفضلات منالاعضاء العاملةلطرحها في الاجهزةالمختصة .

وأختم مقالي بأن الاقبال على الله في الصلاة يعيد للنفس هدوءها بعد التعرضلصخب العملوانفعالات التعامل ، ولذلك كله ولما في الصلاة من معان روحية سامية عظيمة كان رسول الله صلى الله عليهوسلم يقول : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها »(٢)

---

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة . روى الشيخان وأحمد وأبو داود قوله صلى الله عليه وسلم : اذا أم أحدكمالناس فليخفف .

(٢) رواه ابو داوود .

أرض النبوات

كلمة لفلسطين

لقد أحـرقوه !!!

لقد أحرق اليهود المسجد الأقصى المبارك !!!

أحرق اليهود أولى القبلتين وثالث الحرمين !!!

وهل كنا نتوقع منهم غير أن يحرقوه ؟

هل نتوقع منهم غير أن يعيثوا الفساد في مقدساتنا ؟

أليس هذا نتيجة طبيعية لاحتلال اليهود أرض الاسراء والمعراج ؟

أليس هذا خطوة في طريق تحقيق حلم اليهود الكبير باقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك ؟



انها لبادرة طيبة أن يتحرك العالم الاسلامي من أقصاه الى اقصاه تجاوبا مع

مشاعره الدينية في حقده على اليهود المفسدين المخربين .

وان أكد هذا التحرك شيئا فانما يؤكد البعد الديني للقضية الفلسطينية من جهة ، ويؤكد امكانية الاستفادة من العالم الاسلامي لتدعيم جهودنا في محاربة اليهودية العالمية من جهة ثانية . هذه الامكانية التي أغفلناها في بعض مراحل جهادنا الماضية .

انها لبادرة طيبة أن تتداعى حكومات المسلمين الى التعاون والتفاهم والتناصر اثر حريق الاقصى المبارك .

انهما بادرتان طيبتان ، ولكن يجب أن نحذر من أن يبقى تحرك العالم الاسلامي في حدود الفورة العاطفية ، وتعاون حكومات المسلمين في حدود الاستغلال السياسي للمشاعر الدينية .

ان الامر جد ، وفي ذروة الجد .

ان الامر لم يعد يحتمل هزلا ولا تسويفا .

يجب أن يتحرك دعاة الاسلام ، ويشقوا طريقهم ، ويحطموا الطواغيت المحيطة بهم ، ليقيموا دعائم الاسلام مكينة في الارض ، ورايته خفاقة في السماء ، فهي الضمان الاكيد لمنع اسرائيل من أن تستمر في غيّها ، والوحيد للانتصار عليها .



كيف أحــرق اليهود المسجد الاقصى المبارك ؟

القدس أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ونهاية الاسراء من مكة المكرمة وبداية المعراج الى السماء السابعة . القدس بلد الانبياء وموطن الرسل تعرض مسجدها الاقصى المبارك الذي لا تشد الرحال الا اليه ولمسجدين آخرين تعرض لنار حامية وحريق هائل في قسمه الجنوبي الشرقي في صبيحة الخميس الثامن من شهر جمادى الاخرة عام ١٣٨٩ والموافق ٢١ آب سنة ١٩٦٩ وذلك حوالي الساعة السابعة من ذلك الصباح . عندما شاهد أهالي القدس العربية أعمدة من الدخان ترتفع في سماء المسجد الاقصى فبدأت صيحات المؤمنين تتردد في جنبات القدس : الله أكبر . الله أكبر لقد أحرق اليهود المسجـد الاقصى . وبدأت جماعات المسلمين تزحف الى المسجد الاقصى زرافــات ووحدانا وقد ملأت الدموع عيونهم ، والايمان قلوبهم ، والاحقاد نفوسهم على من أضرم النار في أعز مقدسات الاسلام .

وكم كانت الدهشة كبيرة عندما لم يجد الناس أي أثر لسيارات الاطفـاء الصهيونية التي أبطأت في تلبية نداء الاستغاثة لاطفاء الحـريق – وكـيف تلبي وهي التي أقدمت على هذه الجريمة البشعة ؟! – . فما كان من الناس رجالا ونساء شيبا وشبانا الا أن تبرعوا بلحومهم وأرواحهم وأنفسهم لاخمـاد هذا الحريق فأحضروا كثيرا من خراطيم المياه وبدأوا يساعدون رجال المطافىء العرب في القدس . وكون فريق من المؤمنين جدارا بشريا لنقل المياه بالجـرادل من بئر في وســط ساحة الحــرم الشريف وتوصيلها لشبــاب تسلقوا سقف المسجد وبدأوا يحاولون اطفاء النار ، كما ان فريقا اخر اسرع برفـع السجاد من أرضية المسجد والذي لا يقدر بثمن وهي هــدايا المؤمنين لبيت الله المقدس على مر السنين ، كما أن فريقا ثالثا نشط في رفع اللوحات القرآنيـة التي كتبت بخط بديع والتي تعتبر من الآثار التاريخية والتحف الفنية النادرة من حيث الجمال والقــدم .

ولم تستطع الكتل البشرية أن تخمد النار فاستنجدوا بفرق الاطفـــاء العربية في رام الله والخليل فهبوا هبة رجل واحد وأسرعوا بسياراتهم الـى القدس الشريف دون ابطاء أو تسويف .

وتعاونت الفرق العربية الثلاث وأهالي القدس على اخمــاد الحريق ونجحوا في السيطرة عليه وعند ذلك عند ذلك فقط تقدمت فرق الاطفـــاء الاسرائيلية للمشاركة في اخماد الحريق . وكانت حجتهم في تأخرهم أن

الجماهير العربية حول المسجد حالت دون وصولهم في الوقت المناسب زيادة على أن هذه الجماهير استقبلتهم بنداءات الاتهام وبسيل من الحجارة .

وفي تمام الساعة الحادية عشرة ظهرا تمت السيطرة على الحريق تماما ولم تعد ترى الا الدخان ينبعث من أركان المسجد التي أتى عليها الحريق . وكان أهم ما حرق في المسجد المبارك المنبر المصنوع من خشب الأرز في زمن « نور الدين زنكي » والذي نقله صلاح الدين الايوبي الى المسجد الاقصى . وهذا المنبر لا يوجد به مسمار واحد ويعتبر آية من آيات الفن على مدى العصور . كما أحرقت أجزاء كبيرة من الفسيفساء في الجهة الجنوبية للقبة ، كما انهار زجاج القبة الوردي الداكن والمصنوع في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وتساقط الرصاص المطلي بالذهب بعد أن ذاب والمصنوع في عهد المماليك . كما أتت النار على قسم من الجناح الشرقي للمسجد وقسم من الجناح الجنوبي وهوى جزء من السقف عدا السجاد الثمين واللوحات الخشبية التي حفرت عليها آيات من القرآن الكريم .

ولم تعلن اسرائيل عن الحريق الا في الساعة العاشرة وارجعته الى احدى أمور ثلاثة : اما بسبب ماس كهربائي أو بسبب حرارة الشمس وتأثيرها على خشب السقف الجاف أو بسبب شرارة انطلقت من جهاز لحم أكسجين . ولكن هل يعقل ذلك ؟ لقد هتف الناس من الاعماق وبقوة حدسهم أن العمل مدبر واتجهت بأصابع الاتهام الى الاعداء المحتلين حفدة القرود والخنازير . أما المجلس الاسلامي الاعلى متمثلا بشخصية رئيسه المحتسب فلقد كانت لديه البيانات على ان الامر تم بفعل فاعل والامر مدبر بدقة واحكام . وبينة الامر أن أحد موظفي الاوقاف المقيمين في المسجد الاقصى وهو السيد محمد الحلواني بينما كان يسير في المسجد الاقصى بعد الساعة السابعة عندما رأى الحريق ورأى شابا أشقر أحمر الوجه يجري مسرعا فانتهره السيد الحلواني غير أن الشاب دفعه وألقاه أرضا ثم وقف ولحق به مرة أخرى واستطاع أن ينتزع منه معطفه وحقيبة كانت بيده . فماكان من الشاب الاحمر الوجه الا ان ارتد للخلف وعرض على السيد الحلواني خمسين

ليرة مقابل اعادة المعطف والحقيبة ولكنه رفض وفي هذه الاثناء سمع أصواتا من الخارج تقول بعربية ركيكة : اتركه ، اتركه فارتد السيد الحلواني الى الخلف وعلى الفور اتصل بالاطفائيات العربية التي خفت الى المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله وكذلك اتصل بالاطفائيات الاسرائيلية ولكن كان في آذانها وقر .

ولقد قدم السيد المحتسب هذا المعطف وهذه الحقيبة مع هذه الرواية في مؤتمر صحفي عقد في القدس ومما يذكر أنه كان في الحقيبة مواد شديدة الاشتعال تكفي لحرق المسجد الاقصى بأكمله .

وبعد أن فضح الشيخ المحتسب خطة اسرائيل المدبرة لحرق المسجد الأقصى ما كان من اسرائيل في اليوم التالي الا أن أعلنت أنها قبضت على الشاب الذي قام بالحريق وهو استرالي يقيم منذ أربعة أشهر في مستعمرة اسرائيلية الى الشمال من تل أبيب هي مستعمرة مشمار هاشومير كان يتعلم خلال هذه المدة اللغة العبرية ويقرأ في التوراة . وقالت ان اسمه روهين . ولقد فرضت السلطات الاسرائيلية سرية تامة حول روهين . هذا وطلبت من سكان المستعمرة التي كان يقيم فيها بألا يتحدثوا الى الصحفيين وكذلك طلبت من صاحب الفندق الذي كان ينزل به في القدس الا يدلي بأية معلومات عنه .

أما ردود الفعل في العالم الاسلامي فقد كانت قوية وعنيفة سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي واجتاحت المظاهرات جميع المدن الاسلامية وغير الاسلامية التي يوجد فيها جاليا اسلامية في شيكاغو مثلا وفي كندا أيضا واستنكر المتظاهرون أعمال اسرائيل الوحشية وطالبوا بمعاقبتها . ولا ننسى أن المظاهرات اجتاحت الضفة الغربية والمناطق المحتلة وكان مما قاله مفتي رام الله للمتظاهرين « ان ٦٠٠ مليون مسلم يقفون وراءكم » .

كما عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا لهم في جامعة الدول العربية وكذلك عقدت الوفود الاسلامية في هيئة الامم المتحدة اجتماعا لدراسة الموقف بعد جريمة اسرائيل .

والآن نستطيع أن نقول أن المسجد الاقصى مقبل على نكبات ونكبات أخرى نستطيع القول أن الاقصى مهدد بالزوال واقامة هيكل سليمان مكانه فيجب علينا أن نتنبه للخطر المحدق بنا وعلينا أن نتيقظ له .

تاريخ المسجد الأقصى

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة بنى ، الى الجنوب منه وعلى بعد بضع مئات من الامتار ، المسجد الاقصى . وقد تم ذلك سنة ٧٤ هـ — ٦٩٣ م هذا ما قاله معظم المؤرخين . وهناك من يقول أن الذي بنى المسجد هو الوليد بن عبد الملك ، وليس عبد الملك نفسه . ويستدل هؤلاء على صحة قولهم بما جاء في الرسائل التي كتبها (قرة بن شريك) . عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى أحد حكام الصعيد (٧٠٥م) طالبا منه أن يرسل اليه صناعا ماهرين لمسجد بيت المقدس . والغالب أنه شرع في البناء في زمن عبد الملك بن مروان (٦٩٣هـ) وقد تم في زمن ابنه الوليد (٧٠٥م) .

ولقد طرأ على هذا المسجد تغييرات كثيرة بسبب الزلازل والعواصف والامطار وكانت أبوابه في زمن الامويين ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم ابو جعفر المنصور ، وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقع بسبب الزلزال (٧٤٧ م) أمر بقلع هذه« الصفائح » فقلعت ، وضربت دنانير ، وأنفقت عليه حتى فرغت (٧٧١ م) .

وحدث زلزال آخر سنة (٧٧٤ م) . فوقع البناء الذي أقامه المنصور . فأمر المهدي بتعميره . وعمر (٧٨٠ م) . الا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا في عرضه.

وخرب المسجد الذي عمره المهدي إثر زلزال وقع في (١٠٣٣ م) . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٣٤ م) حازفا أربعة أروقة من كل جانب ، وان القبة الحالية والابواب السبعة التي في شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك كتابة بالخط الكوفي وبالفسيفساء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التي تحمل القبة من الشمال ، تشير الى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ .

وفي زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٦٦ م) جددت واجهة المسجد الشمالية .

ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) استغلوا المسجد لصالحهم ، فجعلوا قسما منه كنيسة ، واتخذوا قسماً آخر مسكناً آخر لفرسان الهيكل، واستعملوا القسم الباقي مستودعا لزخائرهم ، مضيفين الى البناء القديم بعض القناطر المعقودة .

وعندما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين (١١٨٧ م) أمر باصلاح المسجد الاقصى ، فجدد محرابه ، وكسا قبته بالفسيفساء وأزال كل أثر فيه للصليبيين . وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفساء المذهبة تشير الى ما فعله صلاح الدين .

وأتى صلاح الدين من حلب بالمنبر الخشبي الجميل الذي صنعه نورالدين محمود بن زنكي .

ولقد عني ملوك بني أيوب ، بعد موت صلاح الدين ، بالمسجد الاقصى . فكانوا يكنسونه بأيديهم ، ويغسلونه بماء الورد . وكان أشدهم اهتماما الملك المعظم عيسى . فانه هو الذي أنشأ (١٢١٧ م) الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة. يقابل كل واحد منها بابا من ابواب المسجد السبعة . وعلى واجهة الرواق الاوسط بلاطه من الرخام ، نقشت عليها كلمات تشير الى ما فعله هذا الملك .

ولم يكن المماليك أقل اهتماما بالمسجد الاقصى من الايوبيين . فقد حدثنا التاريخ ان الذي عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلية مما يلي الغرب عند جامع الانبياء هو الملك المنصور سيف الدين قلاون (١٢٨٧) م وأن القبة نفسها جددت في زمن ولده الملك الناصر محمد قلاون (١٣٢٧ م) وكذلك قل عن الرخام والشبابيك المصنوعة من الفسيفساء في صدر المسجد ، ومنها الشباكان اللذان عن يمين المحراب وشماله ، والأبواب ، والسور القبلي عند محراب داود . فان هذه الاشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاون . وهناك كتابات كثيرة في المسجد تشير الى ذلك ، منها الكتابة التي تجدها في القبة نفسها من الداخل والمكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث ، وفوق الشباك الكائن شرقي المحراب ، وفي الواجهة الامامية فوق الأروقة .

ومن المماليك الذين عنوا بعمارة المسجد الاقصى السلطان شعبان بن الملك الناصر محمد قلاون ، وأخوه السلطان حسن (١٣٧٦ م) والملك الأشرف إينال (١٤٦٠ م) والملك الاشرف قايتباي (١٤٧٩ م) وهناك كتابة تشير الى ما فعله قايتباي ، نقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الاوسط الى اليمين .

وكذلك قل عن سلاطين بني عثمان . فانه لم يعتل العرش منها سلطان إلا وفكر في ترميم المسجد الاقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه ، وانا لذاكرون منهم السلطان سليمان القانوني (١٥٦١ م) . فالسلطان محمود الثاني (١٨١٧ م) واسمه منقوش على قبة الاقصى من الداخل ، وعلى بلاطة تراها الى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .

والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) ؟ فاليه يرجع الفضل في عدد من الشبابيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) فانه هو الذي بعث بالشطر الاكبر من السجاد العجمي ، ذلك السجاد الذي نراه في مسجدي الصخرة والاقصى .

ولقد طرأ على المسجد الاقصى ، مع تقادم الزمن ، وهن اكتشف سنة ١٩٢٢ للميلاد . ولم يكن لدى المسلمين من المال ما يكفي لتعميره . وذلك ما حدا بالمجلس الاسلامي الاعلى لايفاد الوفود الى الاقطار العربية والاسلامية ، وبالمال الذي جمع يومئذ وقدره مئة ألف دينار تم تعمير جانب كبير من المسجد (١٩٢٧ م) وكان أخطر تعمير جرى يومئذ استبدال الاعمدةالقديمة البالية التي تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) .

وما كاد هذا التعمير يتم حتى حد ثزلزال (١٩٢٧ م) فتضرر المسجد بسببه . ولكن القبة سلمت من الأذى بفضل التعمير الذي قد تم قبل برهة وجيزة .

وحدثت بعد عشرة أعوام (١٩٣٧ م) هزة أرضية وان كانت خفيفة ،

إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخــراب ؛ فتــولم المجلس الاسلامي الاعلى إصــــلاحه .

والمسجد الاقصى اليوم لا يزال محتفظاً ببهائه القــديم . طوله ٨٠ متــرا وعرضه ٥٥ مترا . وهو قائم على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعــة الشكل ومبنية بالحجارة .

وفي الصدر قبة خشبية مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ، ومزينــة من الداخل بالجبص النافر المزخرف بالفصوص الذهبية الملونة . وفي الصــدر أيضا محراب كبير والى يمين المحراب منبر جميل هو الذي عمله نورالدين، وأتى به صلاح الدين . وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس . ويقابل المنبر (دكة المؤذنين) وهي قائمة على أعمدة من رخام .

وفي داخل المسجد وعند زاويته القبلية الى الشــرق جامع مستطيــل الشكل متصل به ، يسمونه (جامع عمر) . والى الشمال من هذا الجــامع ايوان كبير يسمونه (مقام عزير) أو (مقــام الاربعين) وإلى الشمال منــه ايوان صغير وجميل ، وفيه (محراب زكريا) .

وللمسجد أحد عشر بابا : سبعة منها الى الشمال ، وهي كبيرة . وكل واحد من هذه الابواب ينتهي الى كور من أكوار المسجد السبعة ، وباب الى الشرق ، وآخر إلى الغرب . وهناك في الناحية الغربيــة أيضا باب يدخل منــه النساء في طريقهن الى الجامع المسمى باسمهن : (جامع النساء) . وفــي الجدار القبلي باب غير نافذ إلا الى زاوية ، كانت فيما مضى مدرسة .

وأمام المسجد من الناحية الشماليــة رواق كبير هو الذي أنشأه الملــك المعظم عيسى ، وقد جدد من بعده ، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة ، كل قنطرة منها تنتهي الى باب من أبواب المسجد السبعة .

وتحت بناء المسجد الحالي دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلةعقود ترتكز على أعمدة ضخمة ، وهو ما يسمى بالاقصى القديمة .

من أخبـار قضيـة فلسطين

- بـدأت الولايات المتحـدة الامريكيـة بتسليم اسرائيل طـائرات الفانتـوم الخمسين في شـهر ايلول ، اذ سـيتم تسليم ١٦ طـائرة خـلال هـذا الشهر ، كما سيتم تسليم البقية بمعدل ٤ طائرات شهريا .

ومن المعلوم أنه قـد أتم ١٢ طيارا اسرائيليا تدريبهم في امريكا ، كمـا انه يوجد ١٢٠ طيارا وفنيا يتدربون على قيادة وصيانة هذه الطائرات. ولقد قام قائد الطيران الاسرائيلي مؤخرا بزيارة سرية لامريكا وأعلن في هذه الزيارة ان بلاده بحاجة الى مزيد من الطائرات النفاثة .

- في ٧ ـ ٨ تم قتل ثلاث أشخاص في غزة لتعاونهم مع سلطات الاحتلال .

- في ٨ـ٨ قالت الاهرام نقلا عن نيويورك تايمز ان هناك محادثات سرية بين اسرائيل والولايات المتحدة لتسليم ١٠٥ طائرات منها ٢٥ طائرة فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك . وهذه الصفقة غير صفقة الفانتوم السابقة . ولقد جاء مؤخرا أن نكسن وافق على هذه الصفقة .

- أعلنت سلطات الاحتلال في ١٠ ـ ٨ أنها قررت ان تتبع المحاكم الشريعة الاسلامية في الارض المحتلة الاتجـاه الاسرائيلي ، وأن تقطع روابطهـا مـع الاردن .

كما أصدرت السلطات المحتلة أمرا يقضي بعدم تنفيذ الاحكام الصادرة عن هذه المحاكم لان قضاتها يرفضون أخذ رواتبهم من اسرائيل .

- دعت اسرائيل في ١٣ ـ ٨ الاعضاء القـدامى في المنظمـات العسكرية الاسرائيلية والذين تقل اعمارهم عن ٤٩ سنة للتطوع في حرس الحدود .

- في ١٥ ـ ٨ هدد ديـان بالانسحاب من حزب العمال الاسرائيلي اذا وافق الحزب على أحد الامور التالية :

١ ـ برنامج سياسي لاينص على « اسرائيل جديدة » بحدود معدلة في ضوء أهداف حرب حزيران .

٢ ـ عدم قبول ضم العرب في المناطق المحتلة وادماج هذه المنــاطق اقتصاديا .

٣ ـ قبول قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين ١٩٦٧

ـ بلغ العجز في احتياطي إسرائيل من العملات الصعبة ٥٣٣ مليون دولار وسبب هذا العجز الانفاق الحربي المتزايد .

ـ في ١٨ ـ ٨ اقترح اوثانت وضع مراقبين دوليين على خطوط الهدنة بين اسرائيل ولبنــان .

ـ في ١٩ ـ ٨ تم اعتقال ٤٠ شخصا في القدس .

ـ زارت ثلاث وفود اسلامية من الفلبين ونيجيريا وجزر موريشيوس مؤتمر أبي بكر الصديق في مصر وتكلم رؤساء هذه الوفود فأيدوا حق العرب في فلسطين ودعوا الى اعادة القدس الى اهلها .

ـ في ٢٠ ـ ٨ طــالب دايان ضباط الاحتيــاط الصهاينـــة بالانخــراط في الجيش العامل للخدمة في الجبهة .

ـ في ٢١ ـ ٨ شب حريق في القسم الشرقي من المسجد الاقصى وأدى الى خسائر فادحة في المسجد ، والمظاهرات والاعتقالات عمت مدينة القدس .

ـ فرض حظر التجول في معسكر المغازي في غزة واعتقل ٢٠ عربيا .

ـ في ٢٤ ـ ٨ جرت محاولة لنسف جناح اسرائيل في معرض ازمير الدولي في تركيــا .

ـ في ٢٥ ـ ٨ أعلن محافظ القدس روحي الخطيب أن امريكيا عرض شراء المسجد الاقصى والارض المحيطة به بمبلغ ١٠٠ مليون دولار وذلك لاعادة هيكل سليمان والمعروف ان هذا الامريكي ماسوني ولقــد أعلن مؤخرا ان عرضه في هذا الشأن لايزال قائما .

- قتل رجال المقاومة خمسة من العرب لتعاونهم مع العدو .

- القاء قنبلة على شركة الملاحة الاسرائيلية في لندن .

- في ٢٦ ـ ٨ هدد بعض الصهاينة بمذ كرة ارسلوها للمجلس البلدي في الخليل بنسف الحرم الابراهيمي وعمل مجزرة في الخليل .

- سيقوم بن غوريون بزيارة لفرنسا في شهر ايلول ومن المتوقع أن يقابل الجنرال شارل ديغول في هذه الزيارة .

- في ٣٠ ـ ٨ قالت صحف الاردن ان الخبراء العرب في الارض المحتلة أكدوا أن الحريق في المسجد الاقصى تم بتدبير وعناية من سلطات الاحتلال وهي التي خططت لروهان حتى ينفذ جريمته. وقالت هذه المصادر

أن الحريق شب في المسجد بمكانين في آن واحد أحدهما في منطقة المحراب والآخر في القسم الجنوبي الشرقي من المسجد . وذكرت هذه المصادر أيضا أن سلطات الاحتلال هي التي زودت روهان بالفتيل الخاص بالجريمة . ومما يذكر أن روهان زار المسجد حوالي ١٥ مرة قبل وقوع الجريمة .

- قال ابيان في ٨/٣١ ان مائير رئيسة وزراء اسرائيل ستتقدم بثلاث مطالب من الحكومة الامريكية عند قيامها بزيارة الرئيس الامريكي نكسن وهذه المطالب هي : ١ ـ ردع أية دولة تتدخل في شؤون الشرق الاوسط . ٢ ـ تزويد اسرائيل بالاسلحة وخاصة الجوية . ٣ ـ استخدام النفوذ الامريكي لمنع بلورة السياسة الدولية ضد اسرائيل .

- انعقد في ١ ايلول المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة .

- أقر مجلس الوزراء الاسرائيلي بناء عدة منشآت يهودية في القدس العربية وتجديد بعض المنشآت القديمة .



حرق اسرائيل للمسجد الاقصى

ويعزف الزمان على أوتار ملتهبة هذه المرة ... ويشتد اوار المعركة متحديا الكتل الهائلة من جموع المسلمين ، وتتطاول ألسنة النيران من المسجد المحزون داعية جموع الأمة بلسان حالها بعد أن كلّت الالسن المؤمنة ، ونضبت العيون الساهرة ، وجفت يراعات العاملين .

وهكذا بدأت المأساة .. ولكم تمنيت لهذا القلم أن يكـون خنجرا مسموما تقطر منه الدماء يستقر في صدري وصدور الطلائع المؤمنة الغيورة على دينها ومقدساتها قبل أن أسمع هذا الأمر الجلل وهذه الجريمة النكراء ... لقـد عاثت براثن الشعوب بطهر المسجد وقدسيته وجلاله مستهينة بمشاعر ملايين المسلمين في بقاع المعمورة ، وما كانت الصهيونية ومن ورائها صانعوها الأقزام وعملاؤهم الصغار ليفعلون شيئا من هذا لو أن أسود الايمان بارزة على مسرح الحياة .. ولكن .. ويا للأسف ! وقعت المأساة وعاث اليهود بطهر المسجـد المبارك وقدسيته .

هذا المسجد المبارك ، أرض الاسراء والمعراج أحـد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، والتي شهدت عبر التاريخ اياما حافلات منذ فجر الاسلام لجديرة بأن تصمد في هذه الايام أمام الصهاينة وجرائمهم وهي حريّة أن تصبر حتى بزوغ فجر التطهير والتحرير .

وكأني بالصخرة المشرفة حين كانت نقطة الدائرة العربية المسلمة ، ويوم كانت تمس بحافتيها طرف فرنسا من هنا وطرف الصين من هناك يومها كانت الصخرة شامخة صامدة ، واليوم تقف مستكينة وادعة تستغيث المؤمنين في بقاع الارض أن حيّ على الجهاد حيّ على الجهاد .

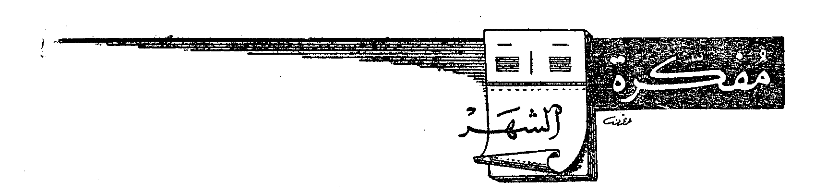
فيا جموع المسلمين في انحاء المعمورة .. اعلموا أن الجهاد هو طريقنا للوصول الى العزة ، ولن ترفرف راياتنا الا بحمل السيف في وجوه أعداء الله وأقزام البشرية ، واسمعوا معي قول الشاعر يفلسف حماية المسلمين لعقيدتهم ومقدساتهم فيقول :

والسيف يلمع في يمين محمد — ليصب ذعرا في الوهاد وفي الذرى
يعطيك معنى الحق كيف يصونه — جيش والا بات حقا مهدرا

واسمعوا قول الله تبارك وتعالى حاثا الطلائع المؤمنة على النفير العام بعبارة قوية صارخة : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » واسمعوا رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم يقول « الجنة تحت ظلال السيوف » فشدوا الرحال أيها المسلمون وأعدوا أنفسكم أيها المؤمنون فالنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أيها الناس .. قوموا الى جنة عرضها كعرض السماوات والارض أعدت للمجاهدين في سبيل الله .. اليّ أيديكم ايها المسلمون لنشد الرحال الى هناك حيث ترفرف القلوب المؤمنة الى جانب المنبر الرائع الذي كانت جحافل الايمان تضع بقربه الجباه ساجدة عابدة ، والتي روت جنباته دموع المؤمنين الباكين المتبتلين في جنبات الليل القاتمة .. الى هناك باسم الله لننقذ المسجد المحزون ونعلنها مدوية من جديد حي على الصلاة .. وعندها سيحسب العالم بأن الفاتح صلاح الدين قد عاد الى الحياة .

جماعة الفكر الاسلامي
لاهور



اعداد : قلم التحرير

الصومال : أغتيل الرئيس الصومالي الدكتور عبد الرشيد علي شارمركي، أثناء تفقده مناطق القحط في شمال الصومال ، ويبلغ من العمر ٥٠ عاما ، وقد انتخب رئيساً للجمهورية في ٣٠ تموز ١٩٦٧ ، وقد عرف الرئيس الصومالي بتأييده للقضية العربية ، ويعتبر قضية فلسطين قضية صومالية ، وقد طلب الانضمام الى جامعة الدول العربية ، وذكرت جبهة تحرير ارتيريا ، أن قاتل الرئيس الصومالي عبد القادر عبدي كان في أديس أبابا قبل حادث الاغتيال بثلاثة أسابيع ؟!

القدس : بدأت في اسرائيل مسرحية هزلية ، تحاول أن تتبرأ بها من حادث الحريق الذي شب في المسجد الأقصى في آب الماضي ، وبطل المسرحية شاب استرالي أشقر : مايكل دينيس روهان ، والهدف الاسرائيلي من حريق المسجد الأقصى ، هو من المحاولات المستمرة لتهويد القدس ، فالشاب الاسرائيلي بدأ يعترف في قاعة المحكمة التي هي أصلا كانت قاعة للموسيقى ، ويستمر عرض (المسرحية) .. وتستمر المهزلة ، وفي قاعة المسرح وضع بطل المهزلة في قفص زجاجي لا يخترقه الرصاص .

بريطانيا : أغلب المسؤولين في تليفزيون واذاعة بريطانيا يهود ، وأغلب المسؤولين في صحف بريطانيا يهود ، وجميع نوادي القمار في لندن أصحابها يهود ، وجميع زبائنها عرب ، وفي لندن قالت ملكة جمال اسرائيل ، أنا في الثانية والعشرين من العمر ، وقضيت عامين في الجيش الاسرائيلي ، واشتركت في حرب ١٩٦٧ ، وقتلت كثيرا من العرب .

بريطانيا : صدق مجلس اللوردات البريطاني مشروع قانون الطلاق في بريطانيا ، قدّم هذا المشروع منذ نيسان ١٩٦٣ ، وينص على حق الزوجين بالطلاق ـ بعد عامين من الانفصال بالتراضي المتبادل ، وبعد خمسة أعوام بناء لطلب أحدهما فقط . من أسباب الطلاق التي يحددها القانون : كبت الحرية لفترة طويلة ، الوضع (غير طبيعي) لأحد الزوجين .

الفاتيكان : استقبل البابا وزير خارجية اسرائيل ساعة كاملة ، قرر

يوسف سالم وزير خارجية لبنان الكاثوليكي زيارة عاصمة الكثلكة ، والتكلم باسم مائة مليون عربي الى جانب المسيحيين العرب في الشرقين العربي والاوسط . وطلب الوزير الكاثوليكي مقابلة البابا ليطلعه على ردّ الفعل العربي والإسلامي لاستقباله أبا ايبان ، ولكن قداسة البابا امتنع عن استقبال وزير الخارجية اللبناني والكاثوليكي ؟؟

واشنطن : وصلت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل كضيفة على ريتشارد نيكسون . وبكلمات حماسية قال : إني أرحب برئيسة حكومة شعب شجاع مصمم على المحافظة على السلام في المنطقة التي يعيش فيها . ومن أسباب زيارتها تزويد اسرائيل بالأسلحة . فجولدا مائير مقتنعة بأن الطريق الوحيد للمحافظة على السلام في الشرق الاوسط هو في التأكد من أن اسرائيل أقوى من العرب ، وخطتها أنها ستطلب من نيكسون ٢٥ طائرة فانتوم أخرى ، وبعض الطائرات من نوع سكاي هوك والكثير من الصواريخ من الارض للجو ، وقال أبا ايبان : ان الولايات المتحدة تبيع لنا طائرات الفانتوم ، لا ، لأن هذا في صالحنا بل لأنه في صالحها أيضاً . وقالت جولدا مائير أن نيكسون أكد لها أن الولايات المتحدة لن تحاول الضغط على اسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، قبل الوصول الى سلام دائم في الشرق الأوسط .

واشنطن : في الأمم المتحدة وافق وزيري خارجية القاهرة وعمان على اجراء مفاوضات عن طريق « يارنغ » على أن يكون التفاوض ضمن دائرة القرار الصادر عن الامم المتحدة في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ ، ولم تبدر عن اي وزير عربي في الأمم المتحدة معارضة جدية . وفهم الوفد الاميركي وفهم وزراء الدول الكبرى أن القاهرة وعمان توافقان على حل سلمي رغبة منهما في ابعاد شبح الحرب عن الشرق الأوسط . ولكن اسرائيل تريد حلا سليما يفرضه المنتصر في حرب ، وتريد معاهدة كالتي فرضها الحلفاء على ألمانيا ، وما تريده اسرائيل تتبناه واشنطن ، وأمام العرب طريقان لا ثالث لهما : الخضوع والقبول ، أو الحرب .

فرنسا : تلح اسرائيل على فرنسا للحصول على سلاح كاكتوس المضاد للطائرات ، الذي يتعقب الطائرات المغيرة ويحدد مكانها وينبه عنها ، وسلاح كاكتوس عبارة عن عربة مدرعة متحركة مزودة بجهاز رادار و٤ مدافع صواريخ من طراز (كروتال) زنة ٩٠ كيلو غراما .. والصاروخ ينطلق حتى مسافة ٨ كيلومتر وبسرعة رهيبة تصل الى ٢٥٠٠ كيلومتر في الساعة ، أي أن الصاروخ يقطع أقصى مسافة له في ١٦ ثانية ، وهناك عربة أخرى – أقل حجما – تضم باقي الأجهزة التي تدار الكترونيا وتتولى عمليات الرصد وتحديد الهدف واطلاق الصواريخ الباحثة عن الطائرات المغيرة .

المغرب : في مدينة فاس كان اللقاء بين الجامعات الاسلامية ، وقد اشتركت في المؤتمر وفود من عشرين قطرا ، وذلك تلبية لدعوة وجهتها (جامعة القرويين) الى دور العلم الاسلامية رجاء أن يلتئم شملها في رابطة جامعة لإدراك الدور المنوط بهذه الجامعات في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من صراع الوجود والمصير ، وعن وعي مرهف لحاجتنا الى التآذر والتعاون على حمل هذه الأمانة الصعبة في مواجهة التحديات المفروضة على دور العلم الإسلامية في دوامة العصر ومعترك المذاهب والقيم .

ومن توصيات المؤتمر أن يكون هناك مركز إسلامي للبحث والدراسات ، وسجل إحصائي لدور العلم الاسلامية ، ومكتبة جامعة لما نشر أو سينشر عن دراسات في الإسلام للمتخصصين من شرق وغرب ، ومجلة للبحوث العالية يكتبها أساتذة الدراسات الإسلامية بلغاتهم القومية مع تعريف موجز باللغة العربية .

القدس المحتلة : النار التي شبت في صباح يوم الخميس ٢١ آب ، والتهمت الجناح الشرقي للمسجد الأقصى ، وما حريق المسجد الأقصى إلا حلقة في سلسلة مخططة من جانب الصهيونية العنصرية التي يُوجهها التعصب الديني لتدمير كل المقدسات الدينية غير اليهودية في المدينة . لبناء (اسرائيل الكبرى) فنسفوا المنازل العربية من حول حائط المبكى ، والمسجد الأقصى يقف عقبة أمام تنفيذ مشروعات الصهيونية من أجل توسيع الميدان أمام حائط المبكى واعادة بناء هيكل سليمان .

اسرائيل وحكومات الشعوب الاسلامية : فسحت هذه الحكومات المجال لاسرائيل ، والصهيونية احدى القوى العالمية ، وقد اشترطت ألمانيا الغربية من أجل تقديمها معونتها لاندونيسيا بفتح أسواقها للشركات الاسرائيلية . وثمة حقيقة غريبة وهي أن بعض هذه الحكومات لها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل عدا الصومال وباكستان وموريتانيا وأفغانستان وأندونيسيا . في ايران سفارة اسرائيلية تعمل تحت اسم المكتب الاقتصادي الاسرائيلي في طهران ، وتمد ايران اسرائيل بالنفط ، والاسرائيليون يقومون بتدريب بعض الايرانيين . والنشاط الاسرائيلي في تركيا يخضع لمخطط شامل قامت اسرائيل بوضعه وتنفيذه بالاشتراك مع طائفة (الدونما) وهي الأقلية الثرية النشيطة هناك . وتظهر محاولات التغلغل الاسرائيلي في الكثير من الدول الافريقية ذات الأغلبية الإسلامية بصورة واضحة ، وقد استغلت اسرائيل ايضاً الحرب الأهلية في نيجيريا .

اسرائيل : طلبت اسرائيل من أمريكا تزويدها ب ٢٤٠ طائرة قاذفة ومقاتلة من بينها ٨٠ طائرة سكاي هوك و١٣٥ طائرة هليوكوبتر طراز سيكورسكي وهي طائرات ضخمة يمكنها نقل القوات والاسلحة الثقيلة . وقد سرقت اسرائيل التصميمات الخاصة بصناعة طائرات الميراج الحديثة بواسطة جواسيسها في سويسرا ، وتهريبها عن طريق ألمانيا الغربية ، وقرب اللد يوجد مصنع للطائرات وقد أنتج طائرة من طراز (جيت كوماندر) وطائرة أخرى من طراز (آرفا) تصلح لنقل الجنود في العمليات الجوية ، كما انشأت اسرائيل مصنعاً آخر للمحركات النفاثة في بلدة (بيت شميس) .

وقد طلبت اسرائيل من بريطانيا تزويدها بصفة عاجلة ب ٢٠٠ دبابة شيفتين وهي آخر طراز من الدبابات البريطانية ، وطلبت تسليمها قبل نهاية العام الحالي .

ومن أوائل هذا العام أرسلت الى اسرائيل شحنات من الدبابات الامريكية قدرت بنحو ١٥٠ دبابة من المعسكرات الامريكية في المانيا الغربية ، وستحصل اسرائيل على قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة مالطة لتحويلها الى قاعدة عسكرية اسرائيلية ، وستحصل على بعض القطع البحرية من حلف الاطلنطي . وقد قدرت المبالغ التي دفعتها أميركا لاسرائيل منذ انشائها حتى الآن ب ٢٥ ألف مليون دولار .

الولايات المتحدة : حملة واسعة بين اليهود في الولايات المتحدة لارسال بناتهم الى اسرائيل للترفيه عن الجنود هناك ! والدعوة صريحة ونشرت في الصحف اليهودية هناك ودعت اليها الهيئات الدينية اليهودية !

قالت الحملة ان جنود اسرائيل يحافظون على أمن اسرائيل ومن واجب فتياتنا أن يكافئوهم بلحظات سعادة وترفيه ! ولم تكذب الفتيات اليهوديات الخبر ! وسافرن أفواجا الى اسرائيل لتقديم السعادة المطلوبة والترفيه المنتظر للجنود الاسرائيليين .

القدس : أرسلت جماعة ماسونية يهودية ، بعد الاحتلال بأسابيع تعرض على مصلحة الوقف الاسلامي في القدس شراء أرض الحرم لبناء الهيكل عليها مقابل مئة مليون دولار ... وقد ردت الهيئة الإسلامية قائلة : إن شبراً واحداً من الحرم لا يباع بكل دولارات امريكا .

وقد هدمت اسرائيل أكثر من ١٥٠ منزلاً ملاصقاً للمسجد الأقصى ، واستولت على أكثر من ٨٣٠ منزلاً تمهيداً للبدء في بناء هيكل سليمان .

الهند : في مدينة أحمد أباد ، انحرفت بقرة ودخلت شارعاً اسلامياً ، ولحق القطيع بالبقرة الشاذة والعادة أن يدخل القطيع المنازل والمحلات التجارية فيعيث فيها فساداً وتحطيماً دون أن تمتد إليه يد ، أو يرتفع في وجهه صوت . أما سكان الحي من المسلمين فقد طردوا القطيع من بيوتهم ومتاجرهم ، بالعصي والحجارة خوفا من أن يلحق بها أضرارا كبيرة . وكانت الكارثة ... لقد ثارت ثائرة طلاب المعهد الديني الهندوسي المرافق للقطيع إلى باحة المعهد .. لم يتمالكوا رؤية الإله المقدس ، يرجم بالحجار ويضرب بالعصا .. فهجموا على السكان المسلمين واشتبكوا معهم بالأيدي ، ثم تطور الاشتباك حتى بلغ عدد القتلى من المسلمين يجاوز ٥٠٠ قتيلا أما عدد الجرحى فيزيد على الألف ، لقد كان الهندوس يهاجمون أحياء المسلمين ويحرقونها ويسلبون مافيها .

جنوب افريقيا : في مدينة كيب تاون في اتحاد جنوب افريقيا مات الزعيم المسلم عبد الله هارون في السجن .. وكانت حكومة البيض العنصرية في اتحاد جنوب افريقيا قد اعتقلت الامام الشهيد ثم ألقت به في السجن بلا محاكمة بموجب قانون الطوارىء .

المدينة المقدسة : انتهت معركة حطين في ٣ تموز ١١٨٧ م ، وفي يوم الاحد ٢٠ ايلول وصل جيش صلاح الدين الى أسوار المدينة المقدسة ، وعرض على الصليبيين المحتلين تسليمه المدينة فرفضوا ، وفي ٢٦ ايلول ابتدأ القتال ، ولما شعر الصليبيون بالخطر ، وأن المسلمين على وشك اقتحام الأسوار طلب القائد الصليبي (باليان) من صلاح الدين الأمان . وهدد صلاح الدين إذا لم يوافق على السلام فسوف يهدمون المقدسات الإسلامية فوافق صلاح الدين ، وفي يوم الجمعة ٣ تشرين الأول ١١٨٧ م تم التوقيع على نسختي المعاهدة الخاصة بالتسليم . وكتب العماد الأصفهاني سبعين كتاباً إلى مختلف الأنحاء ، حاملة أخبار الفتح ، ومهنئة به جماهير المسلمين .

دمشق : في ١١ تشرين الأول ٩٦٦ ، نشر في دمشق بيان بمناسبة زيارة هيلاسيلاسي لبعض الأقطار العربية ، اتهم البيان الحبشة بالتفرقة واستيلائها على (ارتيريا العربية) واحلال اللغة الأمهرية محل اللغة العربية في ارتيريا والصومال الغربي ، وعلل البيان أسباب اعتراف الحبشة باسرائيل ، واتهم البيان زيارة سيلاسي للاقطار العربية بأنها ترمي الى تصفية تعاطف العرب مع ثورة شعب ارتيريا .

اسرائيل : في ٢٠ تشرين الاول ١٩٦٦ أثنت جريدة (دافار) الناطقة بلسان الهستدروت في اسرائيل على تصريحات هيلاسيلاسي ، امبراطور الحبشة ، بشأن علاقة بلاده باسرائيل ، خلال زيارته للاقطار العربية ، وأضافت دافار تقول : « والواقع أنه لم يسبق لزائر أجنبي آخر أن قال قولا في هذه المسألة صريحاً كهذا ، سواء أكان في محادثات سرية أم علانية » .

مالطة : جزيرة مالطة لها أهمية استراتيجية بصفتها قريبة من شاطىء شمال أفريقيا العربي وكونها نقطة اتصال بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ، وهي منذ فجر التاريخ قاعدة للأساطيل الأجنبية وقاعدة للغزاة المحتلين، وينتظر إذا ما تمكنت الحركة الصهيونية من استعمارها أن تصبح قاعدة هجرة اسرائيلية تهدد أمن وسلامة الأقطار العربية في شمال افريقيا واقدام الصهيونية على استعمار جزيرة مالطة جزء من المخطط الاسرائيلي الذي يهدف الى إحاطة الوطن العربي بحزام عسكري ـ اقتصادي اسرائيلي يهدف الى السيطرة عليه .

بريطانيا : صرحت النائبة العمالية مارجريت ماكاي في نيويورك بأن مجلس العموم البريطاني يتبنى سياسة موالية لاسرائيل نتيجة للضغط الذي يتعرض له من جانب ٦٢ نائباً يهودياً في المجلس ، وفي بريطانيا ٤١٠ آلاف يهودي ، وفي مجلس اللوردات ١٣ عضواً يحملون ألقاب النبلاء .

الولايات المتحدة : أقيم في جامعة نيفادا أسبوع للجنس ألقى عدد من الاختصاصيين على الطلبة محاضرات في موضوعات الشذوذ الجنسي عند الرجال والنساء ، كما عرض عليهم بعض الأفلام التي تصور الأعضاء التناسلية ووظيفتها في ايقاظ البواعث الجنسية .

تصويب

وقع في مقال (مكتبة الأدب الاسلامي) العـدد الرابع السنة العاشرة بعض الأغلاط المطبعية ، فالرجـاء تلافيها .

١ ـ تعاد قراءة الفقرة (٩) التالية كما يلي :

٩ ـ النقد الأدبي الإسلامي :

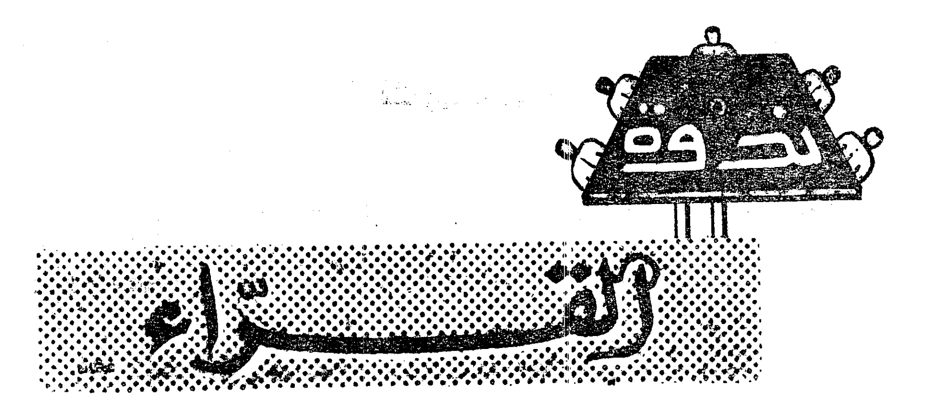
كتب في هذا الباب كتابان هما (منهج الفن الإسلامي (٧٣)) لمحمد قطب ، و (الإسلامية والمذاهب الأدبية (٧٤)) للدكتور نجيب الكيلاني . الأول اتجـه الى الفن الاسلامي كلاً ، لكن عنايته انصبت على الأدب الإسلامي ، لـذلك ادرجناه هاهنا .

لدى الموازنة بين الكتابين يلاحظ أن الأول أسبق من الناحية الزمانيـة ، وأكثر عمقا وتماسكاً مع التصور الإسلامي ، لا سيما المصطلحات والتعريفـات وإرسال الأحكام . أما الثاني فقد انفرد ببعض المسائل مثل (مشكلة اللغة) ، وابتكر اسما للادب الإسلامي وهو (الإسلامية) إزاء (الكلاسيكية والرومنسية والرمزية والواقعية والوجودية) .

يتجه الكتابان الى وضع قواعد لأصول النقد الأدبي الإسلامي شـكلاً ومضموناً ، وإلى تقويم الأدب الإسلامي القديم متمثلاً في القرآن الكريم بشـكل خاص ، ثم عرض نماذج من الأدب الاسلامي الحديث ، ثم إلحاق مختـارات شعرية ونثرية بآخر الكتاب .... إلخ ...)

٢ ـ يملأ بياض الهامش (٣٣) بما يلي : مكتبة مصر .

٣ ـ تحذف العبارات التاليةمن آخر هوامش الصفحة ـ ٣٤ ـ الواقعة بعد الهامش (٣٤) وهي : كفافي ، المكتبة العصرية بصيدا .



● تحت هذا العنوان كتب الينا الأخ الفاضل « هشام جمل » بهذه الأبيات التي نقدمها لقرائنا شاكرين .

عجَباً أخي للمجدِ كيفَ تهدَّما ؟ ولحدِّ سيفكَ كيفَ أضحى مُثْلَما ؟
دَحَرَ الأكاسرَ والقياصرَ ضربُهُ وَسَما يعانقُ في السماءِ الأنجما
مَلَكَ المشارقَ والمغاربَ صيحُهُ و صحَا عليهِ الكونُ نوراً مُعْلَما

• • • •

عَجَباً أخي للّيلِ كيفَ تطاولَتْ آفاقُهُ فغدا نهاركَ مُعْتِمـا ؟
عجباً لغيظِكَ كيفَ يبقى نائمـاً والمسجدُ الأقصى يعيشَ المأتمـا ؟
يبكي ، ويصرخُ ، والنداءُ كأنَّهُ صوتٌ غريبٌ ليسَ يعني مُسلما

• • • •

هـلاَّ ذكرتَ المجدَ يابنَ عروبتي تطوي جحافِلُهُ الظلامَ الأبكمـا
تسري الى مسرى النبيِّ محمـدٍ كُسرى الحبيبِ الى مناهُ مُتيَّما
فتهدُّ اركانَ الضـلالِ بعزمِهـا وتعيـدُ للأقصى سلامـاً دائمـا
وَتُحمِّلُ الفاروقَ مـن محرابِـهِ عهـداً وميثاقـاً عظيمـاً مُبرمـا

• • • •

هَلاَّ ذكرتَ وقائعَ النصرِ الذي قد تَمَّ في «حطين» قسراً مُرغما

أهلُ(1) الصليبِ ومابناهُ خيالهم ... اضحَوْا طعاماً للسيوفِ مقدَّما
تمشي على بِركِ الدماءِ خيولنا ... والبيضُ ترفِدُها بأنهارِ الدِّما
حتى غدا مهدُ المسيحِ ومسجدي ... قبراً لكلِّ المعتدين ومَرْجِما
شرفٌ عظيمٌ للعروبةِ خالدٌ ... قدناله «الصديق(2)» في هذا الحِمى
بالوحدةِ الكبرى عليها ساطعٌ ... حدُّ المهندِ بالسلامِ مُعَمَّمَا

• • • •

هذا نداءٌ للمروءَةِ يا أخي ... قد حانَ موعدُهُ فثارَ وزمزما
فانفضْ جناحكَ إنْ أتاكَ ازيزهُ ... واصرخْ : أتيتكِ يافلسطينَ السَّما
إني كسرتُ القيدَ قيدَ هزيمتي ... وأتيتُ أطعِمُ للغزاةِ العَلْقما
وغداً سأحيا في حماكِ مكرماً ... وبخيرِ أرضِكِ راضياً متنعِّمَا

• ومن الأخ محمد سالم سليمة من دمشق وصلنا هذا الاقتراح :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لا أحب أن أطيل فوقتكم قصير ، والموضوع هو :

أقترح أن ترفقوا مع كل عدد من مجلتنا « حضارة الإسلام » هدية صغيرة بعنوان : « المسلم الصغير » تتألف من ورقتين بحجم صغير (٤ صفحات فقط) يطالع فيها الشبل المسلم نفحات ومقتطفات عن أبطال الإسلام ، وعباداته ، وأخلاقه و ...

وإذا ما وافقتم على الاقتراح فأنا مستعد لأن أزودكم بما تتطلب هذه الهدية من موضوعات . ولكم جزيل الشكر .

• ونحن اذ نشكر للاخ الكريم اقتراحه الطيب المفيد نود أن نقول : إنا على قناعة تامة بهذا منذ زمن لأن القضية تدخل في حيز الاعداد الجذري للطفل وقد بحثنا الأمر مع عدد من الاخوة الكتاب وحتى الآن لم نصل الى ا يساعدنا على التنفيذ بالشكل المطلوب ، لذا نكون شاكرين لو بادر الاخ محمد بارسال شيء يتناسب مع الموضوع كنموذج أولي ، وبانتظار مايصل منه ومن غيره نسأل الله لنا جميعاً العون والتوفيق .

---

(1) أصحاب الغزو الصليبي (الناصر صلاح الدين الايوبي) .

● ومن الاخ محمد راجي ـ دير الزور جاءنا ما يلي :

اخي رئيس التحرير المحترم

السلام عليكم ورحمة الله :

زرت ثلاثة أرباع العالم فما استنتجت من زيارتي تلك وخاصة أوربا فلقد وجدت أن الأوربيين لا زالوا يسكنون الغابات ولكنهم يشعلون الكهرباء وجدتهم عبارة عن آلات تعمل بشكل ميكانيكي ولكنهم يتكلمون فهم عبارة عن معدن أصم لا روح فيه والانسان متى فقد منه الروحية كان كحيوان بل أضل سبيلا

فيا أخي العزيز ارفعوا صوتكم معي لتحقيق هذا الاقتراح المهم جدا وهو :

لماذا لا نجعل المدارس الشرعية بالمحافظات وكلية الشريعة بدمشق تدرس معظم برامجها باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية وبالتالي نخرج مبشرين مسلمين للعالم بنفس لغتهم بدل أن يخرجوا من كلية الشريعة ينتظروا أن يرزقهم الله وظيفة . فعبد الرحمن الغافقي وصل لبحر المانش فاتحاً البلاد بالسيف فلماذا نحن الآن لا نصل لبحر المانش لفتح البلاد بلساننا على الأقل لا بسيوفنا فلماذا يا دكتور محمد لماذا ... وقبل أن أغلق القلم أدعو الله خمس مرات في اليوم أن يحفظكم دخرا للاسلام وسندا لشريعة من بيده الخير .

● نحن مع الاخ محجم في أن دارس الشريعة يجب أن يلم ولو بلغة أجنبية واحدة على الاقل ليكون ذلك نافذة له على العالم يعرف منها ما يكون من تيارات الفكر ويتهيأ له سلاح من أسلحة الدعوة الى الاسلام . اما تدريس الشريعة باللغة الاجنبية فليس هو الذي يؤدي الفرض اذ ان الاسلام يجب ان يؤخذ من منابعه بالعربية أولا ، وشكر الله للأخ غيرته .

● **من الاخ ابي القيم الكبيسي وردتنا هذه الخاطرة عن فقيـــد المسلمين الشيخ محمد الحامد رحمه الله .**

محمد الحامد شيخ (حماة)

إنّ حرقــة ستبقى بقلبي ما بقيت أن لم أر الرجل الكبير غير أن ما آمل يعوض ما هو آفل (وما عند الله خيروابقى)

إِنه شيخٌ رجل

كم بعينيَّ شيوخ وشيوخ

لا أُباليهم بالا !

ما رأَيتــه

غير أَنّ ٱلْقلبَ ميّال إِليه

لا تسلني كيف ؟ فالأَرواح

جند .. وقلوب الخلق

دوماً بيديه !

ما رأَيتـــــه

لكن ٱلْقلب رآه

وبصير ٱلْقلب (إِنسان)

يرى ما لا نراه

إِنَّ قلبي (بكبيس) قد رآه

شاسع بين(كبيس) و(حماه)

(١) الضمير عائد الى (الله) عز وجل .

إنه شيخ رجل وكذاك
الشيخ لا كل الشيوخ
ليس من أسس بنياناً
بتقوى مثل من يرضى
بعش العنكبوت !
إنه ما ابتاع دينا
لأجل دنيا
لا ولا أعطي الدنيَّه
(وكثيرون) أحالوا .. الـ
دين (فماً) .. آكلاً
ألف هديه[1]
من يد (السلطان) والسلطان
موت وبليَّه
إنه شيخ رجل
غيره فات
وكم فات .. وفات
غير أن الشيخ هذا
ان يفوت
إن من خلّف علماً ناطقاً
كيف يموت ؟!

وكلاء التوزيع

في المحافظات	:	
حلب	:	سميح الدعاس ـ باب النصر
حماة	:	مكتبة دار الدعوة ـ تحت القلعة
حمص	:	المكتبة الاسلامية ـ الفاخورة لصاحبها عارف النكدلي
دير الزور	:	مكتبة دار الفكر
درعا	:	مكتبة الاستقامة ـ المحطة
جبلة	:	مصطفى الحاج جمعة
في البلاد العربية	:	
العراق	:	مكتبة المثنى ـ بغداد
السعودية	:	الدار السعودية للتوزيع والنشر جده ص.ب ٢٠٤٣
الطائف	:	المكتبة السلفية الكبرى
المدينة المنورة	:	الجامعة الاسلامية
الرياض	:	مكتبة الآداب
الكويت	:	مكتبة المنار ص.ب ٦٣٣
لبنان	:	مجلة المجتمع ـ طرابلس
بيروت	:	دار العربية بيروت ص.ب ٣٧٧١
الاردن	:	مكتبة الاقصى ـ عمان ص.ب ٣٠١
قطر	:	مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص.ب ٨٤٢
اليمن	:	صنعاء ـ مكتبة الجيل الجديد
السودان	:	خرطوم بحري ـ الدار السودانية للتوزيع والنشر ص.ب ٢٤٧٣
بنغازي	:	مكتبة دار القلم ص.ب ٨٢
في دمشق	:	دار الكتب العربية ـ مدخل الحلبوني هـ ١٥٢١٨

ثمن العدد (٢٥٠) ق.س أو ما يعادلها

المطبعة التعاونية بدمشق